# حوار مع النفس

obeikan.com

الكتاب: حوار مع النفس
المؤلف: محمد عياد

دار الكتب
Daralkotob

الطبعة الأولى: ديسمبر ٢٠١٥
رقم الإيداع: 2015/22652
الترقيم الدولي: 7- 43 - ٦٤٤٥- ٩٧٧- ٩٧٨

إشراف عام : آية عفيفي
مراجعة لغوية : حسين محمد
اخراج داخلي: أيمن فخري
غلاف : NileDesign.com

كامل حقوق النشر والطبع محفوظة
دار الابداع للنشر والتوزيع
موقع دار الكتب الإلكتروني
العنوان : المعادي- ابراج عثمان
هاتف : ٠١٠٠٢٠٥٢٢٦٦
E-mail: info@daralkotob.com
www. daralkotob.com

obeikan.com

# حوار مع النفس

"مجموعة قصصية"

محمد عياد

دار الكتب
Daralkotob

obeikan.com

obeikan.com

# إهْدَاء

أبدأ هذا الإهداء بالحمد والشكر لله أولًا على نعمه التي لا تُحْصَى، وعلى ابتلائه الذي تعلمت منه الكثير، وعلى رحمته التي ألهمتني الصبر والقدرة على أن أتغلب على خجلي وأكتب هذا الكتاب كتجربة أولى.

أهدي بكل الشكر والعرفان هذا الكتاب لأبي وأمي وأخي الأكبر، شاكرًا فضلهم لتعبهم في تربيتي وتنشئتي على ما وصلت إليه، وتشجيعهم الدائم لي في كل الأوقات، ودعمهم المستمر لأصبح إنسانًا سويًّا ناجحًا. بارك الله لهم في حياتهم وجزاهم عني خيرًا.

أهدي هذا العمل لأولادي رقيّة وكرمة وحسن، قرة عيني وأغلى ما أعطاني الله، والسبب الحقيقي الذي جعلني أتحمس لأنشر هذه الأعمال المتقطعة في كتاب واحد؛ حتى أحفظه لهم ليوم يفهمون فيه التجربة الإنسانية التي مررت بها، متمنيًا لهم أن يصلح الله أمورهم ويبارك فيهم، ويلهمهم الصواب دائمًا في أعمالهم، ويهديهم إلى الطريق الصحيح.

obeikan.com

إهداء حار لأبطال القصص، وهم كل إنسان قابلته في رحلتي القصيرة في الحياة، سواء كان من أهلي أو أصدقائي أو عابر سبيل تقابلنا في ظرف ما وتَوَجَّه كل منا في طريقه ولم نتقابل مرةً أخرى، وأكرمني الله وظل عالقًا في ذاكرتي، وتعلمت منه شيئًا ساعدني على أن أكتب هذا العمل وأثقل تجربتي وخبراتي.

إهداء لأناس كان لهم الفضل في تشجيعي على خوض تجربة نشر الكتاب، ومساعدتي بنصح أو توجيه أو مساندة لإكمال الخطوة والعمل على إخراجها للنور.

إهداء لكل قارئ لهذا الكتاب معتذرًا عن أي خطأ أو سهو؛ فهذه أول تجربة، وصبركم على القراءة هو من دواعي سروري وامتناني.

أخيراَ - وقد تركتها للنهاية - إهداء لزوجتي الحبيبة وأم أولادي ورفيقتي في رحلتي وصاحبة الفضل الذي لا تكفيه صفحات الكتاب لتوثقه؛ شكرَا وعرفانًا على كل ما قامت به - ولا زالت - منذ أن أراد الله أن نكمل طريقنا سويًّا...

obeikan.com

# يوميات نورس مصري

**فتحت** عيني في الصباح، وبتلقائية شديدة بحثت عن هاتفي المحمول؛ حتى أعرف الوقت؛ فربما أكون تأخرت عن الذهاب إلى العمل، ولكني لم أجده؛ مما جعلني أستيقظ مفزوعًا هَلِعًا؛ فعلاقتي بهاتفي المحمول هي علاقة مشبوهة، وزوجتي تغار منه بشدة، ولكني تذكرت أنني في إجازة، وأنه من المنطقي ألا أجد المحمول في مكانه؛ لأنني في حجرتي في بيت أهلي في الإسكندرية، وهذا هو أول أيام الإجازة؛ فهدأت، ولكن ما الذي أيقظني مبكرًا هكذا والمفترض أن الإجازة هي فرصة ذهبية للراحة والنوم بعد شهور من العمل المتواصل والضغط العصبي الشديد؟؟ ولكن ربما يكون ذلك بسبب الاعتياد على الاستيقاظ في مثل هذا الوقت من اليوم بحكم الروتين، مع اختلاف التوقيت يصبح الأمر منطقيًا، ولكن ماذا أفعل الآن؟؟ فلا أريد إزعاج مَنْ في البيت وإيقاظهم مبكرًا هكذا؛ فليس لهم أي ذنب في ذلك، وبعد عدة محاولات للعودة للنوم مرةً أخرى لم أنجح، فقررت أن أنتفض وأبحث قليلًا في غرفتي -والتي لا زالت على حالتها منذ أن تركتها من حوالي سبع سنوات



obeikan.com

أواكثر- لا زالت صورة أمي وأبي والعائلة في نفس المكان، والإستريو الذي لا يعمل الآن في مكانه، والتليفون هو هو في مكانه، لم تتغير الحجرة والتي لي في كل ركن فيها ذكرى حزينة أو سعيدة، لا يهم، ولكنها تمثل جزءًا هامًا من تاريخي.

قررت أن أخرج أتريض قليلًا وأتفقد حال البلد بعد ما حدث في يناير؛ لأرى إن كانت تغيرت وإن كان للأسوأ أو للأفضل، وهل ما يقال عن الانفلات الأمني صحيح أم أنه كان موجودًا ولم نكن نعرفه أو هناك من كان يحجبه عنا؛ ليوهمنا أن مصر هي بلد الأمن والأمان؟؟ لم أكن أبدًا في الماضي أشعر بهذا الأمان، وكيف أشعر به وأنا شاعر بفقر وعجز وقلة أدب محيطة بنا جميعًا؟! فكيف تشعر بالأمان وأنت لا تثق في من حولك ولا تتوقع رد فعلهم؟! وإن احتجت الأمان ممن ستطلبه؟؟ من ضابط شرطة؟! إذن فقد أخطأت خطأ جسيمًا يمكن أن يكلفك رصيدًا كبيرًا من كرامتك، ستضطر أن تهدره وأنت تستمع إلى فاصل من التخلف والغباء على لسان هذا الضابط الذي يفترض أن يكون مصدر الأمان. خرجت من بيتنا مبكرًا؛ ظنًا مني أنني سأستمتع بالهدوء، ولكن هيهات: فالتاكسي يطلق الكلاكس لإثبات الوجود فقط، وبائع الفول يدق جرسًا عنيفًا حتى تستيقظ وتأخذ الفول منه وإن كنت لا تحتاجه، وهناك مَنْ يتكلم مع صديقه في المحمول ويتشاجر معه على نقود، ولكنه أراد أن يُعَرِّف من حوله تفاصيل الشجار، ومَنْ تنادي على عم محمد البواب

من الدور الخامس ساردةً له قائمة طلباتها، ومن يسعون إلى رزقهم ويتحدثون، وما زاد هو التوك التوك الذي يستمع وبصوت مرتفع جدًا لأغنية شعبية؛ فتجد نفسك مضطرًا إلى أن تستمع إليها بكل جوارحك، والأمر لم يخل من سارينتين شرطة أو إسعاف. حقًا.. إنها مصر.. الوطن الذي لا ينام، أكملت طريقي حتى وصلت إلى البحر، والبحر هنا في الإسكندرية -وبعد أن رأيت بحارًا كثيرةً- لم أجد مثله الذي يكفي أن تنظر إليه حتى تغرق فيه وإن كنت على البر بعيدًا عن مياهه العميقة، وتظهر خلفه الإسكندرية القديمة في مشهد قلما تراه في أجمل البلاد، فعند هذا البحر تستطيع أن تستنشق أنقى الهواء، وتشعر بنسيم عليل جميل يشق صدرك، الله!! ما أجمل هذا البحر الذي تأكدت من أنه يشعر بهذا الشعب! فقد ثار العام الماضي قبل الثورة بحوالي شهر وانقلب وفاض على شواطئ وشوارع الإسكندرية، وكأنه يشجعنا على الثورة والانقلاب على أوضاعنا الرتيبة التي لم تكن ترضي أحدًا.

وأنا أنظر إلى هذه اللوحة البديعة وهذا المنظر الإلهي البديع الذي –وفي الحقيقة- كنت مفتقدًا إياه جدًا جدًا، شدني منظر طيور النورس البيضاء القوية التي تطير عاليًا في السماء ثم تهبط على سطح البحر في تناغم شديد، لتخرج من البحر حاملةً رزقها سمكةً، ثم تحاول محاولةً أخرى.

منظر أسراب النورس وما يعانيه لأجل أن يجد قوته ورزقه، وكيف يظهر في أوقات ومواسم معينة وكيف يهاجر إلى بلاد بعيدة.

إنه طائر قوي، ارتبط دائمًا بحياة البحر والسماء، ارتبط بالمعاناة التي يلقاها كل طائر كي يجد قوته ورزقه، ولا أعرف لماذا ربطت -وأنا أنظر إلى السماء والسحب وهي تلتقي بالبحر- بيني وبين النورس الذي يطير ويسعى إلى الحرية وما يلاقيه لأجل لقمة العيش، ومع تأثير النسيم النقي وهدير الأمواج وجدت فجأةً شريط حياتي يسير أمامي، وكأنه يذكرني بيومياتي...

Obeikan.com

إن الإنسان خُلِق مهاجرًا، ورغم أن الإنسان كائن يعشق الاستقرار إلا إن حضارة الإنسان كان أساسها هجرة الإنسان من مكان إلى مكان آخر، يتمركز فيه لبعض الوقت، حتى تجد في حياته أمورًا تجعله يهاجر من هذا المكان، وهكذا تم إعمار الأرض بحكمة الله التي وضعها في الإنسان، وهي الرغبة في المعرفة والمغامرة وحب الاستكشاف.

من تأملي في قصص الأنبياء وجدت أن الله -سبحانه وتعالى- فرض على معظم الأنبياء -عليهم السلام- الهجرة بالعباد الصالحين إلى بلاد أخرى، إما هربًا من بطش حاكم فاسد، أو لأمور دعوية؛ فهذا سيدنا إبراهيم -عليه السلام- يهاجر بزوجته وابنه إلى واد غير ذي زرع ويتركهم هناك؛ فيتحول هذا المكان إلى مركز للحضارة الإنسانية، وتخرج منه أمة الإسلام. وهذا سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- يهاجر من مكة إلى يثرب؛ مما جعل هذا المكان بقعة انطلاق للحضارة الإسلامية التي أثرت البشرية كلها.

مما لا شك فيه أن المهاجر سواءً كان طيرًا أو حيوانًا أو إنسانًا يكون مرتبطًا بالمكان الذي سيهاجر منه بذكريات وأحداث تجعل قرار الهجرة من أصعب ما يمكن، ولكن الله -سبحانه وتعالى- أنعم على كائناته الحية بنعمة التأقلم، وأنعم على الإنسان بنعمة النسيان، ولكن هذا التأقلم والنسيان يكون خاضعًا لمقاييس كل شخصية، وهذا ما يجعل صعوبة



obeikan.com

القــرار نســبيةً حســب ميــول كــل إنســان وقدرتــه علــى الاحتمــال.
منظر النورس والبحر جلب إلى ذاكرتي أولى تجارب الهجرة بالنسبة لي.

في عـام ١٩٩٨ مـن القـرن الماضـي كنـت طالبًـا في الجامعـة على وشـك التخرج، في هـذه الفترة كانت هنـاك موجـة السـفر كل صيف إلى أمريكا للعمل والفسحة وشراء ملابس جديدة جامدة آخر موضة. كنت في هذا الوقت أستمع وبشغف للتجربة التي مر بها كثيرون ممن اختفوا طيلة فترة الصيف، وكانوا يظهرون دائمًا في آخر جمعة قبل الدراسة في عايدة في الإسكندرية ومعهم أطنان من الذكريات والمغامرات؛ مما جعلني أقرر أن أخوض أول هجرة لي.. الهجرة إلى أرض الأحلام.. أمريكا.

كان يومًا من أيام عام ١٩٩٨، وكنت في حديقة الكلية لا أفعل شيئًا، ولا أعلم ما السبب في التعجل كل صباح في الطريق، والجري بأقصى سرعة حتى الوصول للكلية، لأجلس في الحديقة في النهاية ولا أحضر المحاضرة الأولى بحجة أنني تأخرت والدكتور لن يوافق على دخولي، حقًا كانت حياتي عجيبةً في هذه الأيام، كان يجلس معي واحد من الزملاء، والكلام جاب بعضه، فحكى لي عن رحلته إلى أمريكا في الصيف الماضي، وكيف كانت مليئةً بالمغامرات التي طار فيها في السماء، وكيف أوقع بناتٍ بالهبل في حبه، وكَسَّرَ الدنيا، وشتم الراجل الأمريكاني الذي كان يعمل عنده، والجاكيت الشيك الذي اشتراه، وهكذا من حكايات ألف ليلة وليلة والتي

كانت كفيلةً أن تشد انتباهي وتجعلني أحلم بخوض هذه التجربة، ومن هنا وجدتني أسأله عن الخطوات التي يجب اتخاذها لكي أذهب في رحلة مماثلة إلى أمريكا؛ لأشتري لبسًا جديدًا ونقودًا، وأعود في نهاية الصيف محملًا بالمغامرات والقصص.

من الزميل عرفت أن القصة ليست سهلةً؛ فالموضوع فيه فيزا وجواز سفر حديث وتذكرة، وقبل كل ذلك صحبة تكون لها تجربة هناك من قبل حتى تقود المسيرة.

لا أنكر أن الحلم ظل يجول في رأسي وخصيصًا أن الحمى انتشرت، ونفس القرار اتخذه اثنان آخران في الدفعة، ولكن كانت دائمًا تنقصني الصحبة التي كانت من وجهة نظري العقبة الوحيدة؛ فالاثنان الآخران كل منهم قرر أن يسافر مع أصدقاء له من أيام المدرسة، أو معرفة عائلية، وقد أُحْرَجت أن أعرض عليهم الانضمام، ولكن ظل الحلم يراودني كلما اقترب فصل الصيف؛ فقد سئمت حقًا إجازة الصيف؛ ففيها يتجسد المثال الحي للتفاهة والتخلف، كما إنني سئمت -وبشدة- عايدة والعجمي والقعدة في الشارع لتأمل اللي رايح واللي جاي، وسماع قصص البنات المشاهير ومغامراتهم، هذا وبالإضافة إلى الشباب المتخلف الذي أتعرف عليه كل صيف، كنت -عن جد وبعفوية- أرغب أن أخوض تجربة الاحتكاك بالعالم الخارجي، وقياس قدرتي على تحمل

أن أعـيش بعيـدًا عـن الحمايـة العائليـة، والشـعور الـدائم بـأني أمتلـك الظهر والسند الذي يمكن في أي وقت أن يحل لي أي مشكلة مهما كانت عويصةً وصعبةً.

كنت أرغب في أن أختبر نفسي وقدرتي على العمل واحتمال الشقاء الذي يتكبده الإنسان في سبيل أكل العيش، مع العلم بأنني سأكون بعيدًا عن أهلي آلاف الأميـال، وتفصـل بيننـا بحـور ومحيطـات وعوائـق شـديدة لدخول أمريكا، في أي وقت حقًا كانت يمكن أن تكون رحلة اللي يروح ميرجعش، ولكن ظلت رغبتي في خوض التجربة أقوى من أي خوف أو تردد.

في يوم من الأيام اتصل بي صديقا من أيام المدرسة لكي يخبرني أنه أخذ الفيزا، وأنه مسافر في الصيف، وعندما صارحته بأنني أفكر جَدِّيًا في السفر ولكن ينقصني الصحبة، وحيث إن هذا كان صديقي من أيام المدرسة، وظننت -من عشمي- أنه سيكون أقرب إليَّ من الآخرين؛ فقد رَحَّبَ بأن أنضم إليه هو وأقاربه، ومن هنا تحمست، وبدأت رحلة الاستعداد إلى السفر، وكانت المرحلة الأولى هي إقناع أهلي بأن أسافر هذا الصيف للتجربة والفسحة، وكنت أعلم أن أهلي لا يعارضون لأجل المال، ولكن لأنهم فعلًا خائفون من أن يحدث لي مكروه في هذه الرحلة الغريبة الخارجة تمامًا عن سيطرتهم، وحيث إنني كنت الولد الشقي،

وأخي كان الفرع العاقل؛ فحاول -جزاه الله خيرًا- أن يقنعني بألا أسافر، واقترح أن أستثمر وقتي في شيء مفيد في الصيف، وكانت فعلًا أفكاره جيدة، ولكن النورس القابع داخلي كان يرغب في الرحيل المؤقت كتمرين على الهجرة، وبعد جدال وإقناع وافقت العائلة، وكل بداخله مخاوفه؛ فأبي -وإن ظهرت عليه اللامبالاة- اكتشفت كم كان قلقًا سعيدًا بهذه المغامرة، بداخله حماس وإيمان شديدان بأن ابنه الشقي يستطيع أن يفعل شيئًا، وأمي كانت خائفةً وقلقةً ومرعوبةً من أن يحدث لي مكروه، وأخي العاقل كان يرغب بحسه الرقيق أن يشجعني على هذه الخطوة رغم قلقه وخوفه من عواقب الرحلة.

بدأ النورس الصغير يحبو في طريق الرحيل، وكان بحق طريقًا يستحق العناء والتجربة؛ فلا زلت حتى الآن أدين بالفضل لهذه الرحلة في إكمال دورة حياتي وعبوري هضبة الهجرة الصعبة والتغلب على الحنين للوطن الذي نشأت فيه؛ ففيها تعلمت ما لم أكن لأتعلمه في أي مدرسة، ورأيت ما لم أكن أتوقع أنه موجود.

المكان: القاهرة الكبرى- ميدان التحرير.

الوقت: حوالي السادسة صباحًا.

أحد أيام شهر إبريل من عام ١٩٩٨م.

obeikan.com

اليوم هو يوم العبور إلى الحلم، يوم مقابلة السفارة الأمريكية لأجل التأشيرة. بدت القاهرة جميلةً وهادئةً وأنا أخترقها قادمًا من الطريق الصحراوي إلى ميدان التحرير، ثم من ميدان التحرير مخترقًا فندق شبرد وسميراميس إلى السفارة الأمريكية. أتذكر جيدًا الارتباك الذي كان يعتريني في هذه اللحظات، ومحاولتي استرجاع كل الكلمات التي حاول الجميع إملائي إياها؛ حتى أنجح في هذا الامتحان الذي سيستمر لمدة لا تزيد عن خمس دقائق. كان النهار على وشك البزوغ وأنا أحاول -وبحركات عصبية- أن أتأكد من أن الأوراق والمال لا يزال معي، ورغم أني كنت ممسكًا به بقوة شديدة، ولكني واصلت هذه الحركة العصبية كلما جرفني التفكير إلى ما سوف يحدث في البضع ساعات القادمة.

بالطبع إن دخول السفارة الأمريكية لا تجدي معه أية واسطة مما يعرف أبي أو أي إنسان في محيط معارفه؛ لذا كان عَلَيَّ أن أخوض هذه التجربة بمفردي كُلِّيَةً بلا مساعدة أو مساندة من أحد، خاصةً أن والدي في آخر جدال بيننا أكد لي أن خططي ورغباتي يجب أن أتحملها وحيدًا، وأنه سيجيب رغبتي ويساعدني فقط في حجز التذاكر ومصاريف تكفيني حتى أجد عملًا لا أكثر ولا أقل؛ وعلل ذلك بسبب بسيط هو أنه لا يستطيع أن يفعل أكثر من ذلك، وعلى الرغم من قسوة كلماته التي وضعت فوق كاهلي مسئولية كل شيء إلا إنني لم أغضب منه؛ لاقتناعي التام بأنه فعلًا لا يستطيع فعل أكثر من ذلك، ولكن هل سأنجح؟؟ إن شاء الله

سأنجح فيما نويت.. كل هذا مر في رأسي وأنا أخترق ميدان التحرير، مرورًا بميدان سيمون بوليفار ومسجد عمر مكرم، وطيلة المشوار -ورغم كل ما مَرَّ في رأسي من سيناريوهات- كنت واثقًا من أنني سأكون من أوائل الواصلين أمام السفارة، ولكن المشهد الذي رأيته حين وصلت أمام مبنى السفارة الأمريكية هو ما لم أتخيله. أمام السفارة في الناحية المقابلة توجد بازارات سياحية ومحلات صغيرة، وأمام السفارة وبطول الطريق توجد أشجار كثيفة نادرة تظلل الطريق وتجعل ضوء النهار لا يتوغل في الشارع بقوة، وقد كانت أمريكا في هذه الأوقات بلدًا هادئةً لا يوجد مشاكل بينها وبين أي دولة، ولذلك كان مسموحًا في هذا الوقت أن تمر السيارات من هذا الطريق الذي أطلق عليه شارع قصر الدوبارة.

كان في هذه المساحة الصغيرة جدًا كم هائل من البشر، منهم من ينام تحت الأشجار، ومنهم من ينام على أبواب المحلات، ومنهم من يتكلم مع أناس آخرين، ولكن بالطبع لم أتخيل أن أجد كل هذا العدد ممن يمتلكون نفس الحلم.. حلم الذهاب بعيدًا.

ما رأيته في البضع ساعات التالية هو ما جعلني متذكرًا هذا اليوم بتفاصيله؛ لأن ما كان يحدث على أعتاب سفارة أكبر دولة في العالم تؤمن بحقوق الإنسان لم يكن يمت للإنسانية بأي شيء.



obeikan.com

المهم أنني ظللت واقفًا منتظرًا مع الحشود، ولا أعرف ما هي الخطوة التالية، وما سمعته من الجماعات حولي حواراتٍ مطولةً لا تخلو من الصدق ولكن تمتلئ بالخيال الواسع الذي يتمتع به المصريون، ولكن لم يكن أمامي بد من أن أنتظر وأتبع الجماعة، وفجأة ظهر ضابط شرطة يخرج من بوابة السفارة ويلوح بيده؛ فإذا بهذه الكتلة البشرية كلها وفي نفس الوقت تجري عابرةً الطريق وقافزةً فوق الحواجز؛ حتى تأخذ مكانًا، وكان هذا باستعمال نظرية داروين التي تؤكد أن البقاء للأقوى، وأمام هذا المنظر وجدتني وبعفوية أركض كالثور الهائج؛ محاولًا أن آخذ مكانًا في هذه المعركة؛ حتى انهال هذا الضابط على الجميع بوابلٍ من السباب المحترم نوعًا ما، طالبًا من الجميع أن يعودوا مرةً أخرى إلى الناحية المقابلة، وإذا بقطيع الثيران يعود إلى مكانه مترقبًا تلويحة الضابط، والذي بدا سعيدًا مستبشرًا، والجميع ينتظرون إشارة جنابه للتقدم، وفجأة لَوَّح الضابط القائد، وإذ بالثيران الهائجة تتحرك بقوة نحو الهدف وهو جدار السفارة؛ حتى يكون الترتيب قريبًا، ولأنني من سكان الإسكندرية، ولخوفي الشديد من تأجيل لقائي للغد؛ جعلني ذلك من أكثرهم حرصًا على الوقوف في مكان قريب، ولكن حماستي تفتتت أمام قوة الإخوة الفلاحين والصعايدة، الذين لا أعلم إذا كانوا يعرفون اسم أمريكا بالكامل إيه!!

الحمد لله وفقني الله لمكان قريب، بعد خمسين فردًا تقريبًا، وبدأ العساكر في توزيع استمارات القبول، وأثناء التوزيع كان الأمر لا يخلو من توبيخ أو سخرية من أحد الشباب، ولكن الملاحظ أن الكل ساكت صامد، وكأن لسان حال الجميع يقول: لأجل جمال الورد نتحمل الأشواك ، وبدأت في كتابة بياناتي في الاستمارة ملاحظًا أن هناك من حولي البعض ممن لا يعرف كيف يكتب اسمه باللغة الإنجليزية، ولأنني كنت مرهقًا جدًا؛ فلم أتبادل أطراف الحديث مع أي شخص، مكتفيًا بالإنصات إلى ما يتحدثون فيه مع بعضهم، وكله منصب في كشف الحساب في البنك، وكيف سيرد حين تسأله أو يسأله الموظف، مع قصص نسجها البعض من وحي الخيال، والعجيب أن منهم مَنْ كان مقتنعًا بها، بل ووصل الأمر إلى أن بعضهم تمنى أن تكون المقابلة مع موظف معين غير الآخر؛ لأن ذاك مشهور بأنه لا يعطي الفيزا لأحد.

في هذه اللحظات بدأت أشعر بالحزن الشديد؛ لأني اكتشفت أن هذا الشعب الطيب يحلم بالرحيل من هذا البلد -والذي لم أكن أراه بهذا السوء آنذاك- بأي طريقة، متعلقًا بأمل ضئيل وهو أن توافق أمريكا على دخوله؛ فيخرج من بئر الكوابيس إلى أرض الأحلام. والحقيقة أنني -وبالعين المجردة- كنت متأكدًا من أن أناسًا معينين لن ينجحوا في المقابلة؛ ليس تقليلًا منهم ولكن لأنه -وببساطة- من غير المنطقي أن يوافق أي موظف أو يقتنع بأن هذا الشخص الغلبان سيسافر إلى أمريكا

ليتنزه ويعود، فأنا كنت أشعر أن هؤلاء الحالمين إذا خرجوا من مصر إلى أمريكا سيمكثون هناك حتى الممات.

بعد فترة انتظار طويلة دخلت إلى السفارة، والتي تتميز بتأمين شديد وإجراءات أمنية أشد، من تفتيش مختلف، وبوابات إلكترونية، حتى دخلنا في ساحةٍ كبيرة يجلس فيها بشر ليسوا بالقليلين ينتظرون لحظة الحسم، دفعت الرسوم بعد طابور طويل وانتظرت كالآخرين أن أسمع اسمي ورقم الشباك، ورغم ارتباكي إلا إنني كنت واثقًا وبشدة في سهولة مهمتي؛ فأنا طالب في جامعة خاصة تابعة للنظام الأمريكي، وأتكلم الإنجليزية بطلاقة، وانتهزت فرصة الانتظار في المراهنة مع نفسي على كل شخص، وهل سيُرفض أم سيُعطَى التأشيرة، وفي معظم الأوقات كنت أكسب الرهان؛ مما زاد ثقتي بنفسي، ولكن ما آلمني ما رأيته من انهيار بعض الرجال حين يسمع أن طلبه رُفض، وكيف كانوا يصرخون ويتوسلون ويولولون؛ حتى يأتي فرد الأمن ويخرجهم خارج الجنة مرةً أخرى.

حقًا.. لك الله يا مصر، ما أطيب هذا الشعب المسكين الذي يرغب في ترك بيته والهجرة! ولكن حتى حين أراد الرحيل لم يرحمه السجان!! وأنا سارح أفكر سمعت اسمي ورقم الشباك؛ فذهبت مسرعًا إلى التليفون، وظللت أنظر إلى وجه المرأة العجوز التي كانت تستجوبني،

ولوهلة فكرت: من تكون هذه المرأة؟ وما هي كنيتها في بلدها حتى تتحكم في مصير شعب عظيم مثل شعب مصر؟؟

اللقاء لم يستمر بضع دقائق، سألتني فيها سؤالين أوثلاثة عن دراستي، وماذا سأفعل في الولايات المتحدة الأمريكية. ثم ابتسمت طالبةً مني الحضور في تمام الرابعة بعد الظهر؛ لاستلام جواز سفري ممهورًا بتأشيرة أمريكا. وحقًّا كانت سعادتي لا توصف بنجاحي في هذا الاختبار الصعب، وكان ذلك بمثابة عبور أول عراقيل الرحلة إلى السماء.. إلى الحرية والاعتماد على النفس...

لفحني هواء البحر المنعش مع ارتفاع درجة الحرارة بارتفاع قرص الشمس في السماء، ومعه ارتفعت الأصوات المتداخلة للكلاكسات والمكابح القوية وأصوات المارة والتي كانت كفيلةً أن تقطع شريط حياتي والذي كان يمر أمامي سريعًا، خاصةً وأنا أرى نورسًا صغيرًا فوق صخرة ينظر إلى السماء وكأنه يطلب المدد من المولى؛ ليتشجع على التحليق عاليًا والبحث عن رزقه. قررت أن أتمشى قليلًا على الكورنيش كما نطلق عليه في الإسكندرية؛ لأستمتع بالهواء الطلق؛ فقد سئمت الهواء الصناعي الذي أعيش فيه باستمرار في دول الخليج.

خرجت من السفارة الأمريكية ذاك اليوم وأنا سعيد أنظر إلى إيصال الاستلام كل دقيقة، وكأنني لا أصدق أن العقبة الأولى والأخيرة -في

اعتقادي- قد ذهبت، وفي حركة لا إرادية نظرت إلى الطابور المنتظر على جدار السفارة، ووجدته أطول مما كان في الصباح، وتعجبت خاصةً من أننا في أيام دراسة وفي وسط الأسبوع، ظللت أدور في القاهرة، ولكني لم أبعد عن ميدان التحرير؛ خوفًا من أن يفوتني الموعد المحدد لاستلام الجواز والأهم: التأشيرة، ومَرَّ الوقت ثقيلًا مملًا، خاصةً وأن القاهرة في هذا الوقت كانت تكتظ بالبشر والأصوات والسيارات والحافلات والتلوث الغير عادي في هذه المنطقة وسط وقلب العاصمة، ولكني تحملت ثقل الوقت وبطئه إلى أن جاءت الساعة الرابعة، ذهبت مسرعًا إلى السفارة ودخلت بالإيصال وتسلمت الجواز، ولكن لم يكن عليه التأشيرة!! فارتبكت وكدت أبكي، حتى ناداني موظف بالسفارة وطلب مني الحضور في الغد؛ لأنهم يرغبون في إعادة سؤالي.

كان ذلك بالنسبة لي الصدمة الحقيقية؛ فأنا كنت صاحب الأفضلية في هذا الحدث، فلم يحك لي أحد أن حدث معه أي شيء مشابه، الكل كان يؤكد أن الامتحان ينتهي بالابتسامة وطلب الحضور في الرابعة لا أكثر ولا أقل.

تمالكت نفسي وشجعتني ابتسامة الموظف لأسأله إن كان ذلك يعني أن التأشيرة رفضت، ولكنه طمأنني أن هناك لبس أو تشابه أسماء، وأن

المشكلة سَتُحَلّ غدًا، وأنني لا أحتاج أن أقف في الطوابير الطويلة، فقط أتكلم مع الضابط خارج السفارة وسيدخلني في الحال.

اتصلت بابن عمي وحكيت له القصة، وكان بالصدفة قريبًا من السفارة؛ فأخذني معه في طريقه لأبيت الليلة عند عمي في مصر الجديدة، وكانت فرصةً طيبةً أن أرى ابن عمي وعمي والعائلة، وخرجت مع ابن عمي وأصدقائه محاولًا أن أخرج من الحالة الغريبة من اليأس التي انتابتني، على الرغم من طمأنة الجميع لي بأن ذلك يحدث في أحسن العائلات ومع أشهر الشخصيات.

في السادسة صباحًا صحوت من النوم مفزوعًا؛ فلم أكن غفوت طيلة الليلة أفكر فيما قد يحدث في السفارة، ولكني ذهبت هادئ الأعصاب بعد أن قررت بيني وبين نفسي أن كل اللي يجيبه ربنا كويس.

وصلت إلى السفارة ووجدت نفس المنظر، ولكنها وجوه جديدة.. لا حول ولا قوة إلا بالله.. ألهذه الدرجة ضاق بنا هذا البلد ولا نطيق الحياة فيه؟! المهم أني دخلت السفارة بسهولة كما قال لي الرجل السمح، وبعد محادثات قليلة اكتشفوا أن هناك بالفعل تشابه أسماء بيني وبين رجل دخل أمريكا وهرب، وتاريخ ميلاده ١٩٦٩، وبعد حوالي ساعتين من الاستجواب المتواصل تم حل المشكلة، وأصبحت رسميًا حاملًا لتأشيرة أمريكا.

مَرَّ الجزء الصعب من الإعداد للانطلاق في المغامرة، الباقي -من وجهة نظري- كان الجزء السهل، وبالفعل كلمت صديقي لنتفق على التفاصيل، ولكني فوجئت به قد حجز تذكرته يوم ٢٥ يونيو على مصر للطيران رحلة نيويورك، وكانت مفاجأةً لي، ولكن وجهة نظره أنه لم يرغب في أن يترك أقربائه، وحاول أن يطمئنني بأنني -إن شاء الله- سأجد مكانًا، ولكن للآسف لم أجد مكانًا إلا في طائرة اليوم التالي. من ضمن مَنْ كانوا مسافرين من الدفعة صديق تصادف أننا كنا جالسين في قهوة، وبالصدفة قابلنا صديق الدراسة ورفيق الرحلة المنتظر، " بعد أن تركنا صديق الدراسة اعترف لي صديق الدفعة بأنه مش مستريح له، وأكد لي أن أمريكا ليست سهلةً؛ فمطار نيويورك مطار كبير، وهناك إذا سألت أحدًا عن شيء فلن يجيبك، حتى إنني أذكر أنه عَلَّق بأن السما بعيدة مش زي السما بتاعتنا!!

لم يجد ما يعبر به عن مخاوفه ومما شعر به من عدم ارتياح لرفيق الرحلة المنتظر، أما أنا فلم أفكر أو أشعر بالخوف ولو للحظة واحدة من رفيق الرحلة أو من قدرتي على التكيف مع الوضع أيًّا كان، ووثقت في أنني قادر على الخروج من أي مأزق -بإذن الله- مؤمنًا بنجاحي الأكيد وإثبات أن النورس يمكنه أن يطير.

لا أجد ما أصف به ما كان يجول بداخلي؛ فالعائلة كلها في بيتنا، وأبي وأمي وأخي كل نظراتهم تمتلئ بالقلق الذي بالطبع فات أوانه؛ لذا فهم يريدون استبدال الخوف بالثقة ، والتأكيد على أن كل شيء كويس، وبالطبع كل أصحاب أخي وأخي نفسه أعطوني كمًّا هائلًا من الأرقام لأصحاب وأقارب في أمريكا في ولايات مختلفة، كل ذلك كان ممتازًا، ولكن ما كان يقلقني أن رفيق الرحلة سافر ولم يتصل ليعطيني رقم تليفونه هناك، أو المكان الذي يقيم فيه حتى نلتقي، ولكني كنت متأكدًا من أنه سيتصل بي بأية طريقة.

في هذه الأحيان صديق الدفعة أكد عَلَيَّ قبل سفره أن أتصل به وقت وصولي لنيويورك؛ ليطمئن عَلَيَّ داعيًا الله أن يخيب ظنه في رفيق الرحلة.

وسافرت إلى القاهرة لأركب الطائرة وأطير بعيدًا عن مصر، وبرغم رغبتي الشديدة في السفر إلا إنني انتابني شعور بالغربة والحنين والخوف الشديد والقلق من الفشل حين تركت الإسكندرية.

في المطار تماسكت وأنا أودع أهلي، وتماسك أهلي كلٌ على قدر استطاعته، ولكني لم أتمالك دموعي بعد أن أعطيتهم ظهري؛ فقد عرفت قيمة الطمأنينة، وكم تمنيت في هذه اللحظة أن أعود! ولكن تملكني الكبر، كما إنه قد فات أوان الرجعة، وإنني كنت أرغب في الطيران

الحقيقي بعيدًا عن السرب الذي قرر ألا يهاجر. ولكن -وفي ظل هذه المشاعر- كان هناك قلق وخوف؛ فأنا لا أعرف ماذا سأفعل بعد الوصول؛ حيث إن كل المحاولات للوصول للرفيق فشلت فشلًا ذريعًا، ولم يتبق لي غير صديق الدفعة الذي قرر أن يمدد ميعاد سفره إلى ولاية أخرى حتى يطمئن على أحوالي، ولكن فات الأوان، النورس يجب أن يطير وربنا يستر، وبالفعل طار النورس وابتعد وابتعد، حتى لم يعد يرى آثار بلاده خلفه، معلنًا الهجرة وحيدًا، الهجرة إلى المجهول.

أُغلقت أبواب الطائرة إيذانًا بعبور خط الرجعة، فالآن بدأت المغامرة، ولا يمكن بأي حالٍ من الأحوال الارتداد للخلف؛ فلا يوجد أمامي غير حل واحد هو مواجهة عواقب المغامرة التي أقدمت عليها ومواجهة المصير الذي كتبه لي الله، ولوهلة تخيلت أهلي الذين تركتهم لتوي.. من المؤكد أن أمي تبكي قلقًا، وأبي قلق بالتأكيد، ولكن كعادته يداري قلقه في شيء آخر، وأخي بالتأكيد يفكر فيما سأواجهه متمنيًا لي التوفيق، ولكني أعرف أنهم وبعد فترةٍ قصيرة ستلهيهم الحياة كما ستلهيني حياتي القادمة المجهولة تمامًا، كل ذلك كان يدور في رأسي وأنا أنظر إلى مصر وهي تبتعد والطائرة تخترق السحاب متجهةً إلى المجهول. المسافة من القاهرة إلى نيويورك حوالي ثلاث عشرة ساعة من الطيران، لم أكن أتخيل كيف سيمر الوقت الطويل، حاولت أن أنام ولكن فشلت؛ لأن الله ابتلانا جميعًا بمجموعة من طلبة كلية صيدلة الذين كانوا في

الحقيقة قمة في السخف وقلة الذوق، فظلوا يطبلون ويغنون وكأننا في أتوبيس رحلات القناطر الخيرية، وفي وسط هذا الضجيج والجليطة جاء في ذهني سؤال: ماذا سأفعل بعد الوصول إلى المطار؟؟؟ الرفيق لم يتصل حتى تركت البلد، والأمل الوحيد أن يتصل بصديقي في نيويورك كما كان الاتفاق ليعلمه بمكانه، وتفاصيل المكان الذي سنلتقي فيه، جلست ولأول مرة في حياتي أحسب الاحتمالات وأسأل نفسي ماذا لو؛ وذلك لشعوري بأنني لا أعرف القادم ولا أتحكم في أي شيء، ولا يوجد من ينجدني ويخرجني من أي ورطة؛ فلقد تركت الأمان باختياري، كان ذلك بالطبع مقلقًا مدمرًا لشاب مثلي لم ير المجهول في حياته ولم يواجهه أبدًا من قبل.

هبطت الطائرة في مطار جون ف. كنيدي في نيويورك، واحد من أكبر مطارات العالم، يهبط ويقلع منه في اليوم الواحد آلاف الرحلات، خرجنا جميعًا من الطائرة في انتظار المرور على الجوازات للاستجواب؛ حتى نحصل على الإقامة، وكانت إحدى المراحل الصعبة في المغامرة؛ لأن الموظف الذي يستجوبك يمكن أن يعيدك إلى بلدك مرةً أخرى إذا شك في نواياك، وحتى دون إبداء أسباب أو دون أية مسئولية واقعة عليه، ما أدهشني أن الشباب اللطيف قليل الذوق الذي كان يرافقنا طوال الرحلة وعندما وصلنا مكان الاستجواب بدرت منهم بعض الضوضاء، وكعادة المصريين دائمًا يعشقون الضوضاء والهرجلة؛ مما جعل رجلًا

ضخمًا مدججًا بالأسلحة المخصصة لمكافحة الشغب أسود أقرع غليظ القسمات ينظر إلى هؤلاء الشباب نظرةً محذرةً قائلًا في صوتٍ جهوري، وبلهجة حاسمة غير قابلة للنقاش، طالبًا من الجميع التزام الهدوء والالتزام بالطابور على الخط الأسود المرسوم على الأرض، وفي ثانية توقف الجميع عن الكلام، وانتظم الطابور الذي كان يتفقده الوحش الأسود من حينٍ لآخر، ظللت أفكر: هل كلم الرفيق صديقي؟؟ وإن لم يكن كلمه ماذا سأفعل؟؟؟؟!!! حتى أتى دوري فذهبت للاستجواب الذي كان خفيفًا جدًا، وبعدها أعطاني الإقامة لمدة ستة أشهر في الولايات المتحدة الأمريكية.

بعد أن تسلمت الحقيبة، وخرجت في ساحة المطار الواسعة، شعرت لأول مرة بأنني وحيد عاجز عن التصرف، وتذكرت تحذيرات صديقي؛ فحاولت أن أستوقف أحدًا ليساعدني، ولكن الجميع كانوا يبتعدون ولا يردون، حتى رد في النهاية رجل مشيرًا إلى مكتب بعيد مكتوب عليه (الاستعلامات)، ذهبت إلى هناك؛ لأسأل عن مكان تليفون لأتصل بصديقي؛ لعل عنده أخبار جيدة، ولكنه حين رد أكد لي مخاوفي؛ فلم يتصل الرفيق صديق المدرسة، فاتصلت بأمي وطمأنتها أن كل شيء تمام سائلًا إذا كان رفيقي قد اتصل؛ فكانت المفاجأة أن أمي اتصلت بأمه التي أجابتها أنه اتصل طمأنها، ولم يقل لها أية معلومات عن نفسه،

وحين طلبت منها أمي أن تتصل بها مرةً أخرى؛ بكل حزم طلبت منها ألا تفعل ذلك؛ لأن ابنها لن يتصل بها مرةً أخرى.

كانت هذه الكلمات بمثابة الصدمة الأولى في هذه المغامرة، وصف لي صديقي بيت ابن عمته، طالبًا مني أن أقضي معه يومين في نيويورك قبل أن يرحل إلى ولاية أخرى ليعمل فيها عند أقاربه، حقًا أعطاني صديقي هذا مثالًا للإنسان المحترم المتربى الطيب، وكان بحق طوق النجاة لي في هذه الظروف الصعبة.

بعد عناء وبحث مضنٍ وصلت في النهاية إلى صديقي، وفي أثناء الرحلة كانت السماء فعلًا تبدو بعيدةً، السحب متراكمة والمطر ينزل، ولكن الجو حار والشوارع واسعة منظمة جدًا، حين وصلت عند صديقي كنت فرحًا جدًا، وما أتذكره أنني كنت على وشك البكاء، حتى إنني فكرت جديًا في العودة إلى مصر وغلق باب هذه المغامرة، بعد السلامات مع صديقي وعدني أن يكلم أقاربه ربما يقبلون أن أعمل معه عندهم، وقد استبشرت خيرًا؛ فلماذا يرفضون؟ ولكنهم رفضوا دون إبداء أسباب، واعتذر لي صديقي، وحكى لي قصة صاحب الشقة القذرة جدًا والفقيرة في حي يدعى برونكس في نيويورك، والمليء بالقمامة والبشر الغرباء، حكى لي كيف عانى مع مصريين، وكيف حارب لأجل البقاء والعمل، وكيف خذله أهل بلده في الغربة.

حقًا كنت متعجبًا مما أسمع؛ فكيف يطيق إنسان أن ينام ويعيش وهو يعرف أنه كان السبب في إيذاء واحد من أبناء بلده؟! ألهذه الدرجة وصل بالناس الحال؟! صادفت صاحب الشقة في صباح اليوم الذي كان صديقي سيرحل فيه، كان يبدو إنسانًا محترمًا، ولكن ما مررت به جعلني أشك في كل مصري في هذا المكان، وقبل أن يسافر صديقي تلقيت مكالمةً من أمي تزف لي خبرًا سعيدًا بأن شقيقة واحدة من صديقاتها تعيش في أمريكا في ولاية ميتشجان، وأنها على اتصال بهم، ووعدها زوجها أن يساعدني في إيجاد فرصة عمل في الولاية التي تبعد عن نيويورك حوالي ثلاث ساعات طيران.. حقًا أنت عظيمة يا أمي، وحقًا أقرب الناس لي هم أهلي وليسوا أصدقائي الذين كنت أفضلهم على أهلي في يوم من الأيام، وكم كنت غبيًا!! واتصلت بالرجل وقال إنه حجز لي تذكرةً ولكن بعد يومين من مطار في ولاية نيوجيرسي القريبة من نيويورك، فما كان من صديقي إلا أن عَرَضَ عَلَيَّ أن أنتظر مع قريبه حتى يوم سفري، وبالطبع حمدت ربي، وظننت أن المحنة قد مرت بسلام.

ليس دائمًا ما يظنه المرء يجده، وكان هذا ما حدث؛ فبعد أن سافر صديقي اتصل قريبه في البيت فرددت عليه؛ فسألني بمنتهى قلة الذوق عن سبب بقائي في البيت، وكانت لهجته مختلفةً عن لهجته في الصباح، وكان الوقت حوالي العاشرة مساءً، والهدوء يسود المنطقة الخطيرة من مدينة نيويورك، وإذا به يطلب مني الرحيل الفوري من البيت، وأنه إذا

أتى إلى البيت ووجدني سيطلب الشرطة. وحقًا صعقت وانهمرت دموعي في صمت وأنا أسمع هذا الإنسان يتكلم، وتذكرت الرفيق النذل، ومرت أمامي الأحداث ووجدتني أغلق الهاتف في وجهه، واكفَهَرَّ وجهي وملأني التحدي أن أتغلب على هؤلاء البشر الحثالة الأنذال، الذين للأسف يُطلق عليهم مصريون، وكانوا يومًا يعيشون معنا في مدينة واحدة، فأخذت حقيبتي وقررت الرحيل في هذا الوقت المتأخر وإن كلفني ذلك حياتي.

أثناء استعدادي للرحلة وأنا في مصر، طبع لي أخي من الإنترنت أسماء بيوت الشباب في ولاية نيويورك ونيوجيرسي وأعطاهم لي ربما أحتاجهم، وبالفعل فتحت الورقة ووجدت المدينة التي سأسافر منها بها بيت شباب، ووجدت رقم التليفون والعنوان، فكلمتهم قبل أن أترك البيت، وحجزت غرفةً وقررت أن أبدأ رحلة الذهاب إلى بيت الشباب. لم أنس أن أترك لهذا الحقير مبلغًا من المال تعويضًا على الإفطار الذي أفطرته في بيته والإقامة في شقته القذرة لمدة يومين، وكان مبلغًا جيدًا تركته له مع كلمتي شكر لم يكن يستحقهم.

خرجت وأنا يتملكني خوف شديد لم ينتابني من قبل في حياتي؛ فلأول مرة أجد نفسي في وسط المجهول لا أعرف من أين ولا إلى أين، معي حقيبتي وأموال في جيبي وتذكرة عودة لمصر، إن فقدتهم فقد فقدت

حياتي؛ فلذلك قررت أن الحالة إن وصلت إلى أن تضيع هذه الأشياء فسأدافع عنها حتى أموت دونها، كان هناك محل يملكه رجل باكستاني مسلم كنت أنا وصديقي نشتري منه بطاقات الهاتف، كان رجلًا مسلمًا وقد كان ودودًا يتحدث معنا بودٍّ شديد؛ لأنه تقريبًا كان له قريب تعلم في الأزهر وحكى له عن مصر، لا أدري لم قفز هذا الرجل لذهني ودعوت الله أن أجده في المحل، فذهبت إليه، وبدون خجل سردت له ما حدث، وأنني أريد منه المساعدة، وكنت حقًا لا أنتظر منه شيئًا، وكيف أنتظر من الباكستاني ما لم يفعله المصري؟؟! ولكن الرجل طلب مني أن أنتظر قليلًا، وأصر أن أختار شيئًا من محله لآكله على حسابه حتى يأتي أخوه ليوصلني، وما فهمته أن أخاه كان سائق تاكسي في نيويورك.. حقًا بكيت بشدة، وحمدت ربي على أنه أنقذني، ولكن ظلت صورة الرفيق النذل وهذا الحقير لا تفارق خيالي.

بعد وقتٍ ليس بالقصير وصلت -وفي منتصف الليل تقريبًا- إلى بيت الشباب، وأتذكر أن الرجل رفض وبشدة أن يأخذ مني أي مال، إلا إنني أصريت أن أعطيه البنديرة وأزيد عليها؛ لأنه حقًا أنقذ حياتي، وودعني الرجل طالبًا مني أن أنتبه لحالي متمنيًا لي التوفيق، ودخلت إلى بيت الشباب في منتصف الليل شاعرًا أن شيئًا ثمينًا بداخلي انكسر؛ فقد هوى النورس الذي بداخلي بشدة على جذور رقبته وانكسرت أجنحته التي حطمتها الصدمة والغربة والوحدة.

وصلت إلى بيت الشباب بعد منتصف ليلة حقًا لا أنساها إلى الآن، ليلة اكتملت فيها شخصيتي؛ ففي هذه الليلة عرفت شعورًا جديدًا لم يكن قد مر عَلَيَّ من قبل، وهو الشعور بالكره؛ فالكراهية كانت بالنسبة لي قبل هذه الليلة شعورًا لا يتعدى النفور، وهو شعور طبيعي نمر به جميعًا عندما ننفر من طعام أو من أحد الزملاء في المدرسة، وأقصى ما يمكن أن يفعله النفور هو إبعادك عما تنفر عنه ولكن في هذا اليوم شعرت برغبة شديدة في الانتقام والكره الشديد لصديق المدرسة والشخص عديم الإنسانية الذي وضعني في مواجهة المجهول والموت خوفًا.

في هذه الليلة تعلمت معنى الخوف، وعرفت ماذا يعني أن ترتعد فرائص أحد، وعلمت أيضًا وتأكدت أن الله -سبحانه وتعالى- عطوف رحيم بعباده، وأنني محظوظ لأن الله أعطاني هذه الفرصة لأدرك أنني لا شيء، وأنني -بمنتهى السهولة- يمكن أن أضيع لولا رحمته وعطفه، ولكن حقًا لا أتذكر أنني ابتسمت؛ كان وجهي مُكْفَهِرًّا وعقلي يعمل بجد وتواصل؛ فالخطر لم يَزُل، ولا زالت المغامرة مليئةً بالمجهول والكثير من الحسابات المعقدة، كل هذا مَرَّ في رأسي وأنا أقف أمام السيدة الإفريقية الأمريكية التي استقبلتني بابتسامة، وبعد حوار قصير قادتني إلى غرفتي في بيت الشباب.

في الطريق من الاستقبال إلى الغرفة أيقنت أنني في مكان خطير؛ فالزنوج لهم شكل غريب، يفترشون الأرض ويضحكون بصوتٍ مرتفع، وكانوا ينظرون إليّ وأنا أخترقهم نظرة استكشاف غريبة وبها تحدٍّ، وكأنهم يرغبون في إعلامي بأنهم هنا الرؤساء، ولكن حقيقة الأمر لم أكن خائفًا؛ ربما لأنني اعتدت الخوف، أو لأن قواي قد خارت.

وصلت إلى غرفتي الصغيرة المكونة من سرير ودولاب صغير، وقد شرحت لي السيدة أن الحمام مشترك، وأن الباب ليس له قفل، وتمنت لي التوفيق. نظرت إلى الغرفة الضيقة محاولًا أن أجد طريقةً لأصد بها باب الغرفة تفاديًا لأي هجوم؛ خاصةً أنني لا زلت أحمل مبلغًا من المال وتذكرة العودة وحقيبة ملابسي، ولا زال قَسَم حمايتهم ساريًا؛ ولذلك حَرَّكْتُ الفِرَاش في اتجاه الباب، وقررت أن أنام بكامل ملابسي، ووضعت رأسي على الوسادة والتي بدت قذرةً بعض الشيء، واسترجعت أحداث الليلة، واكْفَهَرَّ وجهي مرةً أخرى.

صحوت مبكرًا، وكان يوم الأحد، وهو يوم عطلة في أمريكا، ورغم تعبي الشديد إلا إنني لم أنم أكثر من خمس ساعات، ولكني أفقت ونظرت من الشرفة؛ فوجدت كنيسةً كبيرةً -تقريبًا هي أكبر كنيسة في المدينة- في الجهة المقابلة؛ فقد كان بيت الشباب يطل على طريق رئيسي في هذه البلدة التي تدعي نويرك في ولاية نيوجيرسي، ومن بعيد كانت تظهر

نيويورك بناطحات السحاب، كانت الشمس ساطعةً ولا يوجد سحب في السماء البعيدة النقية، وكان الطريق العمومي هادئًا في هذا الوقت المبكر من اليوم، فجأةً تذكرت أنني لم أبلغ أمي برحيلي، وبالطبع لم أبلغ الرجل الذي سينتظرني، وربما يكونون يحاولون الاتصال بي في نيويورك، ويعلم الله ماذا قال لهم هذا الانسان، وظللت أفكر بسرعة وفي كل الاتجاهات: كيف سأطمئن أمي؟ وتُرَى كيف هي الآن؟ أكيد قلقة جدًا، قررت أن أخرج لأبحث عن كارت تليفون لأكلم أمي والرجل في ميتشجان، فذهبت إلى الاستقبال أحمل شنطة ظهر لأسأل من أين لي أن أشتري كارت تليفون وآكل شيئًا، فلم أكن قد أكلت شيئًا منذ فترةٍ طويلة، فدلتني السيدة على متجر قريب، واكتشفت أن هناك مطعم في الجهة المقابلة لبيت الشباب، بل وعلقت السيدة بأن المحل يعمل به مصريون وابتسمت، ولكني لم أبتسم، وقررت ألا أريهم أنني مصري وأن أتحدث الإنجليزية طوال الوقت؛ لأنني -وبصريح العبارة- لا أطيق أن أنظر في وجه مصري في هذا البلد.

اشتريت كارت التليفون وذهبت إلى المطعم، فقابلت صاحب المطعم وطلبت طعامًا حلالًا، وجلست لآكل طعامي في هدوء، فإذا بالرجل يأتي ويُعرف نفسه، كان رجلًا من أمريكا الجنوبية من بورتريكو وكان إنسانًا ودودًا ومتحدثًا لبقًا، وقد عرف أنني مصري، وعرض عَلَيَّ العمل معه؛ خاصةً أنني أعيش في بيت الشباب في الجهة المقابلة، ولكني اعتذرت له

بـأدب شـديد شـاكرًا لـه العـرض؛ مـتعللًا بـأنني قـررت العـودة لمصـر والاكتفـاء بمـا رأيتـه؛ فضحك الرجـل وقـال لي: إن كل المصريين الـذين رآهم في حياته سمع منهم هذا الكلام، ثم بعد ذلك لا يتركون أمريكا حتى يموتوا.

لم أبتسم حتى ولو على سبيل المجاملة، وقلت له بلهجة بدت حادةً إنني لسـت كالمصـريين الـذين رآهـم في حياتـه وإنني نـوع آخـر، بعـد أن أكملـت طعـامي شـكرته، ونظـرت إلـى المصـريين الـذين يمسـحون ويغسـلون الصحون ويعملـون في المطبخ نظرةً لا أنكر أنها كانت مليئةً بالاحتقـار، نظرةً لم أعتد أبدًا أن أنظرها لأي إنسان.

كلمت الرجل المحترم في ميتشجان وأطمأننت منه إن كل شيء تمام، ثم كلمت أمي محاولًا أن أمثل عليها أنني بخير وأن كل شيء يسير -الحمد لله- في الطريق الصحيح؛ حتى تطمئن، وأخبرتها أنني لـن أسـتطيع أن أكلمهـا حتى موعد سفري إلى ميتشجان؛ لأن العثور على كارت تليفون صعب في هذه المنطقة، عدت إلى بيت الشباب وقررت ألا أخرج منه إلا على المطار لأركب الطائرة، ولكن شيئًا بداخلي كان خائفًا من أن يكون هذا الرجل مثل بقية المصريين الذين قابلتهم، وفي هذه الحالة أكون قد ابتعدت عن مكان العودة، ولكني حاولت أن أستعيد ثقتي في الحياة وفي نفسي مرةً أخرى، ولكن ظلت الهواجس تراودني وأنا أحاول أن أنام؛ فتارةً أفكر في

صديق المدرسة النذل وأتخيله يسخر مني، بل إنه ظهر لي في الحلم وتخيلت أني أكلمه، وهذا الحقير عديم الإنسانية أتخيله يحكي لصديقه كيف طرد المصري في العاشرة مساءً، وكيف أن المصريين مينفعش معاهم غير كدة: حتى لا يتمادوا فيها، وتخيلت صاحبه وهو يقول له: عين العقل! ويضحكون، وتارةً أتذكر أمي وأبي وأخي كل يوم جمعة على الإفطار ونحن نتحدث عن مختلف جوانب الحياة، وتذكرت المعمورة والعجمي وأصدقائي، ولأول مرة أكتشف أنني وحيد، ورغم كل البشر المحيطين بي إلا إنني أفتقد الصديق الحقيقي، وليس صديق الموسم الذي يظهر حين تظهر المصلحة، ولوهلة مَرَّ أمامي أصدقائي كلهم، واكتشفت أنني لا أملك منهم صديقًا حقيقيًا، وغلبني البكاء، وتارةً أتخيل شكل الرجل الذي سينتظرني في المطار وكيف سيعرفني وأعرفه، وهل يا تُرَى سيكون مختلفًا عن الآخرين؟؟ ثم أستغفر ربي؛ لعل قلبي يطمئن وأنام، أستطيع أن أقول إن هذا اليوم الذي قضيته وحيدًا كان مرحلة الشفاء من الهبل الصبياني وبداية المغامرة الحقيقية المليئة بالمخاطر والصعاب، بداية لعبة الحياة التي إن خسرت فيها تخسر الكثير، وربما تخسر حياتك نفسها، بداية المعركة الحقيقية لأجل البقاء. صحوت في صباح يوم الأمل.. يوم الهجرة الداخلية، ولأول مرة أبتسم منذ وقتٍ طويل، أعدت الفراش إلى مكانه، وقَفَّلْتُ حقيبتي، وتوجهت إلى الاستقبال لأطلب تاكسي إلى مطار نويرك؛ إيذانًا بهجرة أخرى للنورس

الجريح الذي لم يلتئم جرحه بعد، وقسوة الظروف لم تعطه فرصته للاستشفاء، ولكن أعطته المزيد من القوة والإصرار على إثبات أن الألم والجراح تُزيد القوة، فالآن أشعر أن النورس الذي بداخلي بدأت تظهر مخالبه، وهو قادر على ألا يكون صيدًا سهلًا للأوهام والأحلام.

أفقت من ذكرياتي على رنين هاتفي المحمول، وكان ذلك إيذانًا بعودتي إلى أرض الواقع بعد أن اكتشفت أنني ظللت ماشيًا مسافةً لا بأس بها وأنا لا أشعر؛ فلقد تعودت أن أتذكر حياتي دائمًا حتى أعرف أن ما أعيشه الآن هو نعمة ربي الحقيقية، وأن أحمده وأشكر فضله على ما أنا فيه.

نظرت حولي فوجدت نفسي أمام تمثال سعد زغلول الذي نحته نحات مصر الأعظم محمود مختار، وتخيلت هذا الرجل الذي كان عمره ستون عامًا حين قاد ثورة ١٩١٩، ولكنه بدلًا من أن يبني قبرًا قاد ثورةً سَطَّرَهَا التاريخ بحروفٍ من نور، وتخيلت لوهلة هذا الرجل وهو يقول لزوجته: بلا ثورة بلا نيلة، ما احنا الحمد لله عايشين ومستورين، والإنجليز والملك دول ناس زي الفل، واللي يقول غير كده يبقي جاحد.

تخيلته يجلس في حديقة بيت الأمة (اللي غالبًا كان هيتباع بالمتر بعد ما يموت لمستثمر) يحتسي القهوة مع بعض أصدقائه، ويتحدث عن ذكريات دراسته في صفاء جميل. تُرَى.. ماذا كان سيحدث؟؟ ووجدتني أتوماتيكيًا أضحك وأجيب: إن هذا التمثال الذي أصبح معلمًا من



obeikan.com

معالم الإسكندرية لن يكون موجودًا، كان سعد زغلول سيذهب مع من ذهبوا في طَيِّ النسيان، حقًا.. لقد سطر هذا الرجل تاريخًا لنفسه، فقاد ثورةً خرج منها شباب تعلموا منها السياسة وحكموا الدولة، وظل هذا الرجل رمزًا للحرية التي يتمناها كل مصري، ووجدتني لوهلة أحرك رأسي يمينًا ويسارًا وأقول لنفسي: ليت حكام اليوم يقفون أمام هذا التمثال ليعرفوا أن فرصة الخلود لا تأتي كثيرًا.

تحت هذا التمثال لاحظت وجود خيام ولافتات وصور لشباب، وتحتها ما يدل على أنهم شهداء؛ مما أثار فضولي وجعلني أقرر أن أعبر الطريق للحديقة في ميدان سعد زغلول، وعند اقترابي منها وجدت طابورًا يقف فيه شباب ونساء وشابات، وفي آخره رجل غريب قيل إنه يفتش الداخلين إلى حديقة الاعتصام ويتأكد من هوية الداخلين، فوقفت في الطابور حتى أتى دوري.

كان إنسانًا بسيطًا، أشك في أن يكون هو شخصيًا يحمل بطاقةً، فتفحص فِيَّ ثم سمح لي بالدخول، وبعد تَجَوُّلي علمت أن هذا اعتصام أهالي الشهداء لأجل حق أولادهم، ووقفت أستمع إلى شكواهم من التجاهل الحكومي وعدم صرف الإعانات وهكذا، ثم فوجئت بشاب يحكي ظروفه، وكيف إنه فاض به الكيل من كونه متعلمًا وعاطلًا ولا

يستطيع إعالة نفسه، وسمعت الكثيرين يتمنون السفر إلى الخارج، حتى وإن ناموا في الشوارع!!

رغم نبل الرسالة، وسعادتي بحرية التعبير، إلا إنني لم أشعر بالارتياح للجو السياسي الذي كان يحيط بي؛ فشعرت بأن التيارات السياسية تحاول استغلال الدماء الزكية في معركة رخيصة انتخابية، لا تعبر عن الحرية والرؤية الحقيقية للثورة الشعبية، وعلى الرغم من حسن اختيار الرمز والمكان، فإن المتواجدين لم يكونوا على مستوى القضية. خرجت من الاعتصام إلى محطة الرمل، المكان الوحيد في الإسكندرية الذي أشعر بأنه لم يتغير منذ وقتٍ طويل؛ فالمشاهد التي صورت هذا المكان في الأفلام القديمة لم توحِ لنا بأن تغيرًا كبيرًا حدث لهذا المكان، خاصةً وأنت تقف خلف سعد زغلول الذي ينظر وهو يمشي بوقار إلى البحر الذي ترتطم أمواجه بالصخور؛ فتنشر رذاذًا منعشًا، والسماء الصافية، وبوابة الإسكندرية القديمة، كأنه يُحيي القادمين من بعيد مُرَحِّبًا بهم، بعد أن ملأت عيني من هذا المنظر البديع والهواء المنعش الذي ملأ صدري قررت أن أعود إلى البيت بالترام الأزرق، وكالعادة وجدتني أخترق محطة الرمل مارًا ببائعي الكتب الذين طالما اشتريت منهم ألغازًا وقصصًا وأنا صغير، وشعرت بالحنين لأن أقف وأتصفح الكتب التي تُعْرَض في هذه الأيام، وما أثار عجبي هو أن معظم الكتب كانت هي نفس الكتب القديمة والقصص القديمة لنجيب محفوظ وإحسان عبد

القدوس ويوسف إدريس، وكأن نبع الأدب توقف، ومصر لم تعد وَلَّادة أدباء ومثقفين، ولكن بداخلي تمنيت أن تكون الثورة هي بركان المواهب الذي سيفيض على مصر بأدباء جدد وشعراء ومثقفين، أكملت سيري إلى الترام الذي كان واقفًا منتظرًا، وقد كان -كما توقعته- خاليًا إلا من بعض أصحاب المعاشات وربات البيوت، فجلست بجانب الشباك أنظر إلى الإسكندرية، وغلبتني ذكرياتي حين تذكرت الولد الذي كان يتمنى أن يسافر حتى وإن نام في الشارع؛ لأنه مش عارف يعيش، ووجدتني وعند تحرك الترام أغوص مرةً أخري في يومياتي وذكرياتي.

مع تحرك ترام الأسكندرية من محطة الرمل وأنا أنظر من النافذة تذكرت حين كنت أجلس في الطائرة المتجهة إلى ديترويت إلى المجهول، تاركًا خلفي أسبوعًا من الهلاك والصدمات المستمرة، أملًا في أن ينعم الله عَلَيَّ بالأفضل ويوفقني إلى ما فيه الخير، كنت أشعر وأنا أنظر من نافذة الطائرة وهي تبتعد عن هذا المكان أنني ممتلئ بالخوف والأمل في غدٍ أفضل أكثر ثقةً واستعدادًا لمواجهة المجهول، وعلى الرغم مما كنت أشعر به من حزن وخيبة أمل فإني لا أدري من أين أتت لي هذه العزيمة والقوة والإصرار على فعل شيء جديد.

المسافة من نيوجيرسي إلى مطار ديترويت مترو كانت حوالي ساعتين ونصف أو أكثر قليلًا، ظللت فيهم شارد الذهن أتخيل اللقاء بيني وبين



obeikan.com

الرجل المحترم وكيف سيتم، متخيلًا نهاية الرحلة بعد ثلاثة أشهر، ومرةً أخرى استعرضت وجوهًا كثيرةً في حياتي تركتها في مصر، ولكن لا أدري لماذا كان يتملكني الشعور بأننا لن نكون بهذا القرب حين أعود، ولأول مرة أدرك أنني إنسان بلا هدف، لا أعيش لشيء أو لحلم، لا يوجد حتى إنسانة في حياتي أشعر ناحيتها بشوقٍ أو حنين. لماذا أُفَضِّل الوحدة؟ لماذا أُفَضِّل أن أكون مجرد صديق للجميع؟ لماذا لم أحاول أن أكون كل شيء لإنسانة لأجلها أعيش ولأجلي تعيش؟ وها أنا عرفت الآن.. إنني أضعت حياتي أحب من لا أُعنيه، وأبتعد عن أهلي وأنا بالنسبة لهم كل شيء، ووجدتني أفكر في أمي تلك السيدة التي انتشلتني مما أنا فيه، حتى وإن باعدت بيننا القارات والبحار، وتخيلتها وهي تحكي لخالاتي وأهلي وكلها أسى وحزن ما حدث لي، وتفتخر بأنني ظللت صامدًا، وتخيلت ربي، وفكرت كم مرةً تركت صلاتي! وكم مرةً كذبت! وكم مرة عصيت لأجل أصحاب لا يستحقون! والآن ربي أنقذني وساندني، وبرحمته عافاني مما فعله فِيَّ من ظننته صديقًا، لا أدري.. هل نزلت مني عَبْرَةٌ وأنا مغمض العين أم لا؟؟ ولكن ما أذكره أنها كانت فرصةً لألتقط أنفاسي وألملم شتات نفسي وأبدأ في تكوين خزينة ذكرياتي وخبرتي.

أضاءت أنوار ربط أحزمة الأمان إيذانا ببداية الهبوط إلى مدينة ديترويت، مدينة السيارات التي لم أحلم أبدًا أن أزورها، ولم تكن في ترتيب زياراتي بتاتًا، ظهرت من الطائرة مدينة خضراء بها أشجار مرتفعة



obeikan.com

تنذر بالخير، وكان رذاذ المطر بدأ يظهر على شباك الطائرة عند هبوطنا أسفل السحاب الذي كان متكاثرًا، وعلى الرغم من أن هذه الأجواء في مصر تعطي الإيحاء بالبرد، ولكن الجَوَّ في الخارج كان دافئًا حين خرجت من الطائرة إلى صالة استلام الحقائب إيذانًا بانتهاء الرحلة وبداية رحلة البحث عن الرجل المحترم، في أثناء تفكيري في طريقة التعارف وجدت مَنْ يضع يده على كتفي، وحين التفت وجدت من يسألني بالعربية: محمد؟؟ وكان نفس الصوت الذي سمعته في الهاتف حين تكلمنا في نيويورك.. أومأت برأسي ضاحكًا، ثم حملت حقيبتي ومشيت بجانبه.

كان خمري اللون، له لحية وشارب ويرتدي نظارةً، كان في نفس طولي تقريبًا أو أقصر قليلًا، ولكنه بدا شخصًا جادًا وأنا الآخر بدوت شخصًا جادًا لا أُطَاق، ركبت سيارته التويوتا كامري، كانت ذهبية اللون، وبالنسبة لي كانت شيئًا مبهرًا جدًا جدًا، تكلمت قليلًا في الرحلة، ولكنه كان يحاول أن يطمئنني بأن هناك فرصةً جيدةً في هذا البلد، وأنني سأعيش في بيت الشباب الموجود في مدينة تدعي أناربر، وهي مدينة جامعة ميتشجن، وهي خامس جامعة على مستوى العالم، وقد أكد لي المحترم أن هذه المدينة مسالمة جدًا لا يوجد فيها عنصرية أو نسبة جريمة مرتفعة مثل نيويورك.

حقًا طمأنني هذا الكلام؛ لأنني كرهت نيويورك جدًا، وشعرت فيها بالقلق الشديد وعدم الأمان، ولكني -ولا أدري لماذا- ظللت صامتًا أستمع ولا أرد، وكأنني غير مصدق أنني على الأقل أعرف ماذا سيحدث لي الليلة وربما غدًا.

وصلنا إلى بيت الشباب في أناربر، وكان حقًا مختلفًا تمامًا عن ذلك الذي كان في نويرك؛ فالشباب هناك شباب طبيعي نظيف كدة زينا، لم أشعر بأي خطر على حياتي كما شعرت في نويرك، وكانت الموظفة في الاستقبال بشوشةً وظريفةً جدًا. حجزت الغرفة لمدة شهر بحوالي ثلاثمائة دولار، وَدَّعَنِي المحترم إلى لقاء في الصباح، صعدت إلى الغرفة التي كانت أوسع بكثير عن الأخرى في جيرسي، وكان لها شباك يري الشارع العمومي والذي كان به حركة رغم جو الهدوء العام، ولأول مرة أستقر في مكان لمدة شهر قادم. وضعت حقيبتي، وخرجت من الغرفة إلى الحمام العمومي، وقفت تحت الماء الذي كنت أشعر أنه ينقيني من حياة الطفولة ويغسلني من البراءة، إيذانًا ببداية أول احتكاك في الحياة. تُرى ماذا سيحدث غدًا؟؟ وجدتني أبتسم وأردد: خير.. خير إن شاء الله.

استيقظت في الصباح على صوت دق على باب الغرفة، فتحت عيني ونظرت حولي محاولًا تجميع أنا فين، وبعد أن تكررت الدقة على الباب أيقنت أين أنا، وأجبت بالإنجليزية بأني قادم، وعلمت أن الرجل المحترم

أتى، وأنه منتظرني في سيارته أمام بيت الشباب، وبعد وهلة -وبعد النظر في الساعة- اكتشفت أنني نمت أكثر من عشر ساعات متصلة وبعمقٍ شديد، وذلك كان متوقعًا بعد أسبوع حافل بالصدمات المتتالية، نظرت من الشباك فوجدت غيامًا ومطرًا؛ فارتديت ملابس ثقيلةً من دون تفكير طبعًا، ونزلت فوجدت المحترم في انتظاري والجو حار جدًا، لا زال يمتلك نفس الوجه الجاد، ولا زلت أمتلك الوجه الذي لا يُطَاق، ركبت سيارته وأخذني في جولة في البلدة التي سأقضي فيها الثلاثة أشهر القادمة.

البلدة جميلة، خضراء ونظيفة، والمتواجدون فيها تشعر من النظر إليهم بأنهم مسالمون، كان مركز الشباب في وسط البلدة، وحوله من كل اتجاه محلات وسط البلدة، وبما أن هذا هو وقت الإجازة الصيفية؛ فكان المحترم يرجح أن أبحث عن عمل مناسب في محيط بيت الشباب؛ لأن التنقل في هذه البلدة صعب، وفكرة شراء سيارة ستكون مكلفةً، وأيضًا لا يوجد أماكن لانتظار السيارات دون نقود بالقرب من بيت الشباب، وقد فهمت أن البلاد الغنية في أمريكا -كهذه البلاد- لا يوجد فيها مترو أنفاق وخدمة مواصلات طيلة اليوم؛ لأن معظم السكان يمتلكون سيارات، ولأول مرة في حياتي أفكر في مكان انتظار سيارتي، وأعرف أن هذه الأشياء يجب أن توضع في الحسبان، ولكن المحترم وعدني أن فرصة العمل موجودة، ولكنه يرغب في أن أحاول أولًا قبل أن أرتبط مع أصدقائه، وبالفعل بدأت البحث الفوري، وكنت أدخل كل الأماكن

الموجود عليها عبارة مطلوب المساعدة وأترك بياناتي ورقم تليفون بيت الشباب، ولكني -ولأنني لا أملك رقمًا قوميًا، ولأن هذه البلدة كان واضحًا فيها الالتزام والاحترام- لم أكن متفائلًا بأن أجد عملًا بسهولة، وبالفعل وبعد بحث استمر يومين أيقنت أنني أضيع وقتي، وكلمت المحترم وطلبت منه أن أبدأ العمل مع أصدقائه، وقد رَحَّبَ وتواعدنا على موعد في اليوم التالي لأقابل أرباب عملي الجدد، والأمل الأخير في نجاح هذه الرحلة.

في الصباح استيقظت قبل الموعد المتفق عليه ومَرَّ عَلَيَّ المحترم لأقابل آخر أمل في نجاح هذه الرحلة، وفي الطريق شرح لي المحترم قصة الرجل الذي سأقابله، وأنه واحد من رجال الأعمال الكبار في هذه البلدة، وأنه يمتلك محطة بنزين وشركة قص حشائش وخدمات كشح الثلوج في الشتاء وتوضيب الحدائق، وأنه كل عام يساعد مصريين كثيرين، وحكى لي قصة تعارفهم، ولكني لا أذكرها؛ يمكن لأنني لم أكن مهتمًا بسماعها أو معرفتها؛ فقد كنت مسافرًا سارحًا شاردًا في شكل هذا الرجل وهيئته، ولم أفق من شرودي إلا حين وصلنا إلى مكتب هذا الرجل في مدينة تدعي ابسيلانتي قريبة من أنربر.

كان الرجل وأخوه ومصري آخر جالسين على مكتب بسيط في مكان أشبه بجراج معدات، وأمام هذا الجراج بيت كدة بسيط، تقريبًا هو مكان

مقـابلاتهم وإنجـاز أعمـالهم. كـانوا ثلاثـتهم يرتـدون بنطلونـًا جينـز وفانلـة مكتوب عليها اسم شركة اعتقدت أنها شركتهم، ومن هيئتهم التي يظهر عليها الشـمس التي لفحـتهم، كانـت لهجـتهم في الترحـاب لهجـةً مصـريةً، ولكنها مصرية من الأرياف وليست من القاهرة أو الإسكندرية كلهجتي أنا والمحترم، ولكنهم كانوا مرحبين مضيافين، وكنت أحاول ألا أتكلم وأستمع فقـط وكـأنني مش موجـود، وذلـك لعلمي أنني لا أملك اختيـارًا أو فرصـةً أخرى، وقد أثار المحترم مشكلة التنقل من بيت الشباب إلى المكتب الذي كان يبعـد مسـافة خمسـة وعشـرين ميـلًا عـن بيـت الشـباب، خاصـةً أن مواعيد العمل من الخامسة صباحًا إلى ما شاء الله، ومواعيد المواصلات العامة تبدأ من الثامنة وتنتهي في التاسعة مساءً، وكان أول التزام وجهه لي الـريس الكبير هـو أن مواعيـد العمـل مقدسـة، وأنـه لا تعنيـه الطريقـة ولكن ما يعنيه هو الالتزام، وأنني أمتلك ثلاث فرص للتأخير وبعدين مع السلامة، ولكنه كان يملك حلًا اقترحه المصري الثالث، وهـو أن آتي لـيلًا إلى محطة البنزين بآخر مواصلة وأنام في المحطة وهو هناك، ثم نذهب سـويًا إلى العمـل، وعنـد العـودة ربنـا يسـهل، كان هـذا الحـل يعـني أنـني تقريبًا لن أنام، ولكني وافقت دون تردد أو تفكير وكانت كل رغبتي أن أبدأ العمل أي عمل.

في أول يوم عمل ذهبت إلى محطة البنـزين التي يملكها الريس، وكان المصري الثالث يعمل بها في فترة منتصف الليل إلى الصباح ثم يذهب إلى

العمل في قص الحشائش، كانت أول مرة أقابل نورسًا مصريًّا آخر، وكان هذا الرجل من نفس بلدة الريس في مصر، إحدى مدن محافظة الشرقية، وكان كبيرًا في السن بالنسبة لي. في ذلك الوقت حكى لي قصته، وكيف أتى إلى أمريكا، وكان يحكي بتحفظٍ شديد، وفي نفس الوقت كان يحاول أن يبقيني مستيقظًا معه أسليه وأتكلم معه، وكنت حين أستأذن منه لأنام كان يحاول أن يجعلني أساعده في عمله، ولأنني عديم الخبرة كنت سعيدًا بما يفعله، بل وأعجبت جدًا بالعمل في محطة البنزين، خاصةً وهو يجعلني أنظم وأنظف وأرتب البضاعة وأقابل الناس وأتحدث معهم، ويفهمني طريقة العمل على الماكينة، وظللنا هكذا حتى الصباح، ثم أتى مصري آخر إسكندراني، عرفت أنه يعمل فقط في محطة البنزين، وأنه يساعد في إدارتها كمساعد لمديرة المحطة، تبادلنا التعارف بسرعة وانطلقت مع ماجد -على ما أذكر كان ذلك اسمه- إلى الشركة في أول يوم عمل رسمي، لن أستطيع أبدًا أن أصف ما كنت أشعر به وأنا أبدأ في التحليق مجددًا في سماء الحياة، ولكنه هذه المرة تحليق بطيء واعٍ، أحسب فيه خطواتي وتحركاتي؛ لأنني علمت أن السماء -وإن كانت بعيدةً- فإنها لا تقي أبدًا من رصاص الصياد...

كان أول يوم عمل في شركة الريس الكبير يومًا ليس شاقًا، أو ربما لم يكن مساويًا للحماس الشديد الذي كنت أشعر به، ولكنها كانت فرصةً لأقترب من أرباب عملي أكثر، وقد كان الريس الكبير رجلًا لطيفًا أسمر

اللون أخضر العينين طويل القامة، ينبع من عينيه الذكاء، له ابتسامة براقة، وكان رجلًا محترمًا، يواظب على الصلاة في وقتها، من قصاقيص الكلام اكتشفت أنه صاحب هذه الشركة ومحطة البنزين، مع العلم بأنه لم يكن قد أتم الأربعين من عمره، وكان في الولايات المتحدة منذ أكثر من خمسة عشر عامًا، متزوج من أمريكية لا أدري إن كانت قد أسلمت أم لا، ولكنها لم تكن ذات حيز كبير في حياتي؛ حيث إنها كانت تعمل في منظمة لرعاية مرضى الكلى، وكانت فقط مهتمةً بعملها، وكان الريس الكبير من دون أولاد، واسمه عبد القادر، وكان الريس الصغير أخو عبد القادر الصغير أسمر اللون ليس طويلًا أسود العينين، عندما تراه تقلق منه، وخاصةً أنه كان يتكلم لهجةً صعيديةً خالصةً قويةً لم تغيرها الستة أعوام التي قضاها في الولايات المتحدة، وكان متزوجًا من أمريكية محجبة أسلمت لأنها تحبه حبًا شديدًا، وكنت أراها كثيرًا بحكم أنها كانت مديرة محطة البنزين، وكانت حاملًا في المولود الأول، وكان الريس الصغير شريكًا لأخيه في شركة قص الحشائش، وكان اسمه عامرًا. كانوا هم أول نوارس أراها وأختلط معها في أول التقاء مع أسراب النورس المهاجرة المختلفة، فلقد كانوا من عائلة عريقة في الشرقية، عائلة غنية جدًا وواصلة في البلد؛ فقد كان عضو مجلس الشعب من عائلتهم تقريبًا، كانوا عائلةً إقطاعيةً مشهورةً بأطيانها وقوتها، ولكن ما السبب الذي جعل هؤلاء يتركون بلادهم ويهاجرون إلى الولايات المتحدة

ليكونوا رجال أعمال، خاصةً وأن الطريق في مصر كان مفروشًا بالورود؟! ظللت فترةً طويلة أفكر في هذا الموضوع، خاصةً وأن هؤلاء الناس ساعدوني كثيرًا وأنا أعمل معهم منذ أول يوم وطئت قدماي شركتهم، وجدتهم يعملون في قص الحشائش وتوضيب حدائق الجامعة والمجمعات السكنية، وكانت طبيعة عملي معهم هو أن أركب ماكينة القص وأستمر في قص وتقليم الحشائش وتوضيب الزهور، وعلى الرغم من أنها تبدو هَيِّنَةً إلا إنها كانت متعبةً جدًا ومرهقةً، ولم تكن ساعات العمل كثيرةً؛ فكانت اليومية قليلة، والغريب أنني كل يوم كنت أجد قادرًا وعامرًا يعملون معنا ويركبون ماكينة القص مثلي تمامًا دون تَرَفُّع أو استعلاء؛ مما كان يثير دهشتي ويجعلني أفكر فيما جعلهم يتركون البلد ويهجوا إلى أمريكا.

مع بداية عملي معهم أظهرت طاعةً عمياء ورغبةً شديدةً في إثبات الذات ممزوجةً بشعور شديد بالعرفان لهؤلاء الناس الذين ساعدوني بعد أن أُغلقت في وجهي أبواب الأمل، وكنت أتعامل معهم بقلب طفل لم تلوثه الحياة، مشاعره صادقة ومبادئه راسخة، واكتشفت أنني فعلًا متربي، وعلى الرغم من ابتعادي عن أهلي إلا إنني لم أفعل شيئًا يغضب الله وأيضا كان ربنا مسهلها لي، وأبعد عني كل الموبقات، وذلك على ما أعتقد ما جعلني مقربًا منهم، فبعد بضعة أيام من العمل قرر عامر أن يعطيني عجلته الخاصة لكي آتي بها كل يوم من بيت الشباب إلى محطة البنزين،

وهي مسافة خمسة عشر ميلًا لكي يمر عليَّ في الصباح عبد القادر أو يكون ماجد هناك فأذهب معه إلى العمل، وكذا لكي أعود بعد مواعيد العمل إلى بيت الشباب لأنام، وعلى الرغم من التعب والإرهاق إلا إنني كنت أشعر بفخرٍ شديد؛ فلم يكن يوقظني أحد، إلا إنني لم أتأخر أبدًا عن ميعادي، ورغم طول الطريق وصعوبته إلا إنني كنت أقود الدراجة كل يوم وأنا في قمة سعادتي، وكأنني أطير في سماء الفخر.

في هذه الفترة القصيرة بدأت ألتقي بأسراب من النورس من بلدان مختلفة، فكما ذكرت سابقًا كان هناك ماجد وهو من نفس بلد عامر وقادر، وهو رجل متزوج ترك زوجته وأولاده في مصر وأتى إلى أمريكا بعد محاولات مضنية لأجل التأشيرة، وتذكرت وهو يسرد لي قصته المناظر التي رأيتها وأنا أمر بتجربة التأشيرة، وتخيلته واحدًا من الشعب الذي كان على أتم الاستعداد أن يبيع أهله لكي يختفي من هذا البلد مصر، ولكن ماجدًا كان إنسانًا فلاتي وليس له خطة محددة لكي يستقر في أمريكا ويصبح مواطنًا أمريكيًا، على الرغم من أنه كان عبقريًا في تصليح جميع أنواع السيارات، وكان متفوقًا على الأمريكان أنفسهم؛ فقد كان فنانًا، ولكن -كعادة أغلب المصريين- يعشق الهرجلة والفوضى، وأهو عايش وخلاص!! وكان يعمل في المحطة وشركة قص الحشائش منذ أكثر من عام ونصف، والآخر كان مصريًا من الإسكندرية، كان اسمه محسن، يعمل مساعدًا لزوجة عامر في إدارة المحطة، كان متزوجًا من سيدة

أمريكية سوداء لأجل الجرين كارد، ومتزوج في مصر وله بنت وولد على ما أتذكر، لم يكن في هذا الوقت لي أي احتكاك به، خاصةً إنه كان يعاملني معاملةً سيئةً، ولم أكن أعرف سببها، كان مثالًا آخر لنورس مصري يرغب في تظبيط حياته، ويمتلك خارطةً طريق لأحلامه، في محطة البنزين كان هناك شفتات لمدة ثماني ساعات، والمحطة يجب أن تظل مفتوحة طوال الأربع وعشرين ساعة؛ فلذلك كان في المحطة جنسيات مختلفة، فكان هناك سيد الجزائري، وكان شابا هاربًا من الجماعات الإسلامية في الجزائر بعد أن نقدهم في إحدى مقالاته فهددوه بالقتل؛ فهرب للولايات المتحدة وعمل في كل شيء، حتى قرر أن يأتي إلى هذه البلدة ليكمل تعليمه، وكنت أجلس مع سيد كثيرًا بعد الشغل نتحدث، ولأنك في بعض الأحيان تحتاج إلى قلب طفل لتعيش مع الوحوش وتروضها؛ فقد كنت أنا هذا الطفل الذي وجد الجميع نفسه يرغب في تدليله ورعايته، وكان ذلك من حسن حظي، وأعتبرها إحدى نعم ربي؛ فقد دربني على العمل في المحطة بحسن نية وبلا تكلف أو تأفف، وكنت أراه يتكلم مع الزبائن والناس، ومن هنا بدأت أحب هذه المحطة التي كنت أجلس فيها أكثر من بيت الشباب، وفي بعض الأحيان كنت أبيت فيها إذا كان الجو ممطرًا ولا أستطيع العودة بالدراجة، وظللت على هذا الحال من العمل، كل يوم أزداد صلابةً وقوةً، ومع أن الفلوس كانت تعبانةً، ولكني كنت أبني خبراتي من قصص النوارس الأخرى، وأحزن وأتمنى وأحلم، وازداد ارتباطي

بمحطة البنزين وبقادر وعامر وماجد وسيد، وكنت أعتبرهم أهلي في هذه الغربة، كنت سعيدًا بأنني أستطيع أن أعمل هذا العمل المجهد الشاق وأن ألتزم بمواعيدي وأقسو على نفسي لكي أنجح. كنت سعيدًا لأنني كلما وضعت يدي في جيبي خرجت منه بمال تعبت فيه. وعرفت أنَّ إنفاق مال تعبت فيه مختلف تمامًا عن صرف مال جاءك هدية دون تعب. حقًا بدأ النورس داخلي رحلة اكتشاف النفس والتعرف على الغير، بدأت أطير في طريقي بضرباتٍ منتظمة مرتبة إلى الحياة الممتدة أمامي بلا نهاية....

مرت الأيام وأنا أعمل مع قادر وعامر والجماعة بكل إخلاص، وعلى الرغم من مشاكل بسيطة كانت تطفو على السطح، إلا إنها كانت أتفه من أن أتذكرها أو أسردها. حقًا كنت إنسانًا طيبًا وعلى نياته على الآخر، كل ما يقولونه لي أصدقه، وفي كثير من الأحيان كانت القصص من وحي الخيال، أو بها الكثير من التضخيم، كعادة المصريين يحبون الكلام والرغي الكثير؛ مما يجعلهم في بعض الأحيان يشطحون في خيالاتهم، ظلت علاقتي بماجد الفلاتي كما هي، شخص ليس من طبعي ولا أحب أن أقترب منه تمامًا، كما كنت مع أصدقاء الجامعة البايظين، ليس بيني وبينهم ألفة كدة، ولكن في أمريكا تعلمت -وبعد فترةٍ- أن أجد الطريقة المثلى لأتعامل مع ماجد وأجد نقطة ضعفه، وكانت الإنجليزي، وحيث إن ماجدًا كان تعليم مجاني، وحيث إن حياته كلها هلس؛ فكان في أحيانٍ

كثيرة يخونه التعبير أمام البنات الحلوين أو رواد المحطة، ولأن ذلك لم يكن أبدًا مشكلةً بالنسبة لي، فكنت دائمًا أعرض خدماتي على الزبائن، وأسد عليه الطريق؛ فكان غالبًا ما يشكوني لقادر؛ محاولًا إقناعه بأنني لا أعمل جيدًا، ويحاول أن يتفق مع عامر لكي يمزحوا معي مزاحًا ثقيلًا، في بادئ الأمر كنت أتضايق من هذا المزاح خاصةً وأنا أشعر أنه يفعل ذلك عن قصد، وكان هذا الموضوع يشغلني: كيف أضع حدًا لهذا الرجل؟ وكيف أجعله يتوقف دون أن أضايق الباقين؟ وبعد فترةٍ قررت أن أجعله يتوقف تمامًا، واستغللت جهله وضعته في مأزق مع واحدة من الزبائن، بعد أن طلب مني أن أعلمه بعض كلمات الغزل بالإنجليزي، وعلى طريقة محمد صبحي في تخاريف لقنته كلامًا جعل السيدة تقسم بأيمانات العظيم أن تشكوه للشرطة، واحمَرَّ وجهه، وخاصةً حين طمأنته إن كل شيء مسجل صوت وصورة في المحطة، والشرطة لو حضرت غالبًا سيدفع غرامة أو يا عالم!! فظل ماجد يتوسل إليَّ أن أنجده بأية طريقة عارضًا كل النساء اللاتي يعرفهن وفي أي مكان أختاره أنا، وبما إنني كنت أخطط لهذا الشيء منذ فترة، فلم أكن أرغب في أن يحدث أي مكروه لقادر؛ فلحقت بالسيدة ونجحت في أن ألم الموضوع، واعتذرت لها على سوء التفاهم، وأعطيتها قهوةً على حساب ماجد، وطيلة الليلة ظل ماجد يحاول أن يجرني إلى الخطأ، معتقدا أنني يمكن أن أغضب ربي الذي أنصفني وحماني، وأنني يمكن أن أكون مثله أجري

وراء غرائزي وأضعف ، ولكن كان الوقت قد فات، وكنت أنا القائد.. أنا المتحكم.. وهو يا عيني لا يدري ماذا سأفعل به.

وفي الصباح بدلًا من الذهاب معه ذهبت مع قادر، وماجد يتوسل إليَّ ألا أحكي له شيئًا. لن أنسى أبدًا نظرته لي، ولن أنسى أبدًا شعوري نحوه في ذلك اليوم، وبالفعل اتعدل الأخ ماجد، وحتى لم يكن يجاري عامرًا في المزاح، ولم يكن الأمر يتعدى نظرةً مني له حتى يتوقف.

ظللت مرتبطًا بالمحطة، وظل حلم أن أعمل بها يراودني دائمًا ؛ فقد كانت أريح، كما إن ساعات العمل فيها أطول، وبالتالي الفلوس أكتر، فكنت أنتهز أي فرصة حتى أتعلم شغل المحطة، والذي كان بالفعل مسئوليةً كبيرةً؛ لأن شخصًا واحدًا يجب أن يراقب من يضعون بنزين والمحل، وفي نفس الوقت يملأ البضاعة ويجهز وينظف المكان كلما أتت فرصة، والموضوع كان لا يخلو من متعة ومغامرة، يحتاج إلى لباقة التعامل مع زبائن متخلفين وأشخاص نصابين وناس محترمين، كان بالطبع عملًا شيقًا وممتعًا بالنسبة لي؛ فلذلك كان هدفي أن أترك قص الحشائش وأعمل في محطة البنزين، ظللت وراء هدفي أتعلم من مواقف تحدث أمامي، ولوهلة شعرت أنني -ولأول مرة- أحلم بشيء وأسعى إليه لأجل حياةٍ أفضل، وبالطبع ترويضي لماجد واحترامي الشديد لقادر وعامر، وتأكد الجميع من أنني شاب مصري -وإن كنت مرتاحًا- ولكنني

أرغب في عمل شيء، كل هذا فرض عليهم أن يحترموني ويقربوني أكثر منهم، وقد علمت من قادر أنني لست أول مصري يعمل عندهم ولن أكون الأخير، ولكن ما علمته أنني من القلائل جدًا الذين فلحوا معهم وأكملوا المشوار، ولذلك كان محسن يظن أنني واحد من المصريين الذين يأتون ويمشون، ولكن حين حكى لي قادر قصته وحين سمعتها منه مرةً وأنا أساعده، عرفت أن الحياة مليئة بالظروف الصعبة التي تضع الإنسان في مواجهة الصعاب وتجبره على أن يتخطاها راضيًا حتى لا يتخطاها مُجْبَرًا؛ فالتمست له العذر، خاصةً بعد أن اعتذر لي عن سوء ظنه في ساعة صفا.

بعد شهر من المكوث في بيت الشباب اقترح عَلَيَّ قادر أن أنام في حجرة صغيرة أعلى المكتب، وكانت وجهة نظره أن أستريح وأوفر طاقة ومصاريف، وكانت فكرةً جيدةً من وجهة نظري، وبالفعل نفذت في الحال، وانتقلت إلى المكتب، وما كان يحزنني هو ابتعادي عن المحطة.. المكان الذي أتسلي فيه وأرى فيه أناسًا مختلفين كل يوم، ولكن قلت لنفسي: لعله خير.

وكنت وأنا وحيد في غرفتي أعلى المكتب أعاني وحدةً شديدةً، أنظر من النافذة إلى السماء وأتذكر أهلي ومَنْ أحب، مَنْ تركتهم وتركت أنسهم والدفء بينهم لأجلس وحيدًا في هذا المكان، ولكن في نفس الوقت كنت

أشعر أن النورس الكامن داخلي يمتلك الآن مخالب قويةً ونظرًا قويًا؛ فقد اختار الاستقلالية ومواجهة المجهول، وهو جاهز الآن ليقتنص قوت يومه بقوة وخفة وإن كان في فم الحوت.

بدأت حرارة الجو في الارتفاع مع ارتفاع أصوات السخط من توقف الترام في إحدي المحطات؛ مما أرجعني مرةً أخرى إلى مصر ما بعد الثورة، وبعد أن نظرت حولي وجدت زحامًا شديدًا على شريط الترام، وكان في الغالب ناجمًا عن سيارة أو ميكروباص كان يسير عكس الاتجاه؛ فأغلق الطريق. كل هذا مقبول، ولكن الغير مقبول أن يصر وبمنتهى البلطجة على أنه لن يفعل شيئًا وأعلى ما في خيلنا نركبه، أصبحت مثل هذه الأفعال المستفزة من فصيل من الشعب لا يفقه معنى الحرية ولا يعرف التعامل المتحضر دائمة الحدوث في الفترة الأخيرة؛ وذلك لأنني رأيت حوادث مشابهةً منذ أن وطئت قدماي البلد، والغريب أنه -وعلى الرغم من مرور وقت طويل والناس منتظرة- إلا إن البوليس لم يظهر نهائيًا، وكأنهم في إجازة مدفوعة الأجر، وعلى الرغم من هذه الفوضى وجدت شبابًا زي الورد يتدخل ويحل المشكلة ويسيطر على الموقف، ويسير المرور وسط مساندة الناس الطيبين اللي مش عاجبهم الحال المايل.

كانت هذه الحادثة -وخاصةً مع ازدحام الترام- فرصةً ذهبيةً لي لكي أستمع إلى ردود أفعال الجماهير وأعرف ماذا يدور في خيال الناس بعد هذه التجربة العظيمة التي مرت بها الأمة. كانت أغلب ردود الأفعال سلبيةً تتكلم عن أن البلد حاله ساء، ولَكِنَّ نسبةً كبيرةً منهم كانوا يعرفون أن ذلك طبيعي بعد ثورة عظيمة قام بها شعب عظيم على طغيان وفساد طال لأكثر من ثلاثين عامًا، وأغلبهم كانوا يلعنون الشرطة والفساد والفقر، والكل اتفق على أنه على الرغم مما تمر به البلاد إلا إن الخير قادم -إن شاء الله- ولأن هذه الأيام كانت محاكمة المخلوع على الأبواب، والتي أرى أنها ستكون لحظةً فارقةً في تاريخ البشرية؛ فمصر ستكون أول بلد في الكون تحاكم رئيسها السابق أمام محكمة محلية واتهامه بمخالفات في قانون البلد التي يحكمها، ولكن لأننا شعب يعشق نظرية المؤامرة؛ فقد كانت أغلب تعليقات الناس عن الشبيه الذي سيحضر بدلًا من مبارك، وأن الجيش لا يمكن أن يسمح بأن يُهَان قائده؛ فلن يجعل المخلوع يحضر ليشاهده العالم وهو سجين ذليل، وكانت أغلب التعليقات مع الرأي القائل بأن الذي سيحضر المحاكمة ليس (مبارك)، وقد كان الإجماع شديدًا لدرجة أنني بدأت أقتنع بأنه فعلًا لن يُحَاكَم، وأن الثورة دي كلها فشنك وأن الجيش عميل ومتواطئ.

وصل الترام إلى محطة بولكلي، ورأيت أمامي أبو ربيع.. يا سلام كم وحشني فول وفلافل هذا الرجل، المحل دة له في نفسي ذكريات ، خاصةً

في ثانوية عامة، حين كنت سندباد بين الدروس، وكان أبو ربيع هو مركز التقاء الأحبة. شعرت فجأةً بالجوع الشديد مع أول استنشاق لرائحة الفول والطعمية التي تسرق اللب وتجعل العقل يطير، وفعلًا طرت إلى المحل، وقررت أن أفطر، وأفطر أهلي فول وفلافل، كان ممتعًا جدًا على الرغم من انخفاض الجودة بعض الشيء ولكن لا يهم، لا يزال فيه مسحة من الماضي الجميل، بعد أن انتهيت من الفول عبرت الطريق لأشرب عصير قصب، يا سلام انتعاش، خاصةً بعد رحلة تريض طويلة، أكملت طريقي إلى بيتنا الذي لا يبعد كثيرًا عن محطة بولكلي، ولا أنكر سعادتي الكبيرة بأنني أمشي؛ فأنا أفتقد المشي جدًا، وصلت إلى البيت، وبعد تحقيق بسيط من أمي عن سر استيقاظي مبكرًا وأين كنت، أعطيتها الفول ودخلت غرفتي، ووجدتني بتلقائية شديدة أفتح أحد الأدراج لأخرج منه بعض تذكارات رحلتي الأولى إلى الولايات المتحدة، ووجدتني أمسك كارت الاسم المحفور عليه اسمي مع علامة موبيل المشهورة، ودبوس الكرافتة المكتوب عليه موبيل، وأعود بالذاكرة مرةً أخرى، خاصةً حين أمسكت صورةً فوتوغرافيةً لي وأنا أرتدي زي المحطة بجانب محسن وعامر وقادر. حقًا مر وقت طويل جدًا على هذه الصورة، والتي كنت فيها ابن التاسعة عشر عامًا، كيف كنت أبتسم فرحًا بحق بلا تكلف ولا تصنع؟! كيف كان شعري أسود قبل أن يشتعل فيه الشيب؟!

حقًا أكاد أرى ما بداخلي في هذه الصورة؛ فقد كنت شفافًا نقيًا لم تلوثني الأيام.

بعد انتقالي للعيش في المكتب أصبحت حياتي أكثر مللًا ولكنها أكثر راحةً في نفس الوقت؛ فقد كنت أنام جيدًا وأرتاح، ولكني كنت أنتهز أي فرصة لأذهب إلى محطة البنزين.

في ذلك الوقت كان هناك شاب يمني يعمل في فترة منتصف الليل وهي أصعب الفترات؛ لأنها تتطلب أن يتحول الإنسان فيها إلى الرجل الوطواط، وكان هذا الشاب على وشك الحصول على الجنسية الأمريكية بعد عناء دام سنوات، المهم.. فجأة قرر هذا الشاب أن يختفي ودون سابق إنذار، وكما تعرفون المحطة لا بد وأن تبقى مفتوحةً طوال الأربع وعشرين ساعةً، واختفاء أحد الشباب عن ميعاده يعني أن يتحمل من قبله هذه الفترة حتى يأتي له المدد، وكان هذا الشاب هو سيد الجزائري، والذي كان على موعد في الجامعة في الصباح الباكر، وكان انتظاره في المحطة مستحيلًا، بعد تفكير وتدبير لا أدري من اقترح أن يذهب أحد الشباب ليأتي بي إلى المحطة لأحل هذا الموقف المتأزم حتى الصباح، والصباح رباح، وذهبت إلى المحطة في الثانية صباحًا في منتهى السعادة؛ لأنني على وشك تحقيق حلم بالنسبة لي، وكان لَدَيَّ إصرار شديد على أن أثبت نفسي وأترك الحشائش وأستمر في المحطة فقط، وبالفعل تسلمت

العمـل مـن سـيد الـذي شـجعني وشـكرني بامتنـان متمنيًـا لي التوفيـق. مر أول يـوم بسلام، ولـم تكـن الفترة طويلـةً حتى السادسـة صباحًـا حين وصـل محسـن الـذي سـاعدني لكي نسـتعد لضغط الصبـاح، والـذي كان بحق ضغطًا عنيفًا جدًا، وعلى الـرغم من شعوري الشديد بالإرهـاق إلا إنني كنت سعيدًا جدًا بنجاحي، وإرهاقي لم يمنعني من أن أذهب إلى قص الحشـائش وكأنـه يـوم طبيعي، وقـد شـكرني قـادر ووعـدني بـأن أسـتمر في العمل في المحطة علشان أكسب قرشين، ولكن شرطه الوحيد أن أستمر في العمل في قص الحشائش، ورغم أن ذلك كان يعني دمارًا وانتحارًا إلا إنني قبلت التحدي رغم كل شيء، وفي ثاني أيام عملي -ورغم أنني لم أكن تقريبًا نمت- شعرت وأنا أرتدي كارت الاسم ودبوس رابطة العنق وأنظر في المرآة قبل أن أتسلم العمل بأن النورس الصغير يطير الآن ويناور ويكبر ويـنطح في الصخر مخترقًـا السحاب إلى مـا لا نهايـة، نـاظرًا إلى الأرض البعيـدة، غير عـابئ بالصيـادين، ولكنـه فقـط يريـد الوصـول إلى الهـدف مهما كَلَّفَه الأمر.

كانت هذه المرحلة من المغامرة هي مرحلة الاستقرار؛ ففيها وصلت لما كنت أريد، وهو وضع قدمي في المحطة وفي نفس الوقت العمل في شركة قص الحشـائش، وذلك كان يعني المزيد من الفلوس، والمزيد من النجاح من وجهة نظري، ففي أول الرحلة كان كل هدفي هو البقاء وعدم العودة بخفي حنين، وكنت دائمًا أهرب من العودة مبكرًا، وأتخيل الجميع

يتهامزون على المسكين الذي خدعه أصدقاؤه فعاد كما ذهب. وعندما بدأت العمل مع الجماعة كان كل غرضي أن أختبر قدرة احتمالي على العمل المتواصل المجهد الشاق الذي لم أتعود عليه، وأن أختبر التزامي وأنا وحيد دون راعٍ أتحمل مسئولية حياتي بأدق تفاصيلها، حتى إنني تعجبت جدًا حين وجدت أنني لم أفكر أبدًا كيف أترك ملابسي متسخةً وأجدها نظيفةً، لم يخطر على بالي أبدًا أن هناك عمليةً شاقةً ودمها ثقيل يجب أن يقوم بها أحد؛ وإلا ستكون النتيجة ألا تجد ملابس نظيفةً ترتديها.

كم كان تدبير وقت لهذه الأعمال كالغسيل والمكواة والطبيخ صعبًا! خاصةً وأنا كنت أعمل كل يوم ما يزيد عن اثنتي عشرة ساعةً من العمل الشاق المُجْهِد المليء بالضغط العصبي، ولكني اكتشفت أنني مضطر إلى أن أضع هذه الأعمال في الحسبان، وتذكرت أمي ولعنت غبائي.

أما هذه المرحلة فقد طمعت فيها في المزيد من النجاح، وهو تحقيق المزيد من المال من الرحلة أعوض به -على أسوأ الفروض- تذكرة الطيارة، و أشتري لبس جديد و تذكارات مما لا نجدها في مصر ، ما جعلني أشعر في هذا الوقت بالفخر الشديد بنفسي؛ لأنني نجحت حين خططت ووضعت حلمًا سهل المنال لكل مرحلة، وكان ذلك مختلفًا عن

بداية الرحلة التي كنت فيها واثقًا -وبغرور غريب- من النجاح، حتى وإن كنت لا أمتلك مقوماته.

ورغم أنني كنت سعيدًا إلا إنني كنت متعبًا جدًا؛ ففي بعض الأيام لم يكن هناك وقت لكي أذهب للمكتب لأنام؛ لأنني لم أكن أمتلك سيارةً، ولصعوبة أن يوصلني أحد إلى المحطة في الليل فكنت أنام في المحطة حتى ميعاد عملي ثم أتوجه إلى العمل، حقًا بدأت أشعر أنني سافرت حين بدأت أعتاد العمل في المحطة؛ فكنت في أثناء عملي أتقابل مع الآخر وأتكلم معه، ولأن الأمريكان شعب متسامح وطيب؛ فكانت عندي دائمًا الفرصة لكي أتجاذب معهم أطراف الحديث ونتكلم في كل المواضيع؛ حتى بدأت أُكّون نوعًا من أنواع الصداقات بيني وبين زبائن المحطة الذين كانوا دائمي الحضور إما بالليل وإما في الصباح الباكر قبل ذهابهم إلى العمل، وكان أغلبهم معجبًا بلغتي الإنجليزية وقدرتي على مجاراتهم في أي حوار، والكثير كان معجبًا بولائي الشديد لقادر؛ لأنني كنت أغلب أوقات اليوم في المحطة؛ فالكثير منهم كان يظن أنني صاحب المحطة، وأنني بخيل لا أريد توظيف أحد، وذلك أعطاني فرصة الاحتكاك بجنسيات وشخصيات، وتعرضت لمواقف صعبة كثيرة، ولكن لأنني عربي نقي لم تلوثني الأيام كنت دائمًا أتصرف بالشهامة المعروفة عن العرب والتي لا يعرفها الغرب، وذلك ما جعلني أتحول إلى صديق لأغلب زبائن المحطة؛ يحملون مواقف الجدعنة معاهم جمايل، ويرغبون في السداد حين

تسنح لهم أي فرصة، ورغم أن هذه المواقف لم تكن تتعدى دفع ثمن علبة سجاير لأحد الزبائن لأن بطاقته الائتمانية لا تعمل، أو مساعدة واحد ضل طريقه، أو مساعدة واحد كان على وشك ذبحة صدرية فطلبت له الإسعاف وأخليت المحطة تمامًا في تصرف كان يمكن أن يجلب لي متاعب كثيرة مع قادر، ولكن ظل الرجل يشكرني على إنقاذ حياته كلما أتى إلى المحطة وكلما رأى قادرًا أو أي أحد من العائلة.

أما علاقتي بقادر وعامر والباقين فقد تحسنت جدًا؛ فلقد أثبت لهم أنني لم أكن صفقةً فاشلةً، وقد اعترف لي قادر مرةً في ساعة صفا بأنني واحد من أفضل من أتوا إلى هذا المكان، وحكى لي في ذلك الوقت عن قصته في أمريكا، وكيف بنى هذه الشركات، وكيف أنه معجب بي؛ لأنني أتصرف في أمريكا بنفس أخلاق مصر، والتي ستوصلني في يوم من الأيام إلى أن أكون ناجحًا.

في هذه الأيام -وعلى الرغم من ازدحام حياتي- إلا إنني -وفي أوقاتٍ كثيرةٍ وخاصةً حين يتأخر الوقت- أكون وحيدًا؛ مما سمح لي أن أفكر في حياتي، وخاصةً بعد الظروف التي مررت بها، والتي كنت واثقًا تمام الثقة من أنها ستغيرني، كنت أفكر في كل شيء.. في أمي وأبي وأخي وأصدقائي وفي نفسي ووحدتي، وشعوري بأنني وحيد دائمًا بلا أنيس ولا

جليس، وبدأت أخطط لئلا أكون هكذا، وأيقنت أنني إن لم أتعلم مما حدث لي فلا فائدة للمغامرة ولا فائدة للسفر.

حقًا ما كان يدور في رأسي كان في أكثر من اتجاه، أكثر من حلم، خاصةً وأنني اتخذت قادرًا مثلًا أعلى لي، وكان هذا جديدًا أيضًا؛ لأنه في هذه المرحلة من حياة الشباب يكون الوالد دائمًا هو المثل الأعلى الوحيد، واتخذت أمريكا بنظافتها وتحضرها مثلًا أعلى للبلد التي يجب أن يعيش فيها الإنسان، وبدأت أقيم حياتي تقييمًا مختلفًا، وأشعر بالتغير والذي كان للأفضل.

في هذه الأيام كنت أشعر أن النورس الذي بداخلي قد وصل إلى المستقر، ورغم جمال المهجر إلا إنه لم ينس بلاده وأهله وعشه وإن كان أقل، ودائمًا يفكر في رحلة العودة وما جناه من هجرته المؤقتة؛ عسى أن تكون حياته الجديدة أفضل وأكثر راحةً عند العودة من المنفى الاختياري.مرت الأيام سريعةً، ورغم التعب والإجهاد فيها نجحت في أن أثبت لنفسي قدرتي على احتمال الكثير، وفيها أيضًا أثبت للجميع أنني لن ولم أكن صفقةً خاسرةً، ونجحت في أن أجني من التجربة كل خيرها، والأهم أنني -وبجَلَدٍ- احتملت شرها.

مع اقتراب ميعاد رحيلي كان يجب أن أجد البديل أو أكثر من بديل لكي يملأ فراغ رحيلي عن المحطة، فكان يجب أن أدرب شخصًا أو شخصين

لتلك المهمة، وبالفعل بدأت رحلة التدريب والتي كانت مهمةً تبدو سهلةً في مجملها، صعبةً جدًا في تفاصيلها.

وقت رحيلي كان بداية العام الدراسي الجامعي في أمريكا، حيث تتحول أوراق الشجر من الأخضر إلى لونها الذهبي فالنحاسي فالسقوط؛ إيذانًا بانتهاء دورة حياتها، ورغم أن المنظر بديع فوق الوصف خاصةً حينما تعلم أن أنربر بها عدد كبير جدًا من الأشجار التي كانت خضراء حين أتيت، وكلها بلا استثناء تبدأ في الاحتضار في مثل هذا الوقت مع بداية الخريف، وكان ذلك يتطلب عملًا إضافيًا وهو جمع هذه الأوراق وبأي طريقة؛ لأنها كانت -بالفعل- تغرق المكان كاملًا وبصورة تعوق السيارات، فكان المطلوب مني يوميًا -أنا وغيري طبعًا- أن نبدأ رحلة إزالة الأوراق، ورغم كونها شاقةً إلا إنني كنت أقوم بهذا العمل بمنتهى الإخلاص؛ حتى أزيل هذا المنظر السيء من المحطة، ولكن أضيف عليه تدريب أشخاص لننتقي من يصلح ومن لا يصلح، وكان ذلك أول تجاربي المباشرة مع الجنسيات المختلفة، أو حتى مع مصريين آخرين في موضوع الشغل، كان هذا أول احتكاك لي مع الموارد البشرية، وكانت المواصفات المطلوبة لمن سيقوم بعملي هي الأمانة ثم الأمانة ثم الأمانة، ثم تأتي بعدها بقية الواجبات، ورغم صعوبة الموقف وكثرة المتدربين من مختلف الجنسيات، استطعت أن أنجح في هذا الاختبار، وكنت أعلق على كل فرد فيهم وأترك تعليقي لمحسن في الخزينة؛ وليجده عندما يفتحها في



Obeikan.com

الصباح، وكنت أتعمد أن أكتبه باللغة العربية؛ حتى يقرأه هو أولًا ويفعل به ما يشاء مع زوجة عامر مديرة المحطة وقادر، وبالفعل نجح شخص فلسطيني كان محترمًا من ضمن عشرين فلسطينيًا ومصريًا تقدموا، وكلهم اشتهروا بالكلام الكثير وفي بعض الأحيان قلة الأدب، ولكن هذا الرجل كان متفانيًا، علمته في ليلة، وفي الصباح جمع معي أوراق الشجر، وأكمل الناقص في المحل، وأكمل الناقص في الثلاجة من المشروبات، وحفظ الأسعار، وطلب مني أن أكتب له ما المفروض فعله، وبعد ثلاثة أيام معي ويوم مع محسن تم تعيينه، ولكنه كان يعمل في مكان آخر ولم يكن يكفي لسد الفراغ؛ فظللت أقابل متدربين حتى نجحنا في إيجاد شخصين آخرين لملء الفراغ، وأصبحت جاهزًا للرحيل والذي كان مؤثرًا جدًا بالنسبة لي: فعلى الرغم من التعب إلا إنني اعتدت عليه؛ فأصبحت الحياة بدونه مللًا شديدًا.

في آخر يومين كنت لا أعمل، ولكني كنت أشعر بمللٍ غريب، لا أنام أكثر من خمس ساعات كما تعودت، وأشعر بوحدة شديدة على الرغم من انتهازي لهذه الفرصة لأشتري بعض الملابس والأشياء الأخرى مستغلًا شهرتي وأصدقائي في المتاجر المحيطة -والذين كانوا من زبائن المحطة- في إيجاد ما أرغب فيه بأقل سعر، وكم كنت أفرح حين يأتي عامر أو قادر أو ماجد ليحكوا لي كم يفتقدني زبائني! وكم يشكون من عدم وجودي، ومنهم مَنْ طلب رقم هاتفي، ومنهم من طلب بريدي الإلكتروني! وكم كنت

أفـرح حـين أرى في عيـون الجميـع نظـرة التشـجيع ونظـرة الامتنـان! وتأكيدهم على ضرورة أن نكون على اتصالٍ دائم.

بـالطبع لـم أنـس الرجـل المحترم الـدكتور الـذي أنقـذ الرحلـة والمغـامرة، وعرضـت عليـه أن أوصـل لمصـر أي شيء يحتاجـه، وبالفعـل بعـث معي حقيبةً كبيرةً وبعث معي الجماعة حقيبة لأخٍ لهم كان قد أتى إلى أمريكا في أثنـاء وجـودي وتعرفـت عليـه، وبـدأت في حـزم أمتعتي، وكـان سـيد الجزائري قـد حجـز لي تذكرة العـودة من ديترويت إلى نيويـورك في نفس يوم رجوعي إلى مصر؛ لأعود على طائرة مصر للطيران من هناك، وودعني بنظرة لـن أنسـاها كلها أمنيات بـالتوفيق والنجـاح، وأكد على أنني يجب أن أبقـى على اتصـال بـه، وأنـه لـن ينسـاني أبـدًا، متمنيًـا لي التوفيـق. صـباح يـوم العـودة نظـرت -ولآخـر مـرة- للمكتـب الـذي كنـت أنـام فيـه، وسـلمت على أصـدقائي في شـركة قـص الحشـائش، وعلى سـكرتيرة قـادر والتي كانت زبونةً من زبائن المحطة، وطلبت مني أن أتوسط لها عنده؛ لأنها في حاجـة إلى عمـل وقـد فعلـت، ومـن حسـن حظهـا أن قـادرًا وافـق وعينهـا في شـركته كسـكرتيرة، وودعـت ماجـدًا والـذي اغرورقـت عينـاه بالدموع وأنا أسلم عليه وتمنى لي التوفيق، خاصةً حين اعتذرت له عن مقالبي معه، ثم قـرر عـامر أن يوصلني للمطـار بنفسـه، وأذكر أنني ذرفت دمعةً وأنا أودع قـادرًا مَثَلِي الأعلى الجديد وهو أيضًا قد فعل، ولكنه أكد لي أنـه اختبرني، وأنني نجحـت، وأنني مرحـب بي في أي وقـت في شـركته،

متمنيًا أن أكون قد تعلمت شيئًا، وأذكر أنه خرج سريعًا من هذا المشهد المؤثر قائلًا: إن ذلك لن يكون أول وداع ولن يكون آخر واحد، وإنني لا بد أن اعتاد على ذلك في المستقبل.

لم أكن أفهم في ذلك الوقت، ولكني أدركت حكمة ذلك الرجل فيما بعد، أخذني عامر للمحطة لكي أودع زوجة عامر والتي كانت على وشك الوضع، وزوجة قادر والتي كانت تتسلم عملها كمديرة للمحطة، ومحسنًا والآخرين، وعند دخولي المحطة وجدت الجميع يقف وبما فيهم الزبائن في مشهد سينمائي لا تراه إلا في الأفلام الأمريكية ويصفقون لفتى موبيل الراحل، والزوجتان تعطياني بطاقة الاسم ودبوس رباطة العنق؛ تقديرًا منهما لجهودي لإبقاء هذا المكان في المكانة التي تمنتاها، وبالفعل كانت هذه أول مرة أشعر بأنني فخورٌ بنفسي، أجد من يمدحني غير أبي وأمي وأخي، ويشكرني على شيء فعلته، وبالفعل لم أتمالك نفسي ووجدتني أبكي، وخاصةً حين أعلمني عامر أن زبائن المحطة حين أكثروا السؤال عني اتفق معهم محسن على هذا المشهد ورحبوا جدًا دون تردد، وودعت الجميع وتركت المحطة بيتي الثاني في الكرة الأرضية، وأخذت نفسًا عميقًا ونظرت إليها لآخر مرة من بعيد قبل أن يبتلعها الأفق وتختفي، لم يكن يتبقي غير عامر لأودعه، وكان رجلًا حقًا، وعلى الرغم من عجزي عن أن أفهمه، إلا إنه كان طيبًا خدومًا إنسانًا لم أندم على معرفته. ودعته والدموع لا تزال في عيني، وتركني وحيدًا ورحل؛ لأعود كما كنت نورسًا

وحيدًا يبدأ رحلة العودة إلى الوطن، ولكنه هذه المرة يمتلك الخريطة والسلاح والدرع الواقي والعقل المستنير، والخبرة التي تؤهله لأن يعود دون أن تضايقه النسور.

كانت الرحلة من مطار ديترويت إلى مطار نويرك سهلةً وبسيطةً والحمد لله دون تأخير أو مشاكل. عندما أقلعت الطائرة وجدت نفسي أنظر من نافذتها لأرى ماذا حدث للأشجار التي كانت ناضجة الخضرة من ثلاثة أشهر، ولكنها الآن أصبحت نحاسية اللون طائرةً في الهواء، وكأنها تعطيني رسالةً مفادها أن كل شيء له نهاية، وها هي نهاية المغامرة، ها هي الحياة، مهما مر بنا من صعاب وحزن وفرح لا تزال الدقيقة ستين ثانيةً، لن تغيرها الظروف، ولا يعنيها ما نشعر به، ولكنها تمر بحلوها ومُرِّها.

نظرت نظرة حب إلى المكان المقدس بالنسبة لي، المكان الذي شهد ميلاد الرجل، ميلاد الجد والعزيمة، هو المكان الذي اختبرت فيه مستقبلي وحاضري، حقًا.. إنه مكان لا يمكن أن أنساه، وغاب المكان -كما اعتدت مؤخرًا أن يغيب الأحباب دائمًا- خلف السحاب، وأغمضت عيني ودخلت في سباتٍ عميق.

وصلت مطار نويرك وأخذت حقيبتي، واتجهت خارج المطار لأركب سيارة أجرة إلى مطار جون كينيدي؛ لأركب آخر مواصلة لمصر، كان



obeikan.com

الوقت كافيًا؛ فقد وضعت في احتياطاتي كل احتمالات أن تتأخر الرحلة؛ فحجزت طائرة مبكرة، وكانت طائرة القاهرة في منتصف الليل، وصلت إلى مطار جون كينيدي، وكان الوقت المتبقي على الطائرة أكثر من اثنتي عشرة ساعةً، جلست على الحقيبة في المطار أتأمل وأتعجب: فسبحان الله! في نيويورك رأيت خلق الله كلهم.. الأبيض والأصفر والأسود، هذا المكان لم يخل من بشرٍ لا حصر لهم مسافرين وقادمين، ووجدتني بكل ثقة أسأل الاستعلامات عن أقرب مكان لتناول الغداء في هذا المطار، وبعد مزحة مع الرجل وابتسامة وصف لي المكان، وتعجبت للإنسان نفسه الذي كان خائفًا مهزوزًا لا يُجَاب حين يسأل، وقارنته بنفس الإنسان الذي يثق الآن في قدراته على فعل أي شيء، إنه الفرق بين العلم والجهل، بين الخوف والإقدام، حقًا.. النورس داخلي أصبح أكثر خبرةً بالطيران والاختباء من الأعداء، لا تعنيه السماء ولا البحار، ولكن تعنيه التجربة والخبرة والتي بالطبع لم تكتسب إلا بالمحاولة.

أقلعت طائرة مصر للطيران متجهةً إلى القاهرة، ولأنها طارت في الليل لم تسنح لي الفرصة لألقي نظرة الوداع على نيويورك أسوأ مكان وأصعب مدرسة، تعلمت فيها أصعب منهج، ووجدت فيها أسوأ تعريف للدنيا والحياة، لن أنساها، ولكني انتهزت الفرصة ودخلت في سباتٍ عميق، حلمت فيه بمجموعة من الأحلام التي ظهر فيها كل من أفكر فيهم: قادر.. ماجد.. ومحسن.. وعامر.. وعلي.. وصديقي الجدع الرجل المحترم،

والحقير النذل، وأمي وأبي وأخي وبعض من أصدقاء الجامعة، كانت بحق نومة صعبةً جدًا، ولكنها ساعدت على مرور أكثر من نصف الرحلة، استيقظت كليةً عندما أعلن الطيار أننا فوق مصر، ووجدتني أفتح النافذة وأنظر منها.. ياه..... افتقدت هذا المكان بشدة، رغم افتقادي أيضًا أمريكا، ولكن لكزني حنين قوي جعلني لا أكف عن النظر إلى هذا البلد الذي يخترقه النيل، وتظهر فيه البقع الخضراء على استحياء وخاصةً كلما ظهر النيل، وتعجبت من اختلاف منظر الخضرة ومنظر الصحراء، وتمنيت أن تصبح بلادي كأمريكا.

شعرت ولأول مرة منذ فترة طويلة بالراحة والأمان، وأن النورس على وشك الوصول إلى أعتاب الراحة والتقاط الأنفاس بعد رحلةٍ لم يخطط لها، وازداد شوقي إلى لحظة اللقاء.

هبطت الطائرة بسلام، وخرجت منها على أول صدمة، وهي غالبًا صدمة المطار، والمنظر المختلف تمامًا عما تركته في مطارات تعد مزارات سياحية في حد ذاتها، ولكن لحسن الحظ كان أخي ينتظرني في داخل المطار ومعه الصول الواسطة، وبفضل هذه الواسطة عبرت الحدود والسدود دون أدنى مشكلة، وبعد أن خرجت ونظرت إلى أخي الأكبر الذي كنت ممتنًا له مفتقده مشفقًا عليه؛ فكيف يعيش إنسان بإمكانياته في مصر؟! وجدتني أبتسم وأسلم عليه بحرارةٍ شديدة، واتجهت معه إلى

الخارج لألقى أمي التي احتضنتني بقوة، ووجدتني أشعر أن الحياة ارتدت إليَّ حينما استقريت في حضن أمي.. حضن الوطن الذي غبت عنه لفترةٍ بدت لي أنها طويلة جدًا؛ فمنذ اللحظة التي أدرت فيها ظهري لأهلي ومنعني الكبر من الالتفات والرجوع وحتى هذه اللحظة التي أنظر إليهم فيها، حدث لي الكثير والكثير مما جعل حتى نظرتي إلى هؤلاء العظماء تختلف؛ فقد علمت ماذا يعني أن تكون من عائلة محبة متراصة تخاف عليك وتشجعك وتساندك بلا أي رغبة أو غرض.

في هذه الثواني القليلة وأنا راقد في حضن أمي شعرت بقيمة ما أعطاني ربي من نعمة وحمدته، وقررت أن تكون عائلتي في المستقبل مثل هذا المثال؛ فقد علمتني عائلتي دون عمد كيف تكون أبًا وأخًا مثاليًّا، وعلمتني أمي كيف تكون الزوجة والأم المخلصة، ورغم أن هذا الدرس لم يكن مَجَّانيًا، لكنه كان كافيًا لأعرف قيمة ما أملك، وقررت أن أحافظ عليه. ظللت أتحدث وأتحدث وأخي وأمي يستمعان باهتمام الملهوف وشغف الفخور، وظللت أسرد لهما ما مررت به حتى تعبنا من الكلام، وعندما نام أخي وأمي وجدتني أسرح قليلًا؛ فقد افتقدت شيئًا هامًا طيلة هذه الرحلة، وتذكرت أنني لم أنظر في مرآة منذ أن سافرت من مصر، وقد اشتقت إلى اشتقت لرؤية وجهي.

وصلت إلى البيت لأجد أبي منتظرني ليسلم عَلَيَّ قبل أن ينام، وقد افتقدته، وافتقدت أن أكون فردًا في عائلة وعضوًا في بيت كبير به آخرون، ووجدتني أجري إلى الحمام وأنظر في المرآة. حقًا ما مر بي كان ثلاثة أشهر، ولكني أرى وجهي قد تغير؛ فقد اعترته التجربة، و تبدلت نظرة اللا مبالاة نظرة التحدي ، وكأن الأيام تترك علامات التجربة على وجه الإنسان؛ حتى لا ينسى نعمة ربه، وهنا عاد النورس بعد أن ظهرت بعض الشعيرات البنية اللون في رقبته لتميزه عن بقية السرب؛ فقد تفوق عليهم بالعلم والتجربة والمغامرة.

وعندها رَنَّ هاتفي المحمول مرةً أخرى، وكانت زوجتي العزيزة هي المتصلة تستعجلني؛ لأننا كالعادة يجب أن نخرج لنقضي بعض المصالح التي لا تنتهي عادةً في العطلات، فوضعت الدبوس والاسم في مكانهما، ووضعت ملابسي وأخذت مفاتيحي ومحمولي، وودعت أهلي وذهبت، ولكن ظللت أتذكر ذلك النورس الكامن داخلي الذي أيقظته الذكريات، والذي يبدو أنه -ورغم تقدمه في السن- يرغب في استرجاع دروس الحياة.

# آخر يوم

**جلست** على سجادة غرفة المعيشة بعد صلاة الفجر أنظر شاردًا إلى النور وهو يشق السماء والظلام معلنًا بداية يوم جديد، الجو بديع منعش من خلف الزجاج في هذا الوقت من اليوم في هذا الوقت من العام، فها هو الصيف يرحل بمناخه الحار القاسي، والخريف يزحف بمناخه المعتدل المضطرب، ممهدًا لحلول فصل الشتاء بمناخه البارد وأمطاره الغزيرة.



obeikan.com

إنها الحياة.. ليل ثم نهار، صيف فخريف فشتاء فربيع، ميلاد ووفاة، دوائر متصلة من البدايات والنهايات. طيلة فترة وجودي في هذا البلد لم أرغب أبدًا في أن أترك هذا البيت؛ لأنني حين أشعر بالضيق يكفيني أن أنظر من الشرفة إلى الفراغ الممتد بعيدًا أمامي حتى أرتاح..

أفقت من شرودي بعد أن ملأ الدفء والنور السماء معلنًا بداية يوم جديد لمخلوقات الله في هذا المكان؛ لتبدأ رحلة السعي من النملة إلى الإنسان كُلٌّ في مجاله، يسعون في الأرض برحمة الله وفضله، منهم من يمد الله في عمره ليرى الغروب، ومنهم من يشاء الله أن يكون هذا الشروق هو الأخير له إنها حكمة الله في خلقه أن تكون الحقيقة الوحيدة المؤكدة في هذه الدنيا هي الموت والزوال، وعلى الرغم من ذلك لا نزال لا نفكر فيها ولا نعيرها اهتمامًا في تصرفاتنا وأعمالنا، وكأننا خلقنا لنخلد في هذه الدنيا ونعيش فيها إلى أبد الآبدين. بالنسبة لي لم يكن هذا اليوم عاديًا؛ فغدًا أو ربما بعد أيام قليلة لن أكون في هذا المكان، ولن أرى نفس المنظر، ربما أرى الشروق، ولكني لن أراه من خلال نفس الشرفة التي اعتدت عليها طيلة الأعوام السابقة، وبحركة لا إرادية نظرت حولي؛ لأرى البيت مليئًا بكراتين العزال التي من المفترض أن تشحن اليوم إلى مكان آخر وحياة أخرى؛ فاليوم هو اليوم الأخير لي في هذا المكان..

obeikan.com

مشيت فوق أنقاض البيت الممتلئ بقصاصات الكراتين والأغراض المعبأة، واتخذت طريقي وسط الفوضى العارمة التي اجتاحت المكان إلى غرفتي؛ لأضع ملابسي وأذهب إلى العمل، وضعت ملابسي وخرجت من المنزل متجهًا إلى العمل في رحلة روتينية داومت عليها منذ أكثر من عامين، كانت الرحلة من البيت إلى العمل طويلةً، ولكنها كانت فرصتي كل يوم لأغرق في تفكير عميق وحوار مع النفس ممتد.

في أوقات كثيرة يتطور الحوار إلى خناق وشجار وقرارات هامة، وخواطر كانت تظهر في هذه الرحلة اليومية، واليوم هو رحلتي الأخيرة التي أسترجع فيها الذكريات والحكايات، أناس قابلتهم وظننتهم أصدقاء والآن اختفوا ولم أعد أراهم أو حتى أعبأ بوجودهم، وأناس ظننت أننا لن نكون أبدًا أصدقاء والآن نحن أكثر وأفضل من الإخوة.

حقًا مر من الوقت الكثير، لا زلت أتذكر أول يوم وكأنه بالأمس القريب، والآن هو آخر يوم وآخر رحلة، هنا خطر ببالي سؤال: لماذا دائمًا نتذكر أول مرة بكل وضوح وتركيز وننسى آخر مرة؟ وكأننا نتعمد أن ننسى لحظات الوداع والحزن، فمن منا يتذكر آخر لقاء بينه وبين حبيبة قديمة في لحظة الوداع؟ أو آخر لقاء مع صديق قبل أن يباعد بيننا خلاف؟ من منا يتذكر آخر يوم في الجامعة والذي يمكن أن يكون آخر مرة يرى فيها الكثير من الوجوه التي عاشرناها وعرفناها ولكنها ذابت في

بحر الحياة الهادر واختفت؟ عن نفسي لا أتذكر هذه المواقف، من هنا قررت أن أترك لهذا اليوم طابعًا خاصًا حتى يتذكره الجميع، قررت - قبل أن أذهب إلى الشركة- أن أقف قليلًا لأحتسي القهوة في أي مكان وأنفذ الفكرة التي اختمرت في رأسي...

وصلت إلى مكان كنت أحب أن أحتسي فيه القهوة كل صباح قبل العمل، جلست واضعًا هاتفي النقال أمامي وقررت أن أكتب لكل أصدقائي الذين يهمونني رسالةً صغيرةً عبر البريد الإلكتروني أعبر فيها عما أشعر به تجاههم، ككلمة أخيرة قبل أن تتوه الوجوه وتضيع في خِضَمّ مشاغل الحياة الطاحنة، وفعلًا بدأت أرسل لكل أصدقائي في العمل كلٌ على حدة رسالةً أعبر فيها عن مشاعري، وحاولت أن أكون صادقًا إلى أقصى حد أُذكرهم بذكرى طيبة بيني وبينهم، وأُعَبِّر لهم عما يمكن أن أكون عجزت عن أن أقوله حين كنا سويًا، وبالفعل بدأت وسرحت في الكتابة والذكريات، واستمررت على ذلك وقتًا طويلًا؛ حتى أصبح لزامًا عليَّ أن أرحل إلى العمل؛ حتى لا تفوتني حفلة الوداع...

وصلت إلى الشركة فوجدتهم يستعدون للاحتفال، ودخلت غرفة مكتبي التي امتلأت بكراتين أشياء تخصني مرصوصة في الغرفة، ووجدت من أتى ليأخذ مكاني يجلس أمام المكتب بعد أن رفض أن يجلس إلى مكتبي في ظل وجودي.

كنت أنظر إلى أعين الجميع فأرى فيها مشاعر متضاربة، منهم مَنْ يكرهني وفرح لأنني انزحت من طريقه، ومنهم مَنْ أشعر في عينه بالحزن والتأثر، خاصةً من أرسلت لهم بريد الوداع.

بدأ الاحتفال، ووجدتني عند كلمة مديري -الذي أثنى على عملي وكَدّي واجتهادي، ووضح عليه التأثر بعد أن رأى رسالتي- والدموع تنهمر مني دون أن أشعر، خاصةً حين رأيت دموع أحد العاملين معي تنهمر وكأنه خائف مثلي من الجديد وما قد يحدث في المستقبل، وبعد كلمة قصيرة شكرت فيها الجميع وتمنيت لهم التوفيق والنجاح والتميز، متمنيًا أن يتذكرني الجميع بالخير، معتذرًا إذا كنت تسببت لأي شخص في ضرر أو أذى، مؤكدًا أنني لا أحمل لأي شخص أي ضغينة ولكن أتذكر الجميع بكل خير، راجيًا أن تستمر العلاقة فيما بيننا ولو حتى في المناسبات، متمنيًا لهم جميعًا التوفيق.

عندها تحشرج صوتي ولم أعد أستطيع الكلام، فابتسمت وتمالكت نفسي، والجميع يصفق لي متمنين لي كل خير، ثم التقطتنا معًا بعض الصور.

انفض الجميع عائدين إلى عملهم، وأكملت نقل أشيائي إلى السيارة، وسلمت على زملاء الأمس، وودعتهم خارجًا من باب الشركة، تاركًا خلفي سنين وأيامًا ودقائق وثواني مرت من عمري لن تعود، ورغم أنني لم أعتد

على أن أنظر خلفي، إلا إنني -ولأول مرة- أنظر خلفي نظرةً أخيرةً على دنيا كنت أعيش فيها والآن تركتها لدنيا جديدة مجهولة. معاهدًا نفسي أن أبقى دائمًا متذكرًا متحفزًا مستعدًا لآخر يوم في أي رحلة أخوضها....

obeikan.com

# كراكيب

رن جرس الهاتف قاطعًا حديثي مع صديقي العزيز، كانت هي على الطرف الآخر، تهلل وجهي فرحًا؛ فقد كنت أتحدث عنها مع صديقي حالًا.

وأنا أتحدث عنها أجد نفسي أشتاق إليها وإلى صوتها العذب الجميل.

أنا: آلو.

obeikan.com

هي: أهلًا حبيبي.. فينك؟

أنا: مع صديق في النادي خير؟؟

هي: أنا عايزة أطلع رحلة مع صديقاتي وأهلي وافقوا، لكن لازم موافقتك.
أنا ضاحكًا: رغم إني حبقى قلقان عليكي، ورغم أني سأشتاق إليك بجنون، ولكن أنا موافق، اذهبي واستمتعي بوقتك.

هي (صوتها متغير): وانت كمان حتوحشني جدًا حبيبي.. لكن أنا متعودة أطلع الرحلة دي.

أنا مقاطعًا: حبيبتي أنا أعرف كيف كنت تعيشين قبل أن نرتبط، ولا أريد أن أغير حياتك.. اذهبي وأرجوك.. اعتنِ بنفسك.

هي: شكرًا حبيبي.. بحبك.

أنا متمتمًا: وأنا كمان.. مع السلامة.

كان صديقي ينظر إليَّ نظرةً غريبةً وأنا أتحدث، ثم تكلم معي عن كيفية قبولي أن تذهب خطيبتي في رحلة مع صديقاتها بمفردها، وإنني يجب أن أجعلها تغير من نمط حياتها حتى يتواكب مع نمط حياتي وأسلوبي، وأخذ يسرد قصصًا وحكايات عن هذا الموضوع.



obeikan.com

في داخلي لم أكن مرحبًا بالرحلة، ولكن حاولت أن أتبع نصيحة الرسول (صلى الله عليه وسلم) حين قال: " إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ". فإذا كان الدين يجب أن نتوغل فيه برفق فما بالنا بالعلاقات الإنسانية؟؟ وكيف أطلب من إنسانة أن تتغير لأجلي دون أن أتغير من أجلها؟؟ ولماذا تقبل هي ما لا أقبله أنا؟؟!!

شعرت بداخلي بمشاعر متضاربة من الحنق والضجر والخوف من أن أظهر ضعيفًا لينًا، وأن تستغل هي ذلك في فرض ما تريد على حياتنا، وأصبح أنا المخطئ، ولكني ظللت شاعرًا بأنني لا يجب أن أندم على حسن الخلق، ويمكن أن يكون هذا الموقف مفترق طرق في علاقتنا يقويها أو يكون بداية النهاية.

وأنا في خِضَم أفكاري وأحاديث صديقي رن الهاتف وكانت هي: فرددت مسرعًا.

أنا: آلو.

هي: حبيبي.أنا: إزيك.

هي: بحبك.. بعد أن أحرجتني بكلامك قررت اني لن لأذهب الرحلة؛ لأنني أعرف أنك وافقت لأجل إسعادي؛ فقررت ألا أذهب لإسعادك.. لن تكون أفضل مني؛ فإن أعطيت سأعطي أكثر منك، وشكرًا لأنك لم تخذلني

أبدًا. منتظراك تعوضني بعزومة هايلة ويوم جميل نقضيه سويًا بدل الرحلة،وبعد إذنك صديقاتي معنا... بحبك.

أنا مبتسمًا: وأنا كمان.

نظرت إلى صديقي العزيز الذي بدا على وجهه الفضول، وتحدثت مغيرًا الموضوع متسائلًا: هما مش حيرجعوا الدوري ولا إيه؟؟!!!!"



obeikan.com

# الفكرة

كان رجلًا حكيمًا، شهد له الجميع -وبلا استثناء- بالحكمة والعدل والطيبة، هو رجل يمكن أن نختلف في مشاعرنا تجاهه، ولكننا لا ننكر قوته وحكمته.

كنا نمر عليه في مكتبه فنجده دائمًا منهمكًا في عمله، ملتزمًا لا يترك مكتبه ولا أوراقه إلا في أوقات الراحة والصلاة، وحين تقابله تجده جادًا



obeikan.com

مع ابتسامة رقيقة، تعلو وجهه دائمًا ابتسامة بها تشجيع وترحاب، ولكن في نفس الوقت وجهه وملامحه الجادة تجعل الراغب في التواصل يفكر قبل أن يقترب، وغالبا ما يقرر الرحيل قبل أن يبدأ الحوار.

منذ التحاقي بالعمل لم تسنح لي الفرصة لأتواصل مع هذا الرجل المحترم الدؤوب المثل الأعلى؛ فلم تكن بيننا غير ابتسامات عابرة وايماءات بلا معنى كلما التقينا.

مرت الأيام والسنون والعلاقة عابرة بيننا، حتى جاء يوم تقدم لي أحد الموظفين باقتراح رأيته جيدًا جدًا، ولكن الموظف كان عاملًا بسيًطا لم أتصور أبدًا أن يتقدم بهذا الاقتراح، وظللت فترةً طويلةً أقلب الأمر يمينًا ويسارًا لأعرف كيف فاتت هذه الفكرة على مهندسين ويخرج بها عامل بسيط، ظللت حائرًا أفكر وأقلب الأمر وتزداد حيرتي وحنقي وعدم اقتناعي بالفكرة أو بالأخص بصاحبها، حتى جاء يوم فقدت أعصابي واتهمت العامل بالسرقة، وأن فكرته ليست من بنات أفكاره، وتحاورت معه بعنصرية غبية، أخرجت ما في صدري من حنق وغضب، بل وتماديت إلى أن حولته للتحقيق وطردته من مكتبي.

بعد يوم أتى إلى مكتبي الموظف المرموق ونقر الباب برفق، ثم دخل في هيئته الوقورة وعلى وجهه ابتسامته المعهودة المليئة بالثقة، واستأذنني في أن نشرب معا كوبًا من الشاي إذا كان عندي وقت، وبالطبع -ورغم

ارتيابي في أسباب الزيارة- رحبت به، وطلبت له كوبًا من الشاي، وبعد المجاملات العادية وقبل أن يخيم الصمت فاجأني قائلًا:

هو: طبعًا أنت في حيرة لسبب الزيارة بعد كل هذه الفترة؟
أنا: لا.. فالشرف لي أن تزورني في مكتبي المتواضع.
هو: إن سبب زيارتي هو ما حدث بينك وبين العامل بالأمس.

ثم استطرد بعد أن لاحظ ارتباكي: أعلم أنك لا تصدق أن يكون عامل عنده هذا الفكر المنظم وهذه الفكر العظيمة، وأعلم من نظرة عينيك أنك لست راضيًا عن نفسك ولا ترغب في أن تكون عنصريًا؛ فأنا كما ترى أشيب الشعر، بلغت من الخبرة والاحتكاك أن أعرف ما يفكر فيه الجميع.

أنا مهمهمًا: أنا فقط أشك فيه، ولا أرغب في أن أتورط معه.
هو مقاطعًا: هذا العامل إنسان شهد له الجميع بالكفاءة، وحتى لو كنت ترتاب في أمره، فإن ذلك لا يجب أن يكون تصرفك تجاه الفكرة نفسها، وهي فكرة ممتازة حين عرضها عَلَيَّ قبلك شجعته؛ لأنها فكرة جيدة، ستساهم في رفع الإنتاج وتطوير البناء أيًّا كان مقدمها، فالإلهام هبة إلهية وعطية ربانية لا دخل فيها للحسب والنسب والعلم والمعرفة، فكيف تقف في وجه الفكرة لأجل صاحبها؟!



Obeikan.com

أنا مندهشًا: أنا لم أقصد ذلك.

هو محتدًّا: إنك بذلك تساهم في إيقاف قطار الأفكار لأجل عنصرية لا قيمة لها، تَذَكَّر أن غزوة بدر نجحت وانتصر المسلمون بسبب فكرة قالها واحد من الصحابة، لم يكن أبو بكر أو عمر أو علي أو عثمان، أو أي صحابي شهير، فتخيل إن كان النبي (صلى الله عليه وسلم) فكر مثلك ولَفِظَ الفكرة؛ لأنها لم تأت من ذي جاه أو حيثية!

ثم بصوت هادئ: لا غرض من هذه الزيارة إلا رجاء أن ترعى أفكار من حولك وتساندها وتكبرها، ولا تكن كمن يقتل الزهرة في مهدها فقط لأنه لا يحب البستاني، ثم اختتم حديثه قائلًا: وإذا أردت أن تعرف كيف لعامل أن يقدم فكرة، فانظر في كل الاختراعات، وانظر حولك ستجد الإجابة.

عندها قام من مكانه وابتسم متمنيًا لي التوفيق والنجاح، وأن أعذره على اقتحامه حياتي بهذا الشكل؛ معللًا ذلك بأنه يرى في شخصي إنسانًا يستحق النصح، ويرى في العامل إنسانًا يستحق المساعدة، ويرى فينا سويًّا مستقبلًا مبهرًا يمكن أن يعم على الجميع بالخير الوفير.

مَرَّ على هذا اللقاء وقت طويل، لا أذكر كم من الوقت، وأصبحت أنا اليوم موظفًا مرموقًا كبير السن، وعيت الدرس جيدًا؛ فنجحت

وتطورت، والآن أفتخر بأنني كنت بستانيًا لأفكار عدة وُلِدَت على يدي وترعرعت واستفاد منها الجميع، وذهب الأشخاص وزالوا، وسأزول أنا يومًا، ولكن تبقى الفكرة مجردةً، تبقيها فائدتها وليس حسبها ونسبها......".

obeikan.com

obeikan.com

# قصة حب

**أفقت** من نومي في الصباح بعد أن أيقظتني الخادمة لتخبرني بأن الماء مقطوع والكهرباء غير منتظمة، وكنت بالفعل أشعر بالحرارة وأتصبب عرقًا؛ نظرًا لتوقف جهاز المكيف بسبب انقطاع الكهرباء وأنا في أعماق النوم.

لا أعرف ماذا يحدث في البلد في هذه الأيام، الكهرباء دائمة الانقطاع، والمياه غير منتظمة، والشوارع مزدحمة، والحر زائد عن الحد، من المعروف أن في فصل الصيف روتينًا يوميًا وأسبوعيًا يُطَبَّق، فيوميًا منذ

obeikan.com

الصباح إلى المساء الذهاب إلى النادي لتمارين الأولاد وإفراغ طاقاتهم، مع قضاء عطلة نهاية الأسبوع في الساحل الشمالي حيث النسيم العليل والهواء النقي والتجمع العائلي.

نفضت غبار الكسل، وفتحت عيني بصعوبة لأجد صورة زوجي يبتسم لي ابتسامته البريئة في أحد أيام شهر العسل، حين كان البال هادئًا والقلوب لا زالت تخفق بالحب والحنان. أما الآن فلا أكاد أرى زوجي إلا في العطلات الرسمية ونهاية الأسبوع. فمنذ أن قررنا أن أتوقف عن العمل لم أعد أكترث أن أفيق معه لأعد له إفطارًا أو أودعه كما كنت أفعل في بداية زواجنا.

لا أعلم لماذا أطلت النظر إلى صورة زوجي، ولماذا لاحقتني ذكريات الزواج وملابساته ومعاناته ثم ما آل إليه الحال. تركت الفراش في حركة نشيطة لأستعد للخروج مع الأولاد إلى النادي حتى تُحَلّ مشكلة المياه والكهرباء، والتي جعلت البقاء في المنزل حالةً شبه مستحيلة.

وصلت مع الأولاد إلى النادي وانضما إلى تدريباتهما، وانضممت إلى حلقة النم وكلام النسوان التي تنعقد يوميًا، والمكونة من أولياء الأمور وبعض المطلقات، وفيها تنطلق الأحاديث عن أي شيء له علاقة بالفضايح، مين اتطلقت ومين اتجوزت ومين اتقفشت مع مين ومين ماشية مع مين،

وفضيحة إيه وحدوته إيه، والغريب أن الحلقة لا تقاوم؛ ففيها نعرف الجديد، وأحيانًا نعرف توقعات الأخبار.

حقًا.. إن هذه الحلقة غريبة؛ بعد ثورة يناير كانت كل الحوارات سياسيةً هادفةً، تدور عما يجب أن تقوم به سيدات المجتمع المحترمات (دة اللي هو احنا) في مصر، من توعية ودور اجتماعي وتنموي، وكلام كبير ظللنا نتحدث فيه شهورًا، وبالفعل بدأت بعض سيدات الحلقة العمل، ولكن سرعان ما وهن العزم وضاعت الإرادة تحت ضغط الكسل والاشتياق إلى حياة النم والفضائح، وسرعان ما استسلمنا جميعًا إلى العودة إلى ما كنا عليه دون أدنى مقاومة، مر اليوم طبيعيًا، ومرت حواراتنا طبيعيةً وعاديةً بلا جديد، حتى هلت علينا واحدة من سيدات الحلقة مطلقة وعندها ولدان بخبر جديد: إن أحد رجال الأعمال المنتمين للإسكندرية والنادي سيعقد ندوةً عن الاقتصاد المنزلي وكيفية استغلال طاقات المرأة، الموضوع يبدوعاديًا، إلا أنها ظلت تتحدث عن وسامة وأناقة رجل الأعمال، وكيف أنه إنسان محترم ومش متجوز، ونطقت اللفظ الأخير وفي نبرة صوتها شيطنة شديدة.

حقيقةً لم أكترث في البداية لمعرفة اسمه أو كنيته؛ فأنا لن أحضر الندوة على أي حال؛ لأنني مرتبطة بالعائلة في الساحل، ولأنني فعلًا أرغب في الاستجمام وربما تجديد علاقتي مع زوجي، والتي لا أعلم لماذا

اليوم أيقنت أنها فترت وانتهت تمامًا. سرحت في أفكاري وذكرياتي، واكتشفت أنني متزوجة منذ ما يقرب من ثماني سنوات، وأعرف زوجي من قبلها بحوالي سنتين ونصف، تذكرت طريقة تعارفنا وحياتنا وكيف تقابلنا، وكيف أحببته وتزوجته، والأولاد والمسئوليات و...و...و... وأشياء كثيرة جاءت وذهبت في رأسي، ولكنها كلها توصل لنفس النتيجة، وهي أنني أنا وزوجي نحتاج إلى أن نتكلم؛ حتى لا يصبح خبر طلاقي خبرًا عاجلًا في هذه الحلقة في يوم من الأيام.

حين تخيلت هذا الموقف انزعجت بشدة، وعقدت العزم على أن أفعل أي شيء ممكن حتى لا يحدث هذا، واطمأننت لأنه قد حانت نهاية الأسبوع، ولأننا في الساحل يمكن أن نتحاور أفضل بعيدًا عن الضغط المعتاد.

أفقت من شرودي على جرس المحمول، وكان زوجي المتحدث، وبعد حوار قصير لم يخل من بعض الكلمات التي أصبحت تقال ولا تحس، مثل: حبيبي أو حبيبتي، أخبرني زوجي بأننا لن نستطيع أن نذهب إلى الساحل اليوم؛ لأنه مرتبط بميعاد هام جدًا في الشغل، وعند اعتراضي لكونه يوم الخميس، رَدَّ بمنتهى البرود بأنني يمكنني الذهاب مع الأولاد بمفردنا، وأنه سيلحق بنا غدًا أو ربما لا يستطيع اللحاق بنا أصلًا، واعتذر وكأنه

بيعمل واجب، وأغلق الخط وتركني في حالة مزرية بعد أن حطم أحلامي بأن أتكلم معه عن حياتنا.

عدت إلى حلقة النم بعد أن خفت أن تلاحظ هؤلاء السيدات ما طرأ على وجهي من اكفهرار وغضب، ولكن الحمد لله كان الجميع منشغلًا ينصت وبشغف لصديقتنا المطلقة وهي تتغزل في رجل الأعمال صاحب الندوة، وتحكي مغامراته مؤكدةً أننا جميعًا يجب أن نحضر الندوة لنتعلم شيئًا مفيدًا -وبنظرة خبيثة- ولنرى هذا الرجل الناجح.

تملكني الفضول لأرى هذا الرجل الذي تصفه صديقتنا؛ فهو تقريبًا في سن زوجي، ومهندس، وأكيد لو شفته حاعرفه؛ فالمعروف أن الإسكندرية محافظة صغيرة، أوضتين وصالة كما اعتدنا أن نصفها، وفيها الكل يعرف بعضه حتى شكلًا، وبالفعل هممت أن أسأل صديقتنا عن اسمه، ولكني تراجعت خوفًا من أن تظن بي الظنون، ولكني قررت أن أحضر هذه الندوة الموجهة إلى سيدات البيوت أمثالي؛ لعلى أستفيد شيئًا يقتل مللي ويغير حياتي..

قررت أن أكمل اليوم في النادي، ولاقى هذا القرار الكثير من الترحاب من الأولاد، الذين انطلقوا مع أصدقائهم، واستمررت أنا في حلقة النم منتظرين جميعًا ميعاد ندوة الرجل الوسيم لنذهب ونستفيد.

بدأنا التحرك صوب مكان الندوة وأنا شاردة أفكر في حياتي الزوجية، ولا أعرف لماذا -ولأول مرة من بعد زواجي- أتذكر الماضي، أتذكر قصص الحب التي مررت بها، وأسترجع ذكرياتها، ولأول مرة أجد نفسي أعقد مقارنات بين زوجي وآخرين، وأتساءل: ماذا حدث لهؤلاء؟ أين هم الآن؟ هل هم حولي ولكني لا أراهم؟ أم أنهم اختفوا فعلًا؟ تذكرتهم جميعًا، لم يكونوا كثيرين، ولكن كلهم كانوا شبابًا محترمًا، وطبعًا تذكرت أول مرة أرتبط، وابتسمت؛ فقد كنا عيالًا جدًا.

أفقت على صوت صديقتي وهي تشير إلى المنصة حيث ظهر رجل الأعمال المنتظر، وعندها وجدتني أغرق في أغرب صدمة في حياتي، هل يمكن أن يحدث ذلك وفي نفس اليوم؟ هل يمكن أن تحدث المعجزة بحيث تفكر في شيء فتجده أمامك بشحمه ولحمه؟؟؟ هل يمكن أن تسأل سؤالًا فتجد الإجابة مجسمةً أمامك؟؟؟ لم أعبأ بصديقتي وهي تسألني وتتكلم معي، ولكني قاطعتها بلهجة حادة بسؤال عن اسم هذا الرجل، ورغم كوني متأكدةً من الإجابة إلا إنني ظللت أنظر إليه وأبتسم وأنا أرى أمامي شريط حياتي يمر، وعقلي يعمل بقوة ليستعيد مشاهد متفرقةً من ماضي ظننته قريبًا، ولكني اكتشفت أنه مر عليه من الوقت الكثير، وأتت فوقه أحداث ومواقف كثيرة متلاحقة، جعلته في أعماق أعماق الذاكرة، والآن عقلي يبذل من الجهد الكثير؛ لينفض عن هذه الذكريات

الغبار، لم أنقل نظري من على منصة الرجل الوسيم، وظللت أتذكر وأتذكر وأتذكر.....

الرجل الوسيم كان آخر قصة حب في حياتي قبل زوجي، أعرفه منذ أكثر من عشر سنوات، ظروف تعارفنا كانت غريبةً بعض الشيء؛ فقد تعارفنا من خلال النت، وللعلم كانت هذه هي طريقة معرفتي بزوجي أيضًا، يعود هذا التاريخ إلى يومٍ كنت أعبث فيه في أحد برامج الشات على النت، وكنت في هذا الوقت تقريبًا في ثانوي، وكان الإنترنت نادرًا صعب الوجود، وكان ثمن الخدمة باهظًا، كنت أجلس إلى النت كثيرًا وأتعرف على شباب وبنات كثيرين، مستغلةً ألا أحد يعرف من أنا أو شكلي؛ فقد كنت أشعر دائمًا بأنني لست جميلةً لكي أجذب انتباه أحد، فلذلك أحببت النت؛ فخلف ستار النت أتخفى وأتكلم دون خوف، وأتعرف على الناس دون أن أخجل، ظللت هكذا كثيرًا حتى أتى يوم أتت لي رسالة من شخص اسمه غريب، يعرض عَلَيَّ التعرف، ولا أدري لماذا قبلت الحوار وظللنا نتكلم فترةً طويلةً في كل شيء، واكتشفت أنه إنسان محترم يتكلم بعقل، وردوده لذيذة ودمه خفيف، والأهم أنه كان يحب الأفلام، وظللنا نتحدث عن الأفلام والشخصيات السينمائية، حتى اضطررت إلى أن أقفل النت علشان كان عندي درس، على وعد بأن أكلمه مرةً ثانيةً.

أتذكر جيدًا أنه ترك لي رسالةً يعبر فيها عن أنه كان سعيدًا جدًا بالكلام معي، وأنه يرغب في أن نكون أصدقاء، ظللنا نترك لبعضنا رسائل، حيث إننا لم نلتق مرةً أخرى أونلاين، ولكن ما أذكره أنني كنت أحب كلامه المحترم وطريقة حديثه، وكنت أنتظر الوقت لكي أختلس النت وأقرأ رسائله، حتى توقف لبعض الوقت بلا إنذار؛ فوجدت نفسي أفتقده بشدة، وكنت يوميًا أنتظره، ولكنه لم يكن يظهر؛ فقررت أن أترك له رسالةً على بريده الإلكتروني لأطمئن عليه، وبعد فترة رد على الرسالة، وتعلل بأنه كان في الساحل مع أهله، وأنه كان مفتقدًا رسائلي والحديث معي جدًا، وأرسل لي رقم محموله، وطلب مني أن أتصل به للتواصل.

شعرت بسعادة بالغة حين قرأت رسالته، وما أعجبني أنه ظل يؤكد أنه لا يقصد شيئًا، وأكد على أن أعتبر ما قاله كأن لم يكن إذا كان سيضايقني أو يشعرني بأي إهانة، ورجاني رجاءً شديدًا ألا نتوقف عن التواصل.

كنت في خلال الفترة التي كنا متواصلين فيها قد عرفت عنه كل شيء تقريبًا، وعلمت أنه يستغل النت حتى يتخفى خلفه؛ لأنه -على حسب وصفه- غير وسيم بالمرة، والبنات في سني وأكبر لا يقتنعون إلا بالوسيم الأَمّور وإن كان تافهًا، وحكي لي عن رحلاته مع أهله، وكان واضحًا أنه من عائلة مرتاحة ماديًا، كما كنت أنا من عائلة مرتاحة ماديًا وأدبيًا.

لا أعلم لم شعرت بالانجذاب إليه وبرغبة شديدة في أن أراه، بل وشعرت بأنني بدأت أحبه فقط من كلماته وثقافته ونبوغه؛ فقد كان في كلية الهندسة، وكان متفوقًا، وكان أكبر مني سنًا بحوالي أربع سنوات، وكان من وجهة نظره فرق ممتاز حتي يستطيع أن يتخرج ويكون نفسه ويتزوج، كنت معجبةً جدًا بتفكيره الذي كان مختلفًا تمامًا عن كل مَنْ كانوا حولي من شباب أو بنات...

اتصلت به، وازددت إعجابًا به وبطريقة كلامه، وظللت أقترب منه أكثر؛ حتى طلب مني أن نلتقي، وجزم بأنه وقع في حبي دون أن يراني وهو الأهم؛ فقد أحب روحي وعقلي وقلبي قبل أن يحب شكلي وجسمي وتفاصيل أخرى أكد لي أنه لا يهتم بها كثيرًا، واعتبر نفسه أعمى، والحب بالنسبة له هو حب الروح وليس الجسد.

بالفعل كنت أشعر بنفس ما كان يشعر به، ولكني لم أكن أملك هذه الفصاحة والتعبير الرقيق؛ فوافقت دون تردد، واتفقنا على اللقاء والتفاصيل ووسيلة التعارف، وأتى في ميعاده بالضبط، وعرفني على الرغم من أنني لم أكن أرتدي ما اتفقنا عليه؛ حتى أُبْقِي لنفسي فرصة الهروب، ولكنه اقترب مني مبتسمًا ومعرفًا بنفسه.

أذكر أنني كنت في نفس الحالة التي أنا عليها اليوم، لم أستطع أن أبعد عيني عنه وعن تقاطيعه وتفاصيله، لم أستطع التوقف عن سماع كلماته والنظر إلى تعبيراته.

كان شابًا وسيمًا ليس كما كان دائمًا يقول، قصير الشعر، داكن اللون، حاد النظرة، حتى إنه إذا نظر إليك احتواك بعينيه وحاصرك وحضنك بعنف، فلا تستطيع إلا أن تستسلم له، وأكثر ما شدني إليه إنه يشبه الكثيرين من الشباب، لا يوجد شيء مميز في شكله أو هيئته، كان أطول مني ولكنه متناسق الجسم متناسب الأبعاد، ظل يتكلم وكان لبقًا جدًا، وكنت أنا صامتةً أنظر إليه، وقد احتواني حتى إنني شعرت بأنني أقع في شباك جاذبيته الشديدة، وفي وسط الكلام شعرت بقلق شديد؛ فقد أعجبني جدًا، ولكني لا أعرف إن كنت أعجبته أم لا؟ لم أكن أتخيل أن يكون هذا اللقاء هو الأخير بيننا، على الرغم من أنه ظل يتكلم وينظر إلَيَّ نظرة المعجب، وكانت تصرفاته تدل على أنه لن يكون آخر لقاء، ولكني لا أدري لماذا اعتراني هذا القلق، ولكنه بلباقته وذكائه أخذ يثني على جمالي، وأنه لم يكن يتخيل أن أكون جميلةً بهذا الشكل، وأخبرني كم هو سعيد بأنني وافقت على مقابلته، وأنه معجب بي جدًا.

تطورت العلاقة سريعًا، وقفزت قفزات سريعة لم يكن أي من المقربين يتخيلها؛ فقد أصبحنا من أشهر العلاقات في الإسكندرية، لا يمكن أن

تراني بمفردي ولا يمكن أن تراه بمفرده، لا أنكر أنني حافظت عليه بشدة؛ كنت كل شيء في حياته؛ فقد كنت أول تجربة في حياته، وأول حب، وقد تَقَبَّلَ أن ينسى أنه ليس أول حب، بل حتى لم يحاول أن يعرف كيف انتهت علاقاتي السابقة؛ فأحببته أكثر وأكثر، وقررت أن أكون كل شيء في حياته، وألا أدعه أبدًا، فكان يصحو على صوتي وينام على صوتي، ويراني وسط اليوم ولو لثوان.

كان رجلًا بمعنى الكلمة، كان يعشقني ويحبني ويشعرني دائمًا بأنني ملكة حياته، لا أتذكر أنه نسي أي مناسبة تخصني، وكنت أنا أيضًا لا أنسى أي مناسبة تخصه أو تخص أهله، كان صريحًا لا يداري عني أي شيء، حتى لو له علاقة بعائلته أو نفسه طبعًا، كان يفعل ذلك من منطلق أنه كان يعتبرني زوجته، وأن ما كان يحدث ما هو إلا مرحلة إعداد لحياتنا المقبلة سويًّا كزوج وزوجة.

تذكرت في شرودي أحلامه وطموحاته، وحتى أسماء أولادنا التي اخترناها سويًّا، تذكرت عائلته المحترمة الجميلة، وكيف كان نجمًا فيها يحبه الجميع، ويتوقعون له شأنًا عظيمًا، وكيف كانوا جميعًا يحبونني ويحترمونني؛ لأنه يحبني، وكان ذلك يكفيهم من الأسباب...

أفقت من ذهولي على صوت تصفيق حاد من السيدات المحيطات، ونظرت حولي فوجدت حالة همز ولمز من إحدي سيدات حلقة النم،

والتي سألتني عما إذا كنت بخير. مسترسلةً ومعللةً بأنني لم أحرك نظري من على منصة الضيف، وغمزت لي بقذارة، ولكني لم أكترث. غير أنني بحثت في الوجوه لأرى أحد الأصدقاء الذين يعرفون بأمر قصتنا، فوجدت الكثيرين، ولكني لم أكترث؛ فقد اشتقت إلى أن أسمعه يتكلم، واشتقت إلى أن أجتر ذكرياتي.

كان الضيف يتكلم عن مشروع اقتصادي يحول المرأة التي لا تعمل إلى فرد منتج في المجتمع عن طريق المشروعات المتناهية الصغر، والتي تساهم بها سيدات النادي بشراء المواد الخام والآلات وتعليم الفقراء في الأحياء الشعبية بعض الحرف كالخياطة أو التطريز، وتحويلهم إلى أفراد منتجين، وشرح باستفاضة بابتسامته الواثقة التي لا تفارق وجهه، مع الكثير من الشعر الأبيض الذي ظهر في رأسه وبعض التجاعيد البسيطة التي جعلته جذابًا، مع نبرة صوته الساحرة التي تخاطب القلب والعقل قبل الأذن وبأسلوب مبسط وبخطواتٍ عملية، وشرح عوائد ذلك على المجتمع، مع رغبته في أن تكون سيدات النادي هم نواة هذا المشروع، ثم بدأ يتلقى الاستفسارات والأسئلة، والتي كانت كلها تنصب في صميم المشروع والفكرة التي بالفعل أثنى عليها الجميع، بل وتحمس لها الكل، ولكن كان في وسط الأسئلة الكثير من الأسئلة الشخصية التي كانت تصيبه بالارتباك، والتي كان يعتذر عنها بلباقة وبابتسامة رقيقة.

obeikan.com

ظللت أنظر إليه، واستمتعت بحواره، ولكن ما لاحظته أنه لا يراني، أو رآني ولم يعرفني، ورغم شكي في ذلك لكوني أعرف كيف هي ذاكرته وقوتها، إذن لماذا لم يبتسم لي أو يومئ برأسه أو يفعل أي شيء ينم عن أنه لا زال يتذكرني.

ظللت أنظر إليه، وتلاقت عينانا مرةً أو مرتين، ولكنه كان ينظر في مكان آخر بسرعة وخفة، بلا أي دليل على أنه تذكرني، انتابني القلق فأخرجت مرآتي ونظرت فيها إلى شكلي، لقد تغيرت ملامحي ولكن ليست بالدرجة التي تجعله لا يتعرف عَلَيَّ، ظللت أحاول طيلة المحاضرة، وأضرب أخماسًا في أسداس؛ لأعرف لماذا لم يرني، ثم تذكرت فجأةً كيف قررت أن أتركه فجأةً، وقبل أن تتم خطبتنا بوقتٍ قصير، تذكرت كيف أنني انتقدته وانتقدت أنه تغير على الرغم من أنه كان يحاول أن يبني نفسه سريعًا؛ لكي يكون جاهزًا حين يتقدم لخطبتي، وكيف كان يراعي ضيق والدي من العلاقة، وكيف كان يحافظ على حبه، وكيف كان يخبرني بأدق تفاصيل حياته، ولكني لا أعرف ماذا جرى لي.

كنت أفتقده كثيرًا، وهو كان مشغولًا بعمله ورغبته في بناء حياتنا، ورغم أنه كان يعتذر لي دائمًا معللًا ذلك برغبته في تقريب موعد زواجنا، إلا أنني -وبدون أسباب- تحولت فجأةً، وبدأت أدخل على الشات، وكان



obeikan.com

يراني، ولكنه لم يشك ولو للحظة في أنني أخونه، ولكنني بالفعل كنت أبحث عن رجل جديد، وكان هذا الرجل هو زوجي.

تذكرت حين واجهته بالحقيقة، وبأنني لا أستطيع أن أكمل المشوار معه، وكيف كان متأثرًا جدًّا يكاد يتوسل إليَّ حتى أفكر، وكيف كذبت عليه حين سألني إذا كان في حياتي شخص آخر، على الرغم من وجود زوجي في حياتي، أذكر كيف كنت أقابله في النادي وأنا مع صاحبي الجديد، وكيف كان يحاول أن يخفي ضيقه وحسرته، وكيف كنت أتعالى على أن أنظر إليه، وها أنا اليوم أتطلع إلى أن ينظر إليَّ ويبتسم أو حتى يومئ برأسه.

خرجت من المكان، ومشيت بمفردي تجنبًا لسيدات النميمة، وفي طريق خروجي قابلت بعض الوجوه القديمة التي أتت لتسمعه، خرجت من مكان الندوة حزينةً وسعيدةً في نفس الوقت؛ فقد رأيت إنسانًا لا يزال له في قلبي مكان رغم ركام السنين، وحزينةً لأن ما أشعر به لا يجب أن يكون موجودًا، أحقًّا ندمت على هذه العلاقة؟؟ ألم يكن من الأفضل أن أكون بلا قصص حب وبلا ماضٍ أتذكره فأندم أو أقارن بينه وبين حاضر اخترته بيدي.

ظللت أفكر شاردةً حتى أفقت على مَنْ يقف أمامي مبتسمًا تمامًا كما رأيته لأول مرة منذ أكثر من عشر سنوات، واضعًا يديه خلف ظهره إيذانًا

بأنه لن يسلم، ولكنه ابتسم وأعلن لي أنه سعيد جدًا برؤيتي في ندوته بعد طول غياب واختفاء، وأنه سيكون سعيدًا لو شاركت في هذا المشروع وهذا العمل الاجتماعي، وأثنى على شكلي بمجاملة رقيقة بأنني لم أتغير ولم تؤثر فِيَّ السنون، وعندها أتى أولادي، فَتَعَرَّف عليهم وداعبهم بلطف، ثم حَيَّانا وانسحب بهدوء، وظللت أنظر له وهو يمشي مبتعدًا بثقة وهدوء عله يدير رأسه وينظر لي مرةً أخرى، ولكنه لم يفعل، وكأنه ينهي القصة كما كان يجب أن تنتهي، ولكن هذه المرة كانت النهاية بطريقته هو.....



obeikan.com

obeikan.com

# قصة حب (النسخة الرجالي)

**الشارع** متوقف تمامًا، ما أصاب المرور هذه الأيام من شلل رهيب أصبح شيئًا لا يُحْتَمَل، والغريب أنني أبحث عن عسكري مرور ينظم هذه المأساة فلا أجد، وكأن المصريين كُتِبَ عليهم أن يعتمدوا على أنفسهم في كل شيء.

الجو حار خانق، والأزمة لا تقترب من أي حل؛ لأن الجميع يفكر في نفسه فقط ولا يعير الآخرين أي اهتمام، تذكرت حين كنت في الولايات المتحدة الأمريكية وضرب البلد هناك إعصار أدّى إلى انقطاع التيار



obeikan.com

الكهربائي، يومها خرجت بالسيارة أتجول في المكان ودهشت؛ فالجميع يحترم المرور حتى من دون إشارة تعمل أو وجود ضابط، مع العلم بأن كاميرات المراقبة كانت معطوبةً، لكن ما يحرك هؤلاء هو التعود على النظام واستوحاش الفوضى والتعجب منها بل واستنكارها بشدة، تذكرت حين عدت من هناك بعد أن أنجزت الدكتوراة وكيف كنت أصاب بالهلع وأنا أتخيل حادثًا أليمًا على وشك الحدوث لولا ستر ربنا، تذكرت كيف كنت أستنكر الزبالة التي كانت تتكوم أمام بيتنا مع أنها كانت تتكوم منذ مولدي ولم ألاحظها، لكن العين حين تتعود على النظام والاحترام تلاحظ الشاذ بسهولة وتستنكره.

أفقت من شرودي على كومة زبالة كبيرة تتوسط الشارع، وتعجبت من مرور الناس بجانبها دون أدنى مشكلة وكأنها جزء لا يتجزأ من حياتنا، وذلك مؤشر خطير؛ لأن بداية حل المشكلة يكون حين ندرك أنها مشكلة، وإذا تعود الناس على الزبالة فستصبح شيئًا عاديًّا، ولن يتوقف الناس عن إلقائها في الشارع، ولن يتضرر أحد منها، وستصبح مع مرور الزمن وارتفاع رتم التبلد العاطفي شيئًا أشبه بالرصيف كدة في الشارع، أمر واقع وعادي كمان. ابتسمت حين تخيلت هذا المشهد، وقطع حبل أفكاري صوت آلة تنبيه متواصلة من التاكسي الذي خلفي، ولا أعلم ما هو المراد منها والطريق متوقف تمامًا، بدأ الطريق يسير حين تبرع أحد

أهل الخير وفك الاشتباك المروري، معلنًا انتهاء حفلة الغباء، وتَحَمَّلَ عبء تنظيم المرور بدل العسكري الذي اختفي في ظروف غامضة.....

وصلت إلى مقر الحزب متأخرًا، ولكن ما شفع لي أن الجميع أتى متأخرًا نتيجة الظرف الطارئ الذي نعيشه في الإسكندرية هذه الأيام، وهو للآسف ظرف طارئ ومفاجئ، إنه فصل الصيف الذي يأتي فيه الإخوة من شتى بقاع الجمهورية للتصييف عندنا، ولا أعلم لماذا نفاجأ كل صيف بذلك ونجد هذه المعضلة والمشكلة، مع أن الصيف يأتي كل عام في نفس الموعد.. لا أعلم، ولكن الوضع لا يُطَاق، والسيارات في ازدياد مستمر، والكتل الخرسانية تتزايد بلا هوادة ولا تنظيم، دخلت الحزب الذي أصبحت عضوًا بارزًا فيه بعد ثورة يناير وبعد الحرية اللانهائية التي حصل عليها السياسيون؛ مما جعل مصر يظهر فيها آلاف الأحزاب والجمعيات والذي منه، والتي ساهمت وبقوة في رواج سوق العقارات نتيجة التدافع على تأجير مقرات لهذه الأحزاب.

اخترت أن أنضم لهذا الحزب الذي أعجبني أعضاؤه وأفكاره وتوجهاته التي كانت مقاربةً لتوجهاتي وأفكاري وأحلامي، ومنذ انضممت لهذا الحزب وأنا أنتقل معه من نجاح إلى نجاح، بدايةً من عمل اجتماعي، إلى عمل توعية للشباب والجماهير ولمس نبض الشارع وتحديد متطلباته،

بدلًا من أن أكون ثوريًا على الفيس بوك وتويتر ولا أنفع البلد إلا بالانتقاد ومصمصة الشفايف والخلاف مع الأصدقاء والأقارب.

اليوم في اجتماع الحزب سنناقش مجموعةً من المشروعات الاجتماعية وسبل تمويلها وتوصيلها للطبقة المطحونة. الاجتماع عبارة عن عصف ذهني شديد بين شباب الحزب بعد أن أوضحت لنا الدراسات أن مصر في حالة يرثى لها، وأن أي إنسان حيعمل أي حاجة حتفرق مع الناس؛ فالفقر والإهمال الصحي والتعليم والبطالة والانحطاط الأخلاقي وكل ما تعاني منه الشعوب في العالم فرادى نعاني نحن منه مجتمعًا.

اتفقنا في الحزب على أن نكون إيجابيين، ننزل إلى الشوارع نلمس المشاكل، ونحاول كحزب يضم مختلف الطوائف أن نجد حلولًا جذريةً -إن استطعنا- أو مؤقتةً، مع إبراز المشكلة للسادة المسئولين.

استهواني هذا الحزب؛ فأنا رجل أعمال صغير بدأت حياتي العملية منذ فترة طويلة، وبالأخص بعد أن تخرجت في الجامعة وقررت أن أكون حرًا بلا قيود، وكنت بحكم تخصصي مؤمنًا إيمانًا تامًا بأن مصر بتعدادها وتنوع سكانها سوق ضخم يبتلع أي انتاج، ولكن المشكلة في غياب الصناعة الوطنية التي تنهض بمستوى المنافسة.

أيقنت أنني لأمتلك مصنعًا أحتاج إلى العمل في مصانع أخرى متقدمة؛ لأتعلم التجربة وأرى الأفكار وأطورها وأبدع فيها من حيث انتهى الآخرون؛ حتى أصبح على أرضٍ صُلْبَة، وبالفعل بدأت في العمل الدؤوب في إحدى الشركات الصناعية الكبيرة في الإسكندرية، وبدأت في الماجستير تمهيدًا للدكتوراة، كنت أعمل وأستذكر وأفكر وأتخيل وأحلم، تعبت كثيرًا حتى وصلت إلى ما أنا فيه الآن والحمد لله...

بدأ الاجتماع الحزبي، وتشرفت بأن أكون على رأس الاجتماع الذي يحضره معي شباب الحزب الواعد، الذي اشترك معظمه نتيجة حملة قمنا بها لأجل دعوة الشباب الإسكندري للانضمام للحزب، وقد تشرفت أنا والكثير من رجال الأعمال وأساتذة الجامعة الأفاضل، والكثير من الشخصيات الشبابية المحترمة في الاشتراك في هذه الحملة؛ حتى استطعنا أن نجمع هذا الشباب الذي استمر معنا بعد أن شعر بأننا نفعل شيئًا إيجابيًا لهذا البلد، واليوم أنا أتشرف بأن أكون على رأس هذا الاجتماع الحزبي الذي سنقرر فيه ونتكلم عن مشروع الأسر المنتجة، وهو مشروع يتحدث عن كيفية تحويل ربات البيوت إلى أفراد منتجة، وكيف نستفيد منهن ويستفدن، وكيفية استغلال جمعيات المساجد والكنائس في تحديد الحالات وتدريبهم وتوصيل المواد الخام لهم وتسلم المنتج النهائي وتسويقه وتمويل المشروع.

تكلمنا وتناقشنا وعرضنا وجهات نظر عدة والآليات، ثم قررنا أن نبدأ في تدشين هذه الحملة ومحاولة لم تبرعات وشحذ همة الطبقة الغنية؛ لتساهم بالتعليم أو تمويل أو تسويق هذا المشروع، وتم التصويت على المشروع بعد أن توصلنا للشكل النهائي في مشهد ديمقراطي جميل، وتمت الموافقة مع ترك الباب مواربًا لأي تغيير تتطّلبه الظروف عند التطبيق؛ حتى لا يستاء من كانوا معارضين أو لهم وجهات نظر أخرى، ويشعر الجميع بأن له دور فعّال.

اقترح الموجودون أن نبدأ بالأندية، وأن ندعو فيها لندوات عن المشروع، وشرح مستفيض عن المطلوب عمله وكيفية المشاركة، ووقع الاختيار على العبد لله ليقوم بهذه المهمة، وعلل الجميع ذلك مبتسمين بخبث بأنني واحد من أشهر عزاب البلد ووسيم، وأُعَدُّ في حد ذاتي عامل جذب للسيدات لحضور الندوة والاستماع وحتى المشاركة على سبيل المجاملة لي.

تعجبت جدًا من هذا التفكير الغريب من الجميع؛ فلم أكن نجمًا سينمائيًا أو زيرًا للنساء، ومن أين لهم هذه الثقة في أن السيدات سيأتون لسماعي؟! تملكني الغضب للتدخل السافر في حياتي الشخصية واستغلالها تحت أي مسمى -وإن كان خيرًا- في أغراض تخص الآخرين، لاحَظَت إحدي الزميلات ما اعتراني من غضب، فابتسمت لي وغمزت بما

معناه لا داعي للغضب؛ فابتسمت ابتسامةً مرتبكةً وحاولت الخروج من حالة الإحراج التي انتابتني والجميع يحدقون فِيَّ منتظرين رأيي والذي كان الموافقة طبعًا في سبيل نجاح المشروع والاستفادة منه....

خرجت من الحزب تنتابني حالة غريبة من الضيق، وكأنني -ولأول مرة- أكتشف أنني عازب. حقًا لم أكن أعلم أن وضعي كرجل أعمال وحزبي وما ترتب عليهم من دخولي دائرة الضوء سيجعلني عرضةً لهذا الظرف الغريب والانتقاد والتريقة.

لَحِقَت بي زميلتنا في الحزب، وطلبت مني أن نتكلم سويًا لبعض الوقت؛ رغبةً منها في توضيح الأمر، لم أتهرب.. بالعكس رحبت جدًا بالفكرة، فكرة أن أسمع ما يقوله الناس عني، خاصةً في هذه الجزئية؛ فحياتي العاطفية -ومنذ أكثر من عشر سنوات- انتهت تمامًا، تزوجت مستقبلي ونجاحي ورغبتي في بناء بلد جميل متطور ومتحضر ولم أعد أفكر في الحب، وساعدتني في ذلك رغبتي الشديدة في إثبات ذاتي مع عدم ظهور من تستطيع أن تداوي جراحي وتعيد لي ثقتي في الجنس الآخر.

كانت هناك علاقات عابرة فرضتها ظروف كوني لست قديسًا، ولكنها لم تكن تتعدى علاقات عابرة بلا التزام، قابلت زميلة الحزب، وحَاوَلَتْ الاعتذار لي بشتى الطرق، وسَرَدَتْ لي ما يروجه الجميع وما تتداوله الإسكندرية من قصص عن مغامرات عاطفية أقمتها من قبل، وكلها

مستندة على سؤال حائر: لماذا لم أتزوج إلى الآن؟؟!! ظللت أستمع وبشغف لكل هذه الإشاعات التي لم تكن كلها خطأ، ولكنها محبشة، ومضاف إليها المهارات المصرية الأصيلة، تتجلى فيها مواهب التأليف والإثارة والتشويق حقيقةً، وبعد أن سردت زميلة الحزب هذه القصص التي كان مجملها أنني مذيب قلوب العذارى، سألتها إن كانت مقتنعةً بهذا الكلام، وتأكدت منها من أن الجميع بعد أن عرفني جيدًا لم يعد يكترث لهذه الخزعبلات، وأن الشباب بالداخل حين اقترح أن أتولى أنا أمر الندوات، كانوا يريدون استغلال مواهبي في إقناع حتى من جاءت للبصبصة؛ فتخرج من الندوة وهي تعرف عن المشروع؛ لعل وعسى يتحرك حسها الوطني وتقلع عن الهبل والتخلف، ولكي نجتذب هذه الشرذمة من النساء اللاتي يقضين أغلب الوقت في النم وتأليف القصص إلى العمل الوطني تلزمنا أداة جذب جبارة لا تقاوم، وابتسمت لي ابتسامةً حنونةً وقالت: فلم نجد أحسن من أكبر رجل تحوم حوله الشائعات في الأوساط الراقية.

حقًا.. إن أهم ما خرجت به من حديثي مع زميلة الحزب أنه لا أحد توصل للسبب الحقيقي للقطيعة بيني وبين الزواج، لا أحد ذكر قصة الحب الوحيدة في حياتي حتى لا أساهم في تلويث سيدة أصبحت الآن في ذمة رجل وعندها أولاد حتى وإن كنت أمقتها، ولكن ذلك ليس معناه التدمير وتلويث السمعة، خاصةً في المجتمع المصري الذي أدمن

المسلسلات بمختلف لغاتها، وما يصاحب ذلك من تطور شديد في مَلَكَة التأليف والإخراج.

تبادلت مع الرفيقة زميلتي في الحزب الحديث في موضوعات أخرى، ثم استأذنتها ورحلت......

في طريقي إلى البيت -وفي ظل الازدحام الشديد- توافرت لَدَيَّ الفرصة لأنبش في ذاكرتي؛ لأنقر باحثًا عن قصة الحب الوحيدة في حياتي، ولأنها الوحيدة؛ فهي لا تزال محفورةً في ذاكرتي بشدة بأدق تفاصيلها وملامحها. كيف ابتدت؟ وكيف انتهت؟ وكم استمرت؟ ورغم ما تركته في قلبي وعقلي وشخصيتي من أثر لا زلت أتذكرها جيدًا.

وصلت البيت، وقبل أي شيء أغلقت محمولي اللعين، الذي يسبب لي بأصواته المزعجة قطعًا دائمًا لحبل أفكاري، ودخلت حجرة مكتبي متجهًا إلى دولاب له مفتاح أحمله معي فقط، وفتحته باحثًا عن صندوق صغير فرحت حين وجدته مثلما تركته تمامًا، لم تمسه يد منذ أكثر من عشر سنوات، حيث كانت آخر مرة نظرت إليه، ولا أدري لم حمدت ربي على أنني لم أتخذ قرارًا غبيًا وأعدته مع باقي الهدايا والذكريات، حمدت ربي لأنني لم أَمْحُ تاريخي وذكرياتي حتى وإن كانت أليمةً، ما فعلته فقط أني أبعدتها عن مرمى بصري لبعض الوقت، ولكني لم ألقها بعيدًا في لحظة غضب؛ فالمرء لا يهرب من أفعاله، والتاريخ لن يُمحى بطمسه، نظرت إلى



Obeikan.com

الصندوق الجميل وفتحته وقد ملأني الارتباك والخوف، فتحته ببطءٍ شديد وتردد أشد، وجدت داخله أوراقًا وصورًا وشرائط فيديو وشرائط كاسيت وقصاصات صغيرة من الورق ورابطة عنق وأسطوانة عبد الحليم والكثير من التذكارات البسيطة.

لا أدري لماذا قررت أن أنبش في صندوق الماضي، وبدأت بالفعل أعبث في الصور والأوراق بهدوء، وكأنني لا أدري من أين أبدأ...

في ظل حيرتي الشديدة وقعت عيناي على قصاصة ورق صغيرة بها رقم، ابتسمت طويلًا حين قرأته، كان كلمة سر حسابي على برنامج الشات المشهور (ICQ) وجدتها بدايةً جيدةً وخيطًا متينًا أتذكر به البقية المرتبكة في رأسي.

تذكرت منذ أكثر من عشر سنوات، حينها كان الإنترنت خدمةً غالية الثمن، وكان الاشتراك بالساعة والسرعة بطيئةً، ويجب أن تدخل مستخدمًا خط التليفون وتعاني. المهم.. وافق والدي وأدخلنا الخدمة في منزلنا، وبدأت أتعرف على الإنترنت.. ذلك العالم العنكبوتي الجديد، ومنه تعرفت على هذا البرنامج، وأنشأت حسابًا يحمل اسم الدلع الذي كان يطلقه عَلَيَّ أصدقائي وبدأت أعبث فيه، كنت في السنه الثالثة بكلية الهندسة، وكان الإنترنت يأكل من وقتي الكثير والكثير، ولكني كنت مستمتعًا بهذا الوقت، لم أكن مرتبطًا عاطفيًا، وكنت فاقدًا الثقة تمامًا

في قـدرتي على الإعجـاب بأيـة إنسـانة، وإن أعجبـت بهـا لا أقـوى على مواجهتها بمشـاعري؛ خوفًـا من ردة فعـل محرجـة قـد تنهي على البقيـة الباقية من كرامتي، ورغم وجود بنات في حياتي، لكنهن لم يكن أكثر من صديقات وزميلات عزيزات، وكل ذلك كان نابعًا من كوني غير وسيم بالمرة، لا أحمل أيًّا من جينات الوسامة التي كانت منتشرةً في عائلتنا كلها، ولكني كنت متحدثًا لبقًا إذا واتتني الفرصة.

أتذكر أن ما شدني إلى هذه المغامرة الغريبة هو تَحَدٍّ مع بعض الأصدقاء في من يحب أولًا: العقل أم العين؟؟ كنت أود أن أثبت للناس أنني من الممكن أن أكره أجمل واحدة في الدنيا إذا كانت ساذجةً وسطحيةً وجاهلةً، ويمكن أن أحب أقبح واحدة في العالم إذا كانت مثقفةً ومتزنةً وحديثها جذاب، كنت مشدودًا إلى فكرة أنني أختبئ خلف لوحة أزرار أكتب ما أريد دون أن يعرفني أحد، وأنهي الحوار في الوقت المناسب بالنسبة لي، ظللت على هذا الحال شهورًا، تعرفت فيها على بنات كثيرات من الإسكندرية، كنت أتحدث معهم بكل احترام وود، لا أذكر أنني تجاوزت يومًا مع واحدة، وإذا أعجبني الحوار أضفت من تعجبني إلى قائمة أصدقائي، في هذا الوقت تطورت علاقتي بالكثيرات إلى الحديث عبر المحمول، وكنت مستمتعًا جدًا بالهروب من المواجهة ومؤثرات لقاء الوجه لوجه، وعلى الرغم من ضغط أصدقائي لتطوير العلاقات، إلا إنني كنت لا أشعر برغبة في ذلك؛ حتى لا أخسر صديقاتٍ عزيزاتٍ

obeikan.com

أتحدث معهن عن كل شيء دون قلقٍ وارتباك، وخوفًا من أن أتأثر أو يتأثرن هن بالشكل أو طريقة الكلام، وتظهر الفوارق التي تجعل استمرار هذه الصداقات مستحيلًا.

حتى جاء يوم كنت أعبث فيه على النت؛ فوجدتها.. اسمها رقيق وعذب شدني، فطلبت الإذن بالكلام، وردت بالإيجاب، أذكر يومها أننا ظللنا نتكلم فترةً طويلةً جدًا في كل شيء، كانت تبدو وكأنها نصفي الآخر.. تحب ما أحب، وتتكلم فيما أتكلم فيه، ولكنها اعتذرت؛ لأنها يجب أن تغلق النت بعد أن قبلت طلب إضافتي، وأصبحت على قائمة أصدقائي، ورغم أنها لم تكن تظهر أبدًا، إلا أنني ظللت مشدودًا لها، وكلما تذكرتها فتحت محادثتنا وقرأتها، ومن ثم أبعث إليها برسالة لتراها حين تظهر، وكانت ترد على رسائلي كل يوم.

ظللنا على هذا الحال حتى انتهت الامتحانات، وقررت مع أصدقائي أن نذهب إلى الساحل لبعض الوقت، وطبعًا لم يكن الإنترنت متوفرًا؛ فلم أكن أظهر أونلاين ولا أرد على رسائلها حتى عدت إلى البيت يومًا وفتحت النت؛ فوجدتها مستمرةً في إرسال تقريرها اليومي، والذي كان فيه أنها تركت صديقها، وأنها تمر بظروفٍ صعبة، وأنها قلقة لأنني لا أرسل لها كما اعتدت كل يوم، متمنيةً أن أكون بخير، فما كان مني إلا أن أرسلت لها اعتذارًا لطيفًا ومعه رقم محمولي، واعتذارًا مسبقًا رقيقًا إذا كان

طلبي قد جاوز الحدود؛ معللًا ذلك بأنني لن أكون متواجدًا باستمرار على النت في الأيام المقبلة، ثم عدت إلى الساحل مرةً أخرى، ولكنها ظلت تحتل حيزًا كبيرًا من تفكيري.

بالطبع كنت قد عرفت اسمها، وتملكني الفضول -ولأول مرة- في أن أسأل عنها معارفي أو أقاربي في نفس المدرسة، وكان رد الجميع عنها متضاربًا، ولكنهم أجمعوا على أنها بنت عادية، لا جميلة ولا قبيحة ولكنها عادية، زادني ذلك إعجابًا وتمسكًا بها، وكنت أنتظر أي فرصة لأنقض على النت وأبحث عن رد منها، ولكنها لم ترد، حاولت أن أنساها؛ فلم يكن ذلك أول موقف مماثل، كثيرات كن حين نصل إلى رقم الهاتف يقررن إنهاء الحوار، ويكفيهن مسحك من القائمة حتى تختفي من حياتهن للأبد.

حتى جاء يوم وجدت فيه هاتفي يرن ورقم غريب يظهر، أتذكر جيدًا أن ذلك كان في الصباح الباكر وكنت نائمًا، ولكني رددت على الهاتف، ووجدت صوتًا جميلًا عذبًا لم أسمعه من قبل في الناحية الأخرى، وكانت المفاجأة أنها هي.. نعم هي، اعتذرت عن أنها لم تكن تدخل على النت؛ لأنها كانت تذاكر، وأنها ما إن رأت الرسالة حتى اتصلت.

يومها تكلمت معها ما يزيد عن ساعة كاملة في كل شيء، وكنت بحق سعيدًا سعادةً مختلفةً عن كل مرة، ظللنا نتكلم كل يوم، وأحيانًا في

اليوم الواحد أكثر من مرة، اقتربنا كثيرًا جدًا، وتطورت موضوعاتنا إلى المزيد من الاقتراب والمزيد من تطوير العلاقة، كنت في هذا الوقت أسعد إنسان في الوجود، حتى طلبت مني أن نتقابل في تطور سريع، ورغم قلقها من هذا اللقاء إلا إنني اعترفت لها بأنني أحبها دون النظر لشكلها وتفاصيلها.

كنت بالفعل أحب روحها وكلماتها ومشاعرها وأحلامها ولم أكن أكترث بالشكل، كنت واثقًا من أنها تبادلني نفس الشعور، وأنني تغلبت على قبحي بكلماتي ومشاعري، والآن لا أعتقد أن شكلي سيؤثر كثيرًا، وافقت على اللقاء، واتفقنا على التفاصيل وطريقة التعارف، وصلت في موعدي، ونظرت حولي فوجدتها، رغم أنها كانت لا تلبس ما اتفقنا عليه، ولم أكن أنا أيضًا أرتدي ما اتفقنا عليه، وجدتها تبحث عمن يلبس قميصًا أبيض وجينزًا أزرق، أيقنت أنها هي من تجلس وحيدةً تنتظر فتقدمت إليها، وما كان يظهر على وجهي من سعادة كان مرآةً لما كان يدور داخلي في هذه اللحظة وليس تكلفًا، حين كنت أتقدم ناحيتها كنت على استعدادٍ لأن أعترف لها بأني أحبها أكثر من أي شيء في هذه الدنيا، كنت سعيدًا، وكان خفقان قلبي وما أشعر به غريبًا، إنه الحب.

مَرَّ اللقاء على خير، وجدتها تنظر إليَّ نظرةً شعرت فيها بالإعجاب، كنت أتكلم طوال الوقت وهي تنصت إليَّ وكأنني شاعر ينشد فيها قصيدة

غزل، يومها اضطرت إلى أن تتركني لأنها مرتبطة بمذاكرة؛ فقد كانت في ثانوية عامة، ورغم لوعتي وهي تمشي، ولكن ما صَبَّرَنِي هو أن مصلحة من أحب أعلى من أي شيء، وأنني لا يجب أن أعطلها عن مستقبلها ونجاحها، بل يجب أن أشجعها؛ فهي من هذه اللحظة مسئولةٌ مني، بحثت عن ورقة حساب هذا اليوم في الصندوق ووجدتها؛ فقد قررت أن أحتفظ بها بعد أن كتبت هي على ظهرها: ذكرى أسعد يوم في حياتي، وبالفعل أعلنا هذا اليوم يوم ميلادنا، واتفقنا على أن نحتفل به سنويًا حتى بعد الزواج...

أكملت بحثي في الصندوق حتى وجدت مجموعة أوراق بها مراسلاتنا كلها بالتواريخ والعناوين والكلمات، تصفحتهم بسرعة وبلا اهتمام، ثم عدت أتذكر، فقد مرت علاقتنا بتطور سريع جدًا؛ فقد قررت أن أخطبها بعد أن أتخرج في الكلية، ولأنني الولد الوحيد ولا جيش لي؛ فلم يكن هناك أي داعٍ لتعطيل هذا الأمر، وأعلنت للجميع في عائلتي أنني ارتبطت بهذه الفتاة الجميلة التي كانت من عائلة محترمة وغنية كعائلتي ومن نفس المستوى، وعَرَّفتها على أهلي، ونَجَحَتْ في أن تدخل قلوبهم، وأصبحت أنا وهي من أشهر الثنائيات في الإسكندرية، إن وجدت هي في مكان يعرف الجميع أنني على وصول أو أنني موجود بالفعل.

تعرفت على أصدقائها في الجامعة والمدرسة، وتعرفت على أصدقائي، كنت أقدمها لأصحاب أمي وخالاتي وأولادهم دون حرج؛ فلم أكن أبدًا أشعر بأنها صاحبتي بل شيء أعز من ذلك بكثير، مرت سنة وأنا في هذه السعادة البالغة والاهتمام الشديد؛ فقد كنا نتكلم في الصباح وفي أثناء النهار وقبل النوم، كنت أراها يوميًا حتى ولو دقائق قليلة، كنت أوصلها للكلية أو البيت أو أي مشوار، كنت أخرج معها حتى وهي تشتري لأخواتها لبس العيد، كنت أخاف عليها الهواء وأعين الناس، وكانت تغار غيرةً عمياء.

تعرفت على أمها وأخواتها البنات الصغار، كنت حقًّا أسعد إنسان في الوجود، أعد الأيام لأتخرج وأرتبط بها أكثر ونصبح زوجًا وزوجةً، بعد سنة من علاقتنا، وبعد أن تخرجت وحضرت حفل تخرجي مع عائلتي اختلف الحال؛ فكنت أسافر كثيرًا، ولم يكن لدي من الوقت الكثير لنقضيه سويًا، خاصةً أنني قررت أن ألتحق بعمل بسرعة ودون راحة؛ حتى أكون كفئًا لها حين أتقدم لأبيها الذي بدأ يستاء من علاقتنا وظهورنا سويًا وتواجدي في أي مكان تتواجد فيه عائلته دون صفة رسمية، بدأت حدة العلاقة تخف، فلم أعد أراها كثيرًا، ورغم صعوبة ذلك عَلَيَّ إلا أن عزائي الوحيد أنها كانت شريكةً في أحلامي، حتى إنني أذكر أنني اتفقت مع والدي أن نتزوج أولًا ثم أتقدم إلى الماجستير؛ حتى لا يعطلني شيء عن الزواج بها، فلم أكن أتخيل حياتي دونها.

بعد فترة ليست بالقصيرة بدأ معدل اتصالها بأمي وإخوتي يقل، وبدأت تختفي كثيرًا ولا ترد على الهاتف، وحين أسألها تتعلل بأي شيء، وكانت دائمة الذهاب إلى النادي، على الرغم من أنها لم تكن تحب النادي كثيرًا، حتى إنها لم تعد تهتم بأن تعرف تفاصيل يومي مثل العادة، لم تعد تغار وتتضايق وتغضب، لم يتبادر إلى ذهني أي شك في أنها يمكن أن تعيش بدوني أبدًا، ورغم شكوى الجميع إلا إنني لم ينتبني الشك أبدًا، كنت أطرد وساوس الشيطان وألتمس لها العذر بأنني مشغول عنها، ومن الممكن أنها تحاول أن تعوض ذلك بالخروج، حتى جاء يوم اتصل بي صديق من الكلية، وبعد مقدمات طويلة أبلغني بأنه يراها مع شخص تقريبًا طوال الوقت في النادي، ورغم أنه ذكر اسمه إلا إنني نهرته بشدة، وأغلقت الهاتف في وجهه، واتصلت بها فلم ترد، وبعثت لي رسالةً مفادها أنها مشغولة في الكلية، وستكلمني في الاستراحة، ولكنها كالعادة لم تتصل....

وجدت في الصندوق كمًّا هائلًا من الصور لي معها في مختلف المناسبات، في حفل تخرجها في المدرسة، وهذه في عيد الحب، وعيد ميلادي، وعيد ميلادنا سويًا في نفس مكان اللقاء الأول، وصورة لنا في الساحل، وفي الجامعة، ومع أصدقائها، ومع أصدقائي، ومع مامتها وأختها.

اكتشـفت أنني لا أتـذكر تفاصـيل ملامحهـا جيـدًا، فـدققت نظـري في الصور؛ فانقبض قلبي، وبدأ الشك يساورني؛ خاصةً حين تأكدت من أن الجميع يخبئون شيئًا يحدث، فأصحابها لم يعودوا كما كانوا، صاحبتها الأنتيم تتصرف بغرابة شديدة، الجميع ينظرون لي نظرة عطف.

قـررت أن أدخل على النت، وفتحت الأكونت بتاعها فوجدت المفاجأة، وجدتها فعلًا تكلم واحدًا على النت منذ شـهور، ووجدتها ترسل له نفس الرسـالة التي أرسـلتها لي يومًـا عـن أنهـا قـررت أن تترك صـاحبها، وأن ظروفها صعبة وتحتاج إليه، دار رأسي غضبًا، وحاولت الاتصال بها فلم ترد، وبعثت لها رسالةً فلم ترد، فتركت العمل وذهبت إلى النادي ورأيتها هناك، فوقفت بعيدًا واتصلت بها، فإذ بها ترى رقمي فلا ترد، كانت قلقةً كأنهـا تنتظر أحـدًا، حتى أتى الشـاب الجديـد، رأيتهـا تبتسـم لـه نفـس الابتسـامة البريئـة التي كانـت تبتسـمها لي، وعنـدها تَقَطَّعَ قلبي وتَكَسَّـر وتَبَعْثَر، وزاد ذلك ما حدث حين رأتني صاحبتها، وعرفت من وجهي أنني عرفت كل شيء، وحاولت أن تواسيني، كنت أعرف أنها تفعل ذلك حتى لا أتهور وأتخانق وأفضح صاحبتها، ولكنها لم تكن تعرف أنني لن أفعل ذلك؛ حتى لا أبعثر الباقي من كرامتي، إضافةً لذلك لم يكن لدي أي قوة لأفعل أي شيء؛ فالصدمة كانت شديدةً، عدت إلى البيت وحاولت أن أتصل بها ولكنها لم ترد، ولم ترد بعد ذلك أبدًا واكتفت بإرسال رسالة مفادها أنها فخورة بالعلاقة، وأنها لن تنساني، وأنها تتمنى لي النجاح.

حاولت معها كثيرًا، ولكن كل محاولاتي باءت بالفشل، أذكر أنني فقدت القدرة على الضحك، وتركت نفسي للفشل، وأهملت عملي، كنت أذهب إلى النادي لأراها من بعيد، حتى لو مع صاحبها الجديد، كرهت ضعفي وغبائي، كرهت عجزي عن أن أخلع عباءة هذا الحب الفاشل.

تَدَخَّلَ أصدقائي وأهلي بقوة لمساعدتي على تخطي الأزمة، وظل الجميع يحفزني على أن أنساها، ونصحني طبيبي النفسي بأن أخفي كل مقتنياتها في مكان لا أفتحه أبدًا، وأن أنساها وأن أتخذ من فشلي شعلة نجاح، ناصحًا إياي بألا أتورط في حب جديد حتى أشعر بأنني قادر على ذلك، وحتى أشفى تمامًا من هذا الحب.

لا أنكر أن الكثيرات حاولن الاقتراب مني، ولكني كنت أبعدهن عن طريقي؛ فقد أصبح تحقيق حلمي وذاتي هو همي الأول والأخير، ظل حماسي أن أثبت لها يومًا أنها فقدت شيئًا ثمينًا يصعب تعويضه، وأن أجعلها تعض أصابع الندم على ما فعلته بي، ظل هذا الشعور معي لفترة قصيرة جدًا لا تتعدى الشهور، حتى تغلبت عليه ولم تعد تظهر في حياتي إلا حين أراها صدفةً في مكان عام، أصبحت أمتلك من القوة ما أمنع به نفسي تمامًا من النظر إليها.

علمت بعد فترة أنها تزوجت من الشاب الوسيم الذي كنت أمقته وأكرهه، ثم اكتشفت أنني لا أعرفه حتى أمقته، وأنني لا ينبغي أن أنسى القاتل وأمقت السكين التي لا حول لها ولا قوة.

سافرت إلى أمريكا، ونلت درجة الدكتوراة، وعدت وانشغلت بمصنعي ونجاحي، وحين عدت كانت قد اختفت تمامًا واختفى كل ما كان يربطني بها يومًا، حتى أصحابها اختفوا، وإن ظهروا يكفي أن نتبادل التحية وكل حي يروح لحاله، عندها نظرت إلى صندوقي الذي لم أفتحه منذ أن عاهدت أمي على ألا ألمسه، ومنذ أن أغلقت حسابي على (ICQ) واعدًا كل أصدقائي وأهلي بأن أنساها، وها أنا اليوم أفتح الصندوق وأعبث بما فيه بلا أدنى شعور بمرارة أو حزن؛ فالزمن كفيل بأن ينسي الإنسان كل آلامه؛ فنحن نودع من نحب ونكمل الحياة، وسيودعنا يومًا من نحب، ولن تقف الحياة أبدًا على شخص أيًا كان بل يجب أن تستمر، إنها إرادة الله التي لا راد لها...

جاء يوم أول ندوة عن المشروع، وكانت في النادي، كان الترتيب سهلًا؛ حيث اكتشفت أن رئيس لجنة الشباب بالنادي زميل دراسة قديم، رحب جدًا بالمشروع والندوة، مرحبًا بكوني من سيلقي المحاضرة، وأدير الندوة.

صدقًا بذل شباب الحزب المنتمين للنادي مجهودًا كبيرًا للترتيب والتحضير؛ حتى نجني ثمار الندوة وندفع المشروع إلى الأمام ونضعه في

حيز التنفيذ على أرض الواقع، كنت مرتبكًا جدًا ولا أعلم السبب؛ فبالنسبة لي أنا متمرس على مثل هذه المحاضرات في الحزب وفي الجامعات وأمام العاملين في مصنعي وعملائي، ولكن لا أدري، ربما بسبب ما دار في آخر اجتماع في الحزب؟؟ لا أدري، ربما.

سرعان ما تغلبت على ارتباكي ودخلت إلى مكان اللقاء، لأجد المكان مكتظًا بسيدات ورجال جاءوا ليسمعوني، وعلى عكس المفترض زادني هذا ثقةً وجلدًا واختفي الارتباك، وبدأت أشرح الفكرة والحزب والعمل والمسئولية وتفاصيل المشروع بأسلوبٍ بان في عيون الحاضرين أنه مقبول، واستقبلت أسئلتهم واستفساراتهم، ورددت عليها بحرفية شديدة.

أثناء المحاضرة وقعت عيناي عليها، نعم هي، يا إلهي.. إنه القدر وضعها أمامي بعد أيام قليلة من تصفح صندوقي والتدقيق في ملامحها، لم أتوقف عندها، ولم أشعر بأي شيء حين وقعت عيناي عليها وفي المرة الأخرى تأكدت من أنها هي؛ فقد كانت تنظر لي نفس نظرتها حين تقابلنا أول مرة منذ أكثر من عشر سنوات، ولكن لا أدري لماذا لم يحدث لي ما توقعت أن يحدث طيلة السنين الماضية، لم أشعر بأي شيء، وكأن جرحي وخوفي لم يكن لهما وجود إلا في رأسي فقط.

انتهت الندوة، وكانت ردود الأفعال إيجابيةً؛ فقد اشترك أغلب الحاضرون في المشروع، ومنهم من ملأ استمارة الاشتراك في الحزب، واندفع الجميع نحوي، وتبادلت مع الجميع كلمات المجاملة الرقيقة، وقابلت الكثير من أصدقاء الكلية والمدرسة، ولكن بقي داخلي شيء أردت أن أتخلص منه لأعلن اليوم تخلصي من الماضي، قابلتني زميلة الحزب، وهنأتني على وسامتي وأناقتي وأسلوبي الساحر، ولأول مرة أراها بهذه الرقة، لا أعلم إن كانت هكذا في الماضي وأنا لم أكن أراها أم إنها اليوم فقط تظهر جميلةً ساحرةً وجذابةً.

طلبت الإذن من زميلة الحزب، وخرجت مسرعًا أبحث عن حبي القديم، رأيتها واقفةً شاردةً وكأنها تبحث عن شيء، فتقدمت ناحيتها مبتسمًا، التقت عينانا كما التقتا أول مرة، ولكني ظللت واضعًا يدي خلف ظهري ولم أمدها للسلام، شكرتها على حضورها الندوة، وشجعتها على أن تستمر، مبديًا سعادتي لرؤيتها بعد هذا العمر الطويل، داعبت أولادها، ثم حييتها والتفت مبتعدًا معلنًا هزيمة جرحي وألمي إلى الأبد.

اليوم طويت صفحة أحزاني وأعلنت شفائي، اليوم يمكن أن أعود بلا قلق أو خوف، وجدت زميلة الحزب تنظر لي، فابتسمت ابتسامةً عريضةً وذهبت إليها داعيًا إياها على العشاء في أي مكان تختاره؛ لأحتفل معها بنجاحي وشفائي ......

# فوتوغرافيا

يا لها من معجزة خارقة، خلق الله -سبحانه وتعالى- الإنسان فأحسن خلقه، كل عضو في جسم الإنسان معجزة مستقلة بذاتها، تنم عن قدرة خارقة لا يستطيع أن يواكبها أحد، وعندما نفكر في هذه النعم نجد أنفسنا أكثر صغرًا أمام رب العالمين، الذي أعطانا دون أن نطلب، وغفر لنا ونحن نعصاه، بل ونستخدم نعمه فيما لا يرضيه، ومع ذلك يغفر لنا ويزيد في عطائه الجزيل.

الحمد لله الذي مَدَّ عمري وهداني لمعرفة نعمه، وأرشدني لطريق الهداية؛ فقد كنت شابًا من الشباب الغافل الضائع الذي لا يعرف ما هدف حياته الحقيقي، فقط ما تعنيه لي الحياة هو اللهو واللعب، منذ صغري لاحظ عني الجميع ولعي الشديد بالتصوير؛ فمنذ صغري وأنا أحمل كاميرا صغيرةً وأصور أحداث العائلة، فتارةً أصور عيد ميلادي أو عيد ميلاد أخ أو أخت، وطبعًا لا يفوتني تصوير التجمعات العائلية والأحداث المدرسية، وهكذا كانت آلة تصويري لا تفارقني، وكلما وجدت منظرًا أعجبني التقطت له لقطةً، وكانت متعتي أن أجمع هذه الصور وأكتب تحتها تعليقًا، وأظل أتأملها وأتفحصها من حينٍ لآخر، وعلى الرغم من ولعي بتصوير الغير وتصوير المناظر المحيطة، إلا إنني لم أكن أحب أبدًا أن يتم تصويري، ظلت في غرفتي الخاصة بالبيت لوحة على الحائط أضع عليها صورًا كثيرةً ولقطات تعجبني لأناس أحبهم وأصدقاء أشتاق إليهم.

استمر هذا الحال معي مع تقدم سني؛ فكنت أقتصد من أموالي البسيطة وأتحايل على أهلي لأجدد آلة التصوير، وظللت دائمًا أكره أن يصورني أحد ولو في لقطة عابرة، فكنت أحب أن أرى الناس ولا يراني أحد، وبعد فترة أيقنت أن العين المجردة -ومع ربطها بباقي حواس الإنسان- لا تستغل كل قدرتها، ولكن حين نوقف الحياة ونصورها في لقطة عابرة ثابتة تظهر قدرة العين على التدقيق والتمحيص والتحليل،

فكانت لقطاتي الفوتوغرافية هي طريقي لمعرفة مَنْ حولي وتحليلهم بمنتهى الدقة، فكأن فلاش الصورة يكشف دواخلهم، وتتجلى قدرة العين المجردة على كشف ما بداخلهم بدقة متناهية.

ظللت ألتصق أكثر بآلة تصويري والتي توقف الزمن وتعطيني الفرصة لأفهم كل الأشخاص وأعرف دواخلهم وأكشف شخصيتهم على حقيقتها بدقة متناهية.

مرت الأيام والسنون حتى احترفت هذه المهنة، وعملت صحفيًا حُرًّا، أبيع صوري ولقطاتي لمن يدفع ثمنها، وذلك كان مواكبًا لشخصيتي المحبة لاختراق المجهول والمخاطرة والمغامرة، خاصةً وأنا أحمل دائمًا هذه الآلة التي توقف الزمن، والعين التي تحلل اللحظة وتكشف خبايا الأحداث؛ فذاع صيتي لأن الله أعطاني موهبة التحليل وأنار عيني بكشف الحقائق، كانت عندي القدرة -مع بعض التوجيه- على أن أجعل الشخص يظهر على غير حقيقته؛ فيُخْدَع من يرى الصورة، وربحت من أموال الفنانين والأفاقين والمشاهير، وكنت أعرف أن ما تعانيه مصر كثير، كنت أراه في لقطات الحزن على وجه الناس، والقهر واليأس والفقر والإهمال، وكنت أرى هذا جليًا في لقطات موهوبة بلا رتوش، تجعل الواقع يظهر جليًا، كما كنت أرى جبروت السلطة وعفن الفساد في وجوه أناس أفاقين يستعينون بأمثالي لألتقط لهم صورًا في أوضاع

تظهرهم على غير حقيقتهم، ولذلك كانوا يدفعون لي الكثير، ولكني لم أكن أعبأ بذلك، متهمًا أعين الناس بالجهل والاعتياد على الكذب، كنت أضحك حين ألتقط صورةً لمسئول، وبعد رتوشها أجده شخصًا غير حقيقي؛ لأنني فقط نجحت في توقيف الزمن على وضع كاذب لهذا الرجل الأفاق مصاص دماء الفقراء.

مرت السنون، وكنت كلما مَرَّ الوقت توغلت أكثر في اليأس والألم من حال البلد؛ فقد زاد عدد الأفاقين والمتنطعين وكلاب السلطة، وزادت أعداد الفقراء والمساكين والمهمشين واليائسين من تغير وضعهم الاقتصادي، وكانت تتجلى حسرتي حين يدعوني أحد الحيتان إلى حفلٍ في أحد القصور، أو خطبة أحد أبنائه أو بناته، وألتقط صورًا للفساد متجسدًا، كاشفًا التلوث بآلة تصويري التي لا تكذب ولا تجمل، حتى أتت الثورة، وخرجت مع الجماهير ألتقط صورًا للأحداث؛ عسى أن أبيعها بمبلغٍ محترم، ووجدتني منساقًا مع الأحداث، ألتقط صورًا لشباب يسقط، ولرجال السلطة وهم يضربون المتظاهرين بالنار، ولمخبرين يقبضون -وبشكل هيستيري- على المتظاهرين، وظللت ألتقط صورًا لشبابٍ حين رأيتهم آمنت بهم؛ فقد كانت ملامحهم تعكس إيمانهم وتعلقهم بالأمل في غدٍ أفضل وبلدٍ أفضل، وكنت أرى ملامحهم فأنفعل مثلهم وأنقاد وراءهم، أهتف معهم بلا خوف، وقد قررت أن هذه اللقطات ليست للبيع، هذه اللقطات أشتري بها نفسي، وأمسح بها

خطاياي التي ارتكبتها حين ساهمت في تزييف حقيقة أناس لا يستحقون الحياة، وظللت ألتقط صورًا لشهداء ومصابين يسقطون، وشباب يصرخ مناديًا بسقوط النظام وإحلال العدل، وألتقط صورًا لشباب يضحك ويبكي ويصرخ ويتألم ويموت، والتقطت صورًا لمصر تحترق وترتقب وتنتظر وتنتفض، وظللت أحمل آلة تصويري وأتجول في الشوارع والميادين، حتى يوم موقعة الجمل، وفيها شعرت بالخوف والقلق، وظللت أستعرض صور شباب مات على يدي، والتقطت صورًا لهم وهم في النزع الأخير، وصورًا لشباب مختنق من الغازات المسيلة للدموع، وقررت أن أكمل المسيرة حتى لا أضيع حق من ماتوا في سبيل القضية، حتى أعرض صور هؤلاء الشباب النقي في يوم من الأيام، لعل الله يغفر لي ما فعلت، بفضل عملي كمصور محترف، فكنت أعرف كيف أنتقي الأماكن الجيدة لالتقاط صور ولقطات تعبر عن المواقف وتتكلم وتروي عن الحدث دون وجود داعٍ للكلام والتعليق، وبالفعل اتخذت موقعًا مميزًا، وظللت ألتقط صورًا لشباب يدافع عن موقفه وعن كعبته وقبلته باستماتة، رغم دناءة العدو وخسته، حتى شعرت فجأةً بخط ليزر يخترق عدسة الكاميرا، وفجأةً شعرت بألم شديد في عيني وفقدت الوعي..

بعد بضعة أيام أفقت، ووجدت نفسي لا أرى شيئًا، وأشعر بدوارٍ وصداعٍ شديدين، كنت نائمًا على سرير في إحدى المستشفيات، وحين

أفقت وأدركت حركت يدي في عصبية كأنني أبحث عن شيء ضائع، ووجدتني أسأل في لهفة: فين الكاميرا؟ فأجابني أحد الأطباء الواقفون مبتسمًا: "قصدك البندقي، متقلقش في الحفظ والصون جنبك".

وشرح لي أنهم اضطروا إلى أن يصفوا عيني بعد أن أصابني قناص بخرطوش في عيني، داعيًا لي بالصبر، وأشار لي فرأيت حولي آلافًا من الشباب الجميل الذي رغب في أن يرى المستقبل، فحرمه منه كلب من كلاب السلطة بخرطوش أهوج، حرمه من إحدى عينيه أو أودى بحياته.

حمدت ربي على نعمة العين الأخرى، وحملت آلة تصويري والتي تحطم بعض أجزائها ولكنها لا زالت تعمل، لا زال بداخلها تراث ما التقطته منذ بداية الثورة.

رجعت منزلي، وطبعت كل الصور، وقررت أن أعود إلى الميدان؛ حتي يرى الجميع جمال ثورتنا ونقائها، ويري خداع الآخر وزواله وانكساره أمام إيمان شباب صادق لن يخذله الله.

واليوم في عيد ثورتنا المجيدة أجد نفسي أكثر سعادةً بنعمة ربي؛ فلقد أقسمت ألا ترى عيني الباقية غير الحقيقة، وألا تزيف ما تراه أبدًا، كلما ضعف إيماني أقف أمام لوحة الثورة، وأرى شبابًا مات وأصيب وفقد عينه؛ فأزداد صلابةً وتمسكًا بالحق، وأزداد شكرًا لله...

# حكمت المحكمة

**أتذكر** ذلك اليوم جيدًا، كان يومًا من أيام الصيف الحار، كان في بداية شهر رمضان، كنت وقتها لم أتم عامي الخامس بعد، كنت أشعر بشيء غريب يدور في البيت منذ شهور. فأمي تغير شكلها وانتفخت أوداجها وبطنها، وحل بها التعب والوهن، وهو ما استدعى مجيء جدتي لبيتنا لمراقبتي ورعايتي أنا وأبي، ما كان يحدث كان

obeikan.com

غريبًا، ولكن ما فهمته من الجميع أن السبب في تغير أمي هو أن هناك شيء في بطنها اسمه أخي، ولكني لم أكن أعرف كنية أو شكل ذلك المخلوق، حتى جاء هذا اليوم واستيقظت على تحركات غريبة في البيت، وجدتي وأبي في قلق، وأمي تصرخ من الألم وتقبلني بمنتهى الحنان وتضحك لي ضحكةً بريئةً كلها حب وحنان، وتطمئنني إلى أنها لن تتأخر، وأنها ستعود بأخي.

أذكر جيدًا كيف كنت أمقت هذا الكائن الذي أخذ مني أمي، وكيف كان مزعجًا مملًا قميئًا يبلل ملابسه طيلة الوقت، وبسببه حرمت من اهتمام أمي وأبي والجميع، أذكر العلقة السخنة التي كانت من نصيبي حين حاولت أن أستكشف ذلك الكائن، وكيف تعصب وهلع أبي حين رآني أشده من يده وأعبث بعينيه، وكيف عاقبني وضربني بعد أن كنت المدلل، منذ ذلك الوقت وأنا لا أشعر بالراحة وهذا الكائن موجود حولي، حتى حين كبر وبدأ يلعب معي، وكان دائمًا يحب أن يقلدني، وهو ما جعلني دائمًا أبحث عما يميزني دائمًا بعيدًا عنه، فكنت متفوقًا في المدرسة، مثقفًا مجتهدًا، لي أصدقاء خاصون، ورغم ما كان يتمتع به أخي من خفة ظل وقوة شخصية وحياة لذيذة مليئة بالحيوية والشباب والمغامرة، ورغم أنه كان يحبني ويعتبرني مَثَلَه الأعلى، إلا إنني لا أتذكر أبدًا اشتراكنا في عمل شيء مشترك، حتى فِرَق الكرة، كنت أنا دائمًا أحب ناديًا عكسه تمامًا، كان يعرض عَلَيَّ دائمًا أن نذهب إلى الإستاد لنشجع

المنتخب، ولكني كنت أفضل أن أشاهد المباراة في البيت على الكنبة، حتى حين خرجت مظاهرات في الجامعات ضد إسرائيل أيام الانتفاضة الثانية، صعقت حين رأيت أخي الأصغر -وقد كان وقتها في أولى جامعة- يخرج في هذه المظاهرات، وحين وبخته لم يرد إلا بأن برر موقفه بما جعلني لا أستطيع الرد عليه؛ فقد كنت أحسده على شبابه ونشاطه وقدرته على تخطي حاجز الخوف، واستمر أخي في هذا الخط رغم معارضة أبي له وتوسلات أمي، ولكنه ظل صاحب موقف مناهض للأنظمة الظالمة وداعم للقضية الفلسطينية، ومقاوم الفساد والظلم المستشري في البلد، والذي كان بدأ يترعرع ويكبر وتزكم رائحته الأنوف.

ومرت الأيام، وكنت قد عُيِّنْتُ في سلك التدريس في الجامعة العريقة جامعة القاهرة، ولتفوقي وذكائي حزت درجة الماجيستير، وكنت مثالًا للتفوق وحب أساتذتي لي، وكان أخي الأصغر في الجامعة من الشباب النشيط في العمل السياسي، وحتى بعد تخرجه -ورغم أنه كان يعمل- إلا أنه كان دائم التواجد في أي مناسبة، يحارب ويواجه فيها الفساد، مرورًا بحركة كفاية وتظاهراتها ووقفاتها السلمية، وكنت دائم النصح له، ولكنه كان دائم الإقناع لي بأن مَن يجب أن يُنصح هو من يأبي أن يقف في وجه الظلم ولو مرةً واحدةً في حياته.

لم تكن حياة أخي تعنيني كثيرًا؛ فكما قلت سابقًا كنا مختلفين متضادين في كل شيء، إلا إن أخي كان يحبني ويحترمني كما ينبغي لأخ أن يفعل مع أخيه، ولم أكن أنا على نفس القدر من الحب والاهتمام به أو حتى التوافق معه في أي رأي، بل كنت أرى أن مصر تتطور وتتقدم، وأننا لا عذر لنا لإثارة الفوضى وعمل مظاهرات ومواجهات، وكنت أحاول أن أقنع نفسي بأن الإنسان إن مشى جنب الحيط لن يؤثر فيه شيء، حتى حين قُبِضَ على أخي في أحداث ٦ أبريل، وحين خرج وَبَّخْتُه بقوة وعنف، وهددته بأن أبي وأمي لن يحتملا هذه التصرفات الغبية من إنسان لا يدري ماذا يريد، مُسَيَّر خلف مجموعة من الفوضويين الجُهَّال، وحذرته من أن يضع العيلة في هذا الموقف.

وفي الحقيقة لم أكن أفعل ذلك من منطلق خوفي على العيلة، ولكن أيضًا لأنني كنت على وشك منصب في الجامعة، وكنت قلقًا من أن يؤثر على مستقبلي ملف أخي الأمني كناشط سياسي معارض للنظام، وهو نفس المثل الذي طالما استخدمه أخي كدليل على فشل النظام في إدارة الدولة دون الحاجة إلى النظام البوليسي الذي كان يحكم قبضته على الجميع من العَالِم إلى أفقر المصريين، ورغم أنني كنت أدافع عن موقف الجامعة بأن أستاذ الجامعة يعلم أجيالًا ويوجه تفكيرهم، ويجب أن يطمئن جهاز أمن الدولة إلى أن توجهاته صحيحة وليس لها دوافع تخريبية، وهو كلام لم أكن مقتنعًا به؛ لأن ما كان يحدث أمامي من

إقصاء لأساتذة أفاضل أثق تمامًا في أن فكرهم بَنَّاء ومفيد كان سببه الوحيد هو مخالفة توجهاتهم لما تريده الدولة ونظام أمنها ومعارضتهم، بل ورفضهم الصارم لمسايرة النظام في توجهاته، ورفضهم تسخير علمهم في خدمة النظام الحاكم وتوجيهات أنظمته الأمنية. ولكن رغم ذلك كنت أدافع عن الجامعة والنظام بكل ما أوتيت من منطق ضعيف، وكان أخي يحاول إقناعي ومناقشتي بالحسنى والمنطق، ولكني كنت أرفض تمامًا آراءه وأسفهها.

حتى أتى يوم استدعاني فيه أستاذي ليخبرني بخبرٍ سار عن حياتي العملية، ويخبرني بأنه من المحتمل أن يتصل بي مكتب الأمن لمقابلة عادية، طالبًا مني الثبات، مؤكدًا أن الموضوع لن يتعدى بضعة أسئلة عامة.

رغم قلقي الشديد ذهبت للقاء، وبدا عَلَيَّ الارتباك حين رأيت ملف أخي أمام مكتب الضابط، والذي بدأ يسألني عن أخي وما أعرفه عن نشاطه، وبعد طول مقدمات قَدَّمَ لي عرضًا بأن أكون الراجل بتاعهم، في مقابل تمرير موضوع ملف أخي الأمني، ولم يعطني فرصةً للتفكير، وابتسم معلنًا نهاية المقابلة.

ازداد حنقي وغضبي على أخي، وشعرت بأنه السبب في وضعي في هذا الموقف الصعب، أن أكون بعد التعب والمذاكرة والتميز والتفوق مجرد

مرشد لأمن الدولة، ودون أي تميز؛ فقد ضاعت عَلَيَّ فرصة الترقية، وظللت كما أنا أنفذ أوامر أمن الدولة، وأبلغ عن كل كبيرة وصغيرة تحدث، سواءً كان ذلك من طلبة أو أساتذة أو حتى العميد، واكتشفت أن الجميع مغموس في هذه الأرض اللزجة القاحلة، وأن الثقافة والعلم والإيمان لا يملكون القوة لهزيمة الخوف والجبن.

احتقرت نفسي كثيرًا، وتغيرت أحوالي، وأيقنت أن أخي كان على حق، وأنه شريف، وملفه في أمن الدولة مدعاة للفخر؛ فعلى الأقل هو محترم لم يجبن ويخف، حاول أخي أن يعرف ماذا يحدث معي ولماذا تغيرت، ولكني لم أستطع الرد عليه، بل كان حنقي وغيظي وسخطي على هذا البلد يزيد كلما أسمع عن مسيرة تخرج تنديدًا بالنظام الفاشل، الذي كنت أرى نفسي خير مثال على فشله وفساده وتدهوره.

وتمر الأيام وأنا كما أنا، ولكن ما لاحظته على شباب الجامعة في الآونة الأخيرة كان يسعدني ويصيبني بالكآبة في نفس الوقت؛ فكلما قُبض على أحد تلامذتي أشعر بالخوف والارتباك، كأنني أنا الواشي الحقير، ورغم كل ما كان يدور في رأسي من رغبة في تنقية نفسي من هذه التربة اللزجة، لكن ظل خوفي وجبني أقوى، حتى جاء مقتل خالد سعيد في الإسكندرية، وما تبعه من أحداث واضطرابات واعتصامات ومظاهرات فئوية، وعلو نجم البرادعي، وبداية انتشار المطالب السبعة المطلوب التوقيع عليها،

obeikan.com

وحالة الارتباك التي بدأت تنتاب الجهاز الأمني الصلب، وزيادة الطلب على التعاون معهم في تكسير مجاديف الشباب، والإبلاغ عن الشباب الذكي المتحمس، ومحاولة تشويه الرموز التي كانت مع البرادعي، وفي هذه الأثناء قُبِضَ على أخي وهو يحاول إقناع الشباب بالتوقيع على ورقة المطالب السبعة واعْتُقِل.

لفترةٍ طويلة لم نعرف عنه شيئًا، وكنت أحاول أن أعرف طريقه، ولكن كنت أقابل دائمًا بالرد: "خليك في حالك"، حتى خرج أخي وكان واضحًا عليه آثار التعذيب النفسي والجسدي، ووضح عليه كم الدمار النفسي الذي تعرض له وزملاؤه داخل أمن الدولة، وعلى غير العادة طلب أخي مقابلتي بعيدًا عن منزلنا وعلى انفراد، وكنت أعلم أن هؤلاء الشباب بعد خروجهم من المعتقلات يظلون تحت المراقبة الصارمة لبعض الوقت.

ذهبت للقاء أخي والذي كان يدخن وينظر أمامه مطلق اللحية، حول عينيه هالات سوداء سميكة تظهر مدى إرهاقه وقلقه، ابتسمت له، ولكنه لأول مرة لا يرحب بي كعادته، أشار إليَّ بالجلوس وبدا شاردًا، وبعد لحظة صمت ابتسم وأطفأ سيجارته في حركة عصبية، ونظر إلى بعيد إلى أحد الأشخاص، وقال لي: اللي واقف هناك دة مخبر أمن دولة، عارف.. طول عمري كنت بحاول أبعدكم عنهم.. أنا متراقب من أيام كفاية و٦ أبريل، ثم مبتسمًا: ما أنا عميل بقى ومهم، بس النهاردة طلبت

أقابلك، ورغم إني عارف إني متراقب.. عارف ليه؟؟! لم يعطني الفرصة لأجيب، ولكنه استطرد: لأن الكلب اللي باعت المخبر دة يعرفك كويس قوي، ومش بعيد يفرح لما يعرف إنك قاعد معايا بتعرف مني معلومات علشان مستقبلك المهني يا دكتور يا محترم.

وعندها أدركت ما حدث في لمح البصر، وحاولت أن أتكلم، ولكنه أشار لي بالصمت، فوضعت وجهي في الطاولة، واستكمل هو: أنا من زمان عايز أعرف إنت ليه بتعاملني كدة؟! وإيه اللي ارتكبته غلط؟! وطول الوقت كنت بحاول أبقى أخ ليك وتبقى لي أخ.. نتبادل ونتشاور ولكني فشلت. اليوم أنا باقابلك لأجل إني أعرف: لماذا؟! لماذا يا أخي؟؟ يعلم الله كم أحببتك وكم احترمتك وكم تمنيت لك الخير في كل وقت!   أتعلم.. لم أبدأ أشعر بالإهانة في المعتقل إلا عندما عايرني الضابط بأن أخي من أفضل عملائهم، وأنني حمار لا أفهم، ولا أعرف أنهم ممكن يوصلوا لأي مكان ولأي شخص، وعندها شعرت بأنه قتلني.. يا ريته كان قتلني قبل أن أسمع أن أخي الأكبر يفعل ذلك، واتضح لي أنني حين كنت أتهم البلد بالفساد كنت أتهمك أنت، وحين كنت ألعن الفساد كنت ألعنك أنت. واليوم يا أخي العظيم المتفوق الذكي المتميز.. لا أدري ماذا أقول لك.. هل أسبك؟! هل ألعنك؟! هل أوبخك كما كنت توبخني؟! هل أهنئك على تفوقك أم أشفق عليك؟؟؟ حقًا لا أدري، غير أنني لم أعد أشعر بأن لي

obeikan.com

أخ، ولا أرغب في رؤية فشل وفساد وطن يمشي أمامي، لن أستطيع أن أكون ممثلًا كبيرًا قديرًا مثلك.....

سكت أخي، وطيلة حديثه شعرت بأنني أتضاءل أمام خيانتي وجهلي، شعرت بأنني أغبى من أغبى كائنات الأرض، شعرت بأنني لا أقوى على رفع عيني في عين أخي أو الرد عليه، وكأنني مستمتع بسياط كلماته وهي تجلدني، لا أدري ماذا يجب أن أفعل الآن؛ فلقد شللت تمامًا وفقدت التركيز والسيطرة، ولم أفق من شرودي إلا على صوت أخي المجروح وهو يقول: لما الكلب يكلمك قوله إن مصر مش حتسكت على الظلم، حتى لو جندوا ميت واحد زيك.

تركني أخي وسط أحزاني وذهب واختفى...... مرت الأيام سريعًا وكنت فيها شاردًا أغلب الوقت، أعاني من صراع داخلي بين نفسي وبين جبني وخوفي، وفي أغلب الأوقات ترن في أذني كلمات أخي في آخر لقاء بيننا، وما أفرحني وأراحني أن أمن الدولة تقريبًا اعتبرني كارتًا محروقًا حين أرادوا كشفي أمام أخي؛ فبدأت الشائعات تنتشر في الجامعة وكان ذلك طبعًا على يد بقية الموحولين الملوثين؛ حتى بدأت سمعتي الطيبة تندثر، وتلاحقني الاتهامات، بل ووصل الأمر إلى أن الطلاب توقفوا عن حضور محاضراتي، واستجابت إدارة الجامعة وحولتني للتحقيق.



Obeikan.com

حقًا.. إنها نهاية الخيانة والسقوط، شكرًا لله؛ فقد رأيت بعيني فشلي وجهلي وغبائي.

في هذه الأوقات كانت نسائم الربيع العربي قد بدأت على الرغم من برودة الجو، ولكن في تونس الخضراء التي بدأت فيها شرارة الحرية والثورة على الاستبداد، وارتفع سقف الطموح خاصةً بعد هروب ابن علي، وارتفع الأمل لدى المصريين وأنا منهم لتطهير أنفسنا من قذارة الماضي، وارتفع الأداء الأمني وترنح وارتبك، واعتُقِلَ أخي وخرج، وانتشرت شائعات الخروج للاعتراض على الشرطة في يوم عيدها كأبلغ رد على كونها أسوأ أجهزة الدولة تنظيمًا وأداءً، وأتى اليوم المنتظر، ووجدت نفسي مندفعًا في الشوارع مع الجموع أنادي بكل قوتي بسقوط الشرطة وسقوط قادتها وعملائها وأعوانها والمنتفعين منها، وكنت حقًا أتغلب على خوفي كلما زاد الوقت والاحتكاك بين المتظاهرين السلميين والشرطة، كنت أزداد قوةً ونقاءً كلما زاد الاحتكاك، حتى عم المساء، وبعد محاولات للبيات في ميدان التحرير حتى تحقيق المطالب -والتي تمثلت في إسقاط الحكومة ونظامها الأمني- ومع دخول الساعات الأولى لليوم التالي، حين أرتنا السلطة وجهها القبيح، وخرجت بقواتها لتفريق المتظاهرين مستخدمةً كل أدوات البطش والسحل والاعتقال والضرب، وبالطبع نابني من الضرب جانب، ولكني لم أتزحزح، لم أكن أعبأ بكل ذلك، بل كنت أحاول جاهدًا أن أتشبث بحقي في الاعتراض، وظلت حالة الكر

والفر، حتى نجحت قوات الأمن في تفريق المتظاهرين السلميين، وتركت الشباب ما بين مصاب ومعتقل، وتفرق الجميع على موعد يوم الجمعة المقبلة والتي سُمِّيَت بجمعة الغضب، وأتى يوم الجمعة، وكانت البلد تستعد لهذا اليوم وكأنه يوم كرنفال أو احتفال، وبالفعل خرجت مصر وملأت الميادين، ما بين معترضين وساخطين على الأوضاع، وبدأت الجموع في الزحف بعد صلاة الجمعة من مختلف مساجد مصر في أمواج هادرة من الغضب، يقابلها استقتال ودفاع مستميت من قوات الشرطة عن هيبتها وهيبة الدولة التي أسقطها شباب سلمي محترم متوحد معترض، وفي خلال اليوم ودون سابق اتفاق، وجدت أخي محمولًا يهتف ويتحرك رغم مدافع المياه والقنابل المسيلة للدموع، وكله صلابة وفرح وفخر، وحين رأيته حاولت الابتعاد عنه، ولكنه استوقفني واحتضنني قائلًا: إن مكاني ومكان أمثالي هو ساحات الاعتراض وليس مكاتب أمن الدولة، وإنه واثق من أن هذا اليوم هو فرصة لأمثالي من ضحايا الجبن ليتطهروا من أثقال جبن الماضي، ويشاركوا في إزاحة هذه السحابة الثقيلة عن آفاق المستقبل، وظللت بجانب أخي نتقدم بكل حماس ناحية ميدان التحرير، وفجأة شعرت بيد توضع وبقوة على أكتافي، وأخرى تحاول حملي بعيدًا، فاستغثت بأخي الذي استدار بشجاعةٍ وخَلَّصَني من أيدى المخبرين، ثم صرخ فِيَّ لأجري بعيدًا ولا أنظر خلفي، وبالفعل ظللت أبتعد وكلي خوف، واستدرت ورأيت مجموعةً من

هؤلاء المخبرين ملتفين حول أخي يضربونه بكل قوة وحقد وغل، وأخي على الأرض لا يتحرك.

كانت هذه آخر مرة أرى فيها أخي الأصغر الوطني الشجاع، والذي كانت آخر كلماته لي أن أهرب بعد أن خلصني من موتٍ محقق، ظللت فترةً طويلةً أبحث عنه في كل السجون وكل المعتقلات وكل المشارح لأجده، وفي خلال هذه الفترة مررت مع مصر بكل ما مرت به من انفلات أمني وجمعات مختلفة، وكنت في كل تجمع أشعر بروح أخي حولي تحرسني وتباركني، وظللت أبحث عنه في وجوه الجميع لعلي أراه ولو مصادفةً؛ لأشكره على كونه نعم الأخ ونعم المناضل، كم شعرت بالفخر حين تحول رئيس الجمهورية ووزير الداخلية ورؤساء الأفرع الأساسية في الشرطة إلى المحاكمة! شعرت بأن أخي ومن أصيبوا ومن قتلوا ومن فقدوا اليوم تلتئم جروحهم وتشفى صدورهم، وكم شعرت بالفخر وأنا أنتخب لأول مرة في تاريخ حياتي رئيس الجامعة وعميد الكلية وعضو مجلس شعب، كل هذا كنت أرى أخي الوطني المناضل ومن معه هم السبب فيه، ظللت أبحث عن أخي حتى بعد أن اخترق الشباب مراكز أمن الدولة؛ عله يكون مسجونًا هناك، ولكن لا أثر له، ظللت أبحث عنه بلا كلل ولا ملل بلا جدوى، وما كان يريحني هو رؤية من تسببوا في ضياعه وضياع أمثاله في السجون، يتجرعون نفس ما تجرعه أخي من ذل وهوان؛ أملًا في أن يقتص منهم العدل والقانون لترتاح القلوب وتبرد

الصدور، حتى جاء اليوم الذي حكمت فيه المحكمة ببراءة الجميع، وعندها فقط قرأت الفاتحة على أخي واعتبرته ميتًا شهيدًا عند ربه، وقررت أن أتوقف عن البحث عنه؛ لأنني لا أعرف ما سأقوله له لو قابلته، وسألني ماذا فعلت بحريتي وحياتي التي ضحى لأجلها بنفسه......

obeikan.com

obeikan.com

# هو وهي والحكاية المصرية

**هـو:** دق جـرس المنبـه كعادتـه دائمًـا دقيقًـا سـخيفًا، وعـلا صـوته المزعج الغير محتمل معلنًا قدوم يوم جديد، تحسست مكانه لأغلق جرسه المتصل المزعج، ثم نهضت من فراشي بنشاطٍ ناظرًا حولي في حركة لا إرادية؛ لأتأكد ألا أحد بالغرفة، وكانت تلك الحركة العصبية ملازمةً لي منذ أن جاوزت الأربعين من عمري، وتحديدًا



obeikan.com

حينما بدأت أُوقن أنني أضعت حياتي ووقتي دون زواج حتى فاتني القطار؛ فأصبحت أتخيل نفسي دائمًا رجلًا متزوجًا وأعول، ومن وقتها لازمتني هذه الحركة العصبية، وهي أن أنظر حولي حين أستيقظ؛ فلربما أسمع صوتًا عذبًا يصبّح عَلَيَّ أو أجد من تجهز لي ملابسي أو تسألني ماذا أريد على الفطور.

ورغم كم الحسد الذي أتلقاه دائمًا من أصدقائي المتزوجين، ورغم محاولة تمثيلي دائمًا أنني سعيد بحياة الصياعة والحرية، إلا إنني حين أكون وحيدًا آخر اليوم أشعر بوحدة وضعف وحسد شديد لمن هو متزوج ويشعر حوله بحياة يعيش من أجلها ويكافح ويفكر ويقرر، حتى وإن كانت حياةً صعبةً مقيدةً متعبةً، إلا إنها في النهاية أفضل عشرات المرات من الوحدة القاتلة التي أعيشها.

اخترت بدلةً أنيقةً جدًا، وحلقت ذقني وأعددت فطوري الملوكي المعتاد كل يوم، وضعت في ذكرياتي لماذا لم أتزوج إلى الآن، ولا أعرف لم مَرَّت في ذهني تقريبًا كل البنات اللاتي قابلتهن في حياتي، ومكثت أفكر مَنْ منهن كنت متسرعًا حين تركتها، ومَنْ كانت لا تنفع، ومَنْ كانت ذات طابع مختلف، ومن كانت جريئةً ومنفتحةً زيادةً عن اللازم، ومن كانت جميلةً ولكن دمها ثقيل، مرورًا بتجربة الخطوبة والانفصال والتي مررت بها

أكثر من مرة، وكيف كنت أشعر بالفرحة الشديدة؛ لأن الله نجاني من حبس أبدي مع شخصية كانت كفيلةً بخنقي وقتلي.

انتهيت من إفطاري ووضعت الأطباق في المطبخ لتنظفهم الخادمة، تاركًا لها رسالةً ألا تطبخ شيئًا على الغداء؛ فاليوم هو يوم الاحتفال بالترقية الجديدة والمنصب الجديد في الشركة، وقد وعدت أصدقائي بعزومة عزابي على الغداء بعد الشغل.

خرجت من المنزل منفتحًا مقبلًا على العمل؛ فاليوم هو أول أيام منصبي الجديد، اليوم أول يوم أجلس في مكتبٍ بمفردي أجني ثمار اجتهادي طيلة السنوات الماضية؛ فقد كنت أعوض وحدتي بانشغالي بالعمل والتفوق فيه؛ حتى أثرت إعجاب رؤسائي وتمت ترقيتي ودفعي وتشجيعي؛ حتى وصلت إلى منصب مدير العلاقات العامة في الشركة، وواحد من الموظفين القريبين إلى قلب مدير عام الشركة، والذي كان دائمًا معجبًا بحيويتي ونشاطي واجتهادي، وكان دائم المزاح معي بأن طاقتي هذه خسارة أن تهدر على واحدة ست، ثم يتبعها بضحكة عالية، ورغم كونها دعابة فجة وغير مقصود بها أي نية سيئة، إلا إنني كنت أشعر بأنها تُقَلِّب عَلَيَّ المواجع، حتى أتى قرار ترقيتي منذ شهر بعد أن ترقى رئيسي المباشر إلى سيادة المدير العام؛ فأصبحت الفرصة سانحةً للتقدم وحصاد تعب السنين، واليوم هو أول أيامي في المنصب الجديد......

هي: أفقت من نومي تنتابني حالة شديدة من الصداع؛ فبالأمس لم أغفل لثانية واحدة، ورغم فرحتي بالعمل الجديد إلا أن ابنتي الصغيرة مرت بوعكة صحية جعلتها تصرخ طيلة الليل من شدة الألم، ولم تنم بعمق إلا مع طلوع الشمس، ولكني -ورغم كل شيء- يجب أن أتماسك؛ فهو أول يوم لي في شركتي الجديدة، والتي انتقلت إليها بحثًا عن دخلٍ أكبر أواجه به وزوجي متاعب الحياة، وبحمد الله -وبفضل ذكائي وقدراتي- نجحت في الاختبار، وأصبحت -بجدارة- مديرة التنمية البشرية في هذه الشركة، وهي فرصة وتحدٍّ جديد لي في كل شيء؛ فقد كرهت أن تضيع سنون تفوقي وعلمي في الجامعة تحت أقدام زواج وإن كان بعد قصة حب؛ لأنني أرفض أن تُمحى شخصيتي وتُمحق تحت أقدام زوج وأولاد ومسئوليات لا يشارك فيها أحد، فمنذ أن تزوجنا -ورغم صغر سني وجمال مظهري- ظللت أعمل وأجتهد حتى مع آلام الحمل دون أن أشكو، وكانت لحظات الحب بيني وبين زوجي تكفيني لأتحمل أي شيء، حتى بدأت أصبح جزءًا عاديًّا من حياته، لا يعيرني اهتمامًا، وكأن ما أفعله حق مكتسب، فأصبح يتركني ليخرج مع أصدقائه، كما أصبحت لا أجذب انتباهه مطلقًا وكأنه لا يراني، أصبحت أنا وهو نمثل على بعضنا وحياتنا تسير، فأنا أعمل وهو يعمل، أنا حامل وهو يخرج مع أصحابه على القهوة كل يوم ويتركني، ولكني ظللت مصرةً على أن أظل كما حلمت أن أكون، أن أكون نفسي بشخصيتي المستقلة، حتى بذمتي المالية

المستقلة، وكأنني أرد على إهماله لي بأن أهتم أنا بنفسي، حتى وضعت ابنتي، ومع الولادة والالتزامات أخذ يبتعد أكثر؛ فأصبح ينام في غرفة مستقلة أغلب الأوقات؛ حتى لا تزعجه ببكائها المستمر، وأصبح يخرج أكثر مع أصحابه، وحجته في ذلك هي أنه لا يريد أن يثقل عَلَيَّ بطلباته، وأخذ يبتعد ويبتعد، حتى قرأت على الإنترنت إعلانًا عن وظيفة بمرتبٍ مُغْرٍ في شركة مرموقة فقدمت، ودأبت على المذاكرة، واستعدت نشاطي، وبالفعل تقدمت إلى الوظيفة ونجحت وأصبحت مديرةً، ورغم معارضة زوجي وتعلله بأن المنصب الجديد يمكن أن يؤثر على مسئولياتي تجاهه وتجاه ابنتي، وبأن الفلوس مش كل حاجة، وبأننا لسنا في حاجة لهذا كله، ولكني وبصلفٍ وعناد أصررت على قبول التحدي، وطمأنته بأنني لن أتخاذل في حق ابنتي أبدًا، وسأهتم بها وبشئوني دون مسئولية عليه مطلقًا.

نفضت غبار النوم وقمت إلى الحمام؛ لعل دشًّا باردًا يفيقني مما أنا فيه من نعاسٍ شديد، وحين نظرت في المرآة أصابني الفزع من الهالات السوداء التي تحيط عيني من قلة النوم والتعب؛ فأخذت دشًا باردًا ثم شرعت في وضع مكياج يحجب آثار النعاس، وخرجت لأرتدي ملابسي التي انتقيتها بعناية؛ فمنصبي الجديد يحتاج إلى أن أبدو دائمًا في أزهى وأجمل صورة.

خرجت من الحجرة على سنجة عشرة، وكانت والدتي قد وصلت إلى البيت لتهتم بابنتي، وكان زوجي يتناول إفطاره، فنظر إليَّ متمتمًا: صباح الخير، وكالعادة لم يعلق على مظهري إن كان عاجبه أو مش عاجبه وكأنه لا يراني، فجلست معه وتبادلنا الحديث، والذي كان دائرًا في مجمله عن ابنتنا وصحتها، ثم نهض زوجي مستأذنًا وخرج، وخرجت أنا بعد أن اطمأننت على ابنتي وتأكدت من أن أمي تعي كل شيء وتعرف جيدًا التعليمات، ورغم كل شيء -ورغم النعاس والصداع- إلا إنني حين خرجت من البيت شعرت بانتعاش غريب، شعرت بأنني في طريقي إلى إثبات ذاتي، شعرت بلذة التحدي الذي أنا مقبلة عليه.

هو: وصلت إلى الشركة في موعدي تمامًا دون تأخير كعادتي، ووقفت خارج الشركة أدخن سيجارة الصباح مع زملائي ونتبادل أطراف الحديث عن المنصب الجديد، والجميع سعيد يبارك ويهنئ؛ فأنا من أقدم موظفي الشركة، ولم أفكر يومًا في أن أتركها تحت أي ظرف، وتربطني بالجميع أواصر زمالة وصداقة وعشرة.

حين كنت أتكلم مع أحد الأصدقاء تطرق إلى مديرة التنمية البشرية الجديدة، وتحدث عن كونها صاروخًا ولكنها متزوجة وعندها بنت لسة مولودة، ووجدته ينظر إليَّ نظرةً خبيثةً وهو يؤكد أنها ستجلس معي في نفس المكتب، وابتسم الجميع ابتسامة السفالة الذكورية المصرية، وكُلٌّ



obeikan.com

عَلَّقَ تعليقًا سخيفًا، ولكنني ظللت شاردًا فيمَنْ ستجلس معي في المكتب؛ فأنا على حسب علمي لي مكتب بمفردي، ولكن واحدًا منهم أكد لي أن هذه أوامر المدير العام، وأن ذلك حدث بناءً على رغبته.

شكرت الجميع ودخلت الشركة على وجهي ابتسامتي المعتادة، ولكني متعصب بعض الشيء بسبب موضوع المكتب، ومَرَّ في رأسي كل ما قيل عن هذه السيدة التي لا أعرفها ولم أرها من قبل، ولكني حاولت أن أتجنب التفكير في الموضوع؛ معللًا ذلك بأن شركتنا ممتلئة بالموظفات الحسناوات واللاتي أعتبرهن كلهن زميلات، ولم نتخط أبدًا هذه الحدود. ظللت ماشيًا أوزع الابتسامات والمجاملات حتى وصلت إلى مكتبي الجديد وفتحته...

هي: كان الطريق مزدحمًا جدًا، ولكني نجحت في أن أصل في موعدي المحدد، واخترقت مدخل الشركة متجنبةً نظرات الموظفين المتطلعين إلى المديرة الجديدة، والذين كانت بعض نظراتهم سخيفةً جريئةً تنم عن مجتمع ذكوري قذر لا ينظر للمرأة إلا كآلة متعة فقط، ولكني أكملت سيري بكل ثقة، متمنيةً أن تكون حالةً عرضيةً كأول يوم في الجامعة، وبعدها ننقلب جميعًا زملاء يجمعنا الاحترام والود.

وصلت لمكتب الأمن وسألت عن المدير العام ذاكرةً اسمي وكنيتي؛ فأرسلني رجل الأمن إلى مكتب المدير العام الذي رحب بي في أول يوم

عمل، وتحرك معي ليريني مكتبي، وظل يشكر ويعدد في الصفات الحسنة لزميل المكتب ومدير العلاقات العامة في الشركة الأستاذ/ طارق، حتى وصلنا إلى المكتب فنقره نقرةً سريعةً وفتحه ودخل.

هو: اقترب صوت المدير العام العالي يتحدث إلى أحد الأشخاص والذي لم يكن صوته واضحًا، وأخذ صوته يقترب ويقترب حتى نقر الباب ودخل ودخلت خلفه المديرة الجديدة، قمت واقفًا مبتسمًا مُعَرِّفًا بنفسي مادًّا يدي بالسلام، فَعَرَّفَت بنفسها بثقة وثبات وابتسامة غريبة لا معنى لها، وهنا تحدث المدير العام عن وجهة نظره في جعلنا مع بعضنا في نفس المكتب؛ وذلك حتى تستفيد مدام راندا (وكان ذلك اسمها) من خبراتي الفذة ومعرفتي العميقة بكل موظف في الشركة، وبقدرتي على مساعدتها بما ينفع الشركة، ثم نظر إلى كلينا وتمنى لنا التوفيق في أول يوم عمل في مناصبنا الجديدة وانصرف.

كانت مدام راندا شاهين جميلةً، بيضاء اللون، رشيقةً، أنيقةً، من هيئتها وطريقة لبسها يظهر عليها مستواها المرتفع، كما كان واضحًا من الخاتم في يدها اليسري أنها متزوجة، ومن الصور التي وضعتها أمامها أنها متزوجة وعندها أولاد، تبدو إنسانةً لطيفةً ونشيطةً ومحترمةً.

هي: فتح المدير العام الباب بعد نقره، ودخلنا حجرة مكتب واسعة،

أنيقة، بها مكتبان متقابلان وشباك تدخل منه الشمس يطل على الشارع العمومي، المكتب ورغم أناقته يبدو قديمًا، سيحتاج إلى لمسة جمالية، كان يجلس إلى المكتب المقابل رجل ليس شابًا، أسمر، حليق الرأس، واسع العينين، لا تخلو عينه من التجاعيد البسيطة، والتي تنم عن سنه المتقدم.

رغم هيئته إلا إنه يرتدي ملابس يظهر من ماركتها أنها لرجلٍ ينتقي ملابسه جيدًا ولا يبخل على نفسه، كما كان واضحًا أيضًا من ماركة ساعته وقلمه المونت بلون.

ابتسمت له وهو يُعَرِّف بنفسه، ومددت يدي مرحبةً برفيق المكتب الجديد، والذي سيساعدني في الفترة القادمة كما أعلن مدير عام الشركة، خرج المدير وبقيت أنا والزميل في المكتب، بدأت في ترتيب مكتبي ووضع صورة زوجي وابنتي، وظللت أنظر إلى صورة زوجي الضاحكة البريئة، حقًا لقد تغير كثيرًا وابتعد كثيرًا؛ فأشعر الآن بأنه أبعد ما يكون عن الإنسان الذي أحببته واقترنت به منذ فترة ليست قصيرة، الغريب أنه لم يتصل بي حتي ليطمئن على أول يوم شغل وكيف تسير الأحوال، تنهدت تنهيدةً ونظرت أمامي إلى رفيق المكتب الأستاذ طارق (هذا اسمه كما عرفه لي المدير العام) يبدو من يديه أنه غير متزوج، أو ربما يكون من

الأشخاص الـذين لا يرتـدون خـواتم زواج، ظـل الفضـول يتملكني حتى بدأت الحوار محاولةً أن أكون لطيفةً...

راندا: معلش.. أزعجت حضرتك؟؟

طارق: لا أبدًا بالعكس.. إنت نورتينا، وإن شاء الله تنبسطي في الشركة، الناس هنا كلها طيبة ومحترمة.

راندا: حضرتك بقى لك مدة بتشتغل هنا؟؟

طـارق: أكتر مـن عشـر سـنين.. الشـركة دي هي كـل حاجـة في حيـاتي.
راندا منتهزةً الفرصة: دي لازم المدام بتغير منها جدًا؟؟

طارق: المدام مين؟! ثم ضاحكًا: أنا -الحمد لله- معنديش مدام ولا أولاد: لسه مدخلتش دنيا.

وهنا شعرت بإحراج شديد؛ فشكله ليس بالصغير، ولا أريد أن أزيد من ضغطي فأصبح سخيفةً فقررت أن أغير الموضوع، ولكنه شعر بحرجي، فأراد أن يحلني من شعور الذنب، فاسترسل قائلًا:



obeikan.com

طارق: وما لك أحرجتي ليه كدة؟! المفروض أنا اللي أبقى محرج، راجل عنده أربعين سنة في بلد تعاني من العنوسة ولا زلت عازبًا، ثم استطرد ضاحكًا: النصيب حاعمل إيه؟؟

أنا باعتبر كل موظفين الشركة أهلي وإخوتي والمدام بتاعتي، والحمد لله دة مكفيني وزيادة... إن شاء الله حتتبسطي معانا، ولو احتجت أي شيء أرجوك اعتبريني أخوك الكبير.

راندا: شكرًا أستاذ طارق.

أخذني العمل والتعرف على نظم الشركة وسياساتها وموظفيها، وأخذت أقرأ في كل ملفات الشركة الخاصة بالموظفين؛ حتى أفقت على تليفون من أمي، وكنت قد نسيت تمامًا أن أتكلم لأسأل عن ابنتي المريضة، وعلمت من أمي أن ابنتي الصغيرة مريضة جدًا، ولكنها تتحسن ولا تسوء، شعرت بأنني أفتقدها، الغريب أن الأستاذ طارقًا قاطعني قائلًا: سلامة بنتك ألف سلامة. أنا آسف.. ولكن صوتك كان عاليًا وسمعت مكالمتك. اتفضلي روحي شوفي بنتك وربنا يشفيها لك -إن شاء الله- ونطمن عليها..

حاولت أن أعتذر مرتبكةً إلا أنه أصر على أن أذهب لأطمئن على ابنتي داعيًا لها بالسلامة.

مرت الأيام والشهور والأستاذ طارق يثبت لي كل يوم كم هو رجل أنيق جنتلمان رقيق المشاعر كريم ومحترم؛ فقد ساعدني في كل شيء، وحماني من مواقف كثيرة محرجة مررت بها في أول أيام العمل، حتى إنني أتكلم عنه كثيرًا مع كل صديقاتي وأهلي، أتحدث دائمًا عن شهامته ورجولته، وأتعجب من كيفية بقائه طيلة هذا الوقت دون زواج، وأحيانًا كثيرة أضعه في مقارنة مع زوجي، ولكني سرعان ما أشعر بسخافتي وأطرد هذه الأفكار من رأسي؛ فهو حقًا إنسان جذاب ورقيق، ولكن ما أفكر فيه لا يجوز أن يحدث مع زميل كان ولا يزال نعم السند.

بعد فترة وجيزة -وبمساعدته- أصبحت أسيطر على كل شيء له علاقة بالشركة، وأصبحت محل ثقة المدير العام، وقد كان بالفعل سندًا لي في المصادمات والحملات التي شنها الموظفون على الأنظمة الصارمة التي وضعتها، فكما هي العادة الإنسان المصري لا يحب النظام ولا يلتزم به؛ مما أدى إلى حروب شعواء مع موظفين كثيرين كنت أنتصر فيها بفضل طارق ومواقفه المساندة، بل واحترامه الشديد للقوانين، ودأبه دائمًا على أن يكون أول من ينفذها ويحترمها، بل كثيرًا ما كان يردع من يتخطى حدوده في الكلام معي، كان بحق رجلًا محترمًا يستحق الإعجاب، ولكني لا أعرف ماذا حدث له في الأيام الأخيرة، ألاحظ عليه دائمًا الارتباك؛ فهو دائمًا يبقي الباب مفتوحًا ويرتبك حين يغلقه أحد، وأصبح يتجنب المزاح معي أمام الناس، وأصبح يتعامل برسمية شديدة وتحفظ، ولكنه ظل

محترمًا محافظًا على الزمالة خدومًا لا يكل ولا يمل من المساعدة.

هو: ماذا حدث لي؟! الجميع أصبح يتساءل ويردد في الشركة كلها عما حدث لي، هل أصابني الجنون لأعجب بواحدة متزوجة تعاملني كزميل وأخٍ أكبر لها؟! أيمكن أن يكون هذا حقيقيًا؟؟!!! لا يجوز: فأنا عاقل لست بمجنون، وكون راندا إنسانةً جميلةً وجذابةً ومحترمةً يعني أنها إنسانة جديرة بالمساعدة؛ لأنها مجتهدة وتريد أن تفعل شيئًا، وتسطر نظامًا نحترمه جميعًا، ولا يعيبني أنني متحمس لفكرها وأساعدها في تطبيقه والتغلب على عاداتنا الذميمة من عدم احترام الوقت وعشق الفوضى والهرجلة والعبث، لا يعيبها أنها تعاني من مشاكل مع زوجها وتحتاج من يساندها، وما العيب في أن أكون أنا؟! ظل الجميع يبتعد عني شيئًا فشيئًا، وظللت أحاول أن أقترب، وكلما حاولت الاقتراب أسمع الجميع يتهامزون عَلَيَّ، بل وأصبح البعض يترك المكان داعيًا لي بالهداية!! ولماذا كل هذا؟؟! أبدر مني شيء ما جعل الجميع يشك في شيء؟؟! ظللت على حيرتي أشعر باختناق شديد: فالشركة والزملاء والزميلات هم أكثر من أهل، ومعاملتهم ونبذهم لي يسبب لي الكثير من الألم، ورغم ثناء المدير العام على عملي وإعجابه براندا إلا إنني أشعر بالفشل، أشعر بأنني منبوذ مطرود من جنة الود والحب الذي كان يساندني دائمًا ويُصَبِّرُني على وحدتي وألمي، ظللت حائرًا حتى قررت أن أواجه الناس: فأنا لم

obeikan.com

أخطئ ولم أقترف ذنبًا أو أتخط حدودي أبدًا مع راندا أوغيرها، فَلِمَ أشعر بهذا الذنب؟؟!

بعد تفكير وتدبير قررت أن أتكلم مع زملاء وأصدقاء لي عما يقال عني وعن راندا، وأن أدافع عن موقفي وعنها؛ ففوجئت بأن القصص التي كانت تُحْكَى قصص يندى لها الجبين، قصص تخيلية تخوض في تفاصيل لا يمكن أن يتخيلها أحد، لم أَرُدّ، وكيف أرد على هذه السفالة والحقارة من أشخاص المفترض فيهم أنهم أصدقاء نعرف بعضنا البعض جيدًا؟! كيف تصدر هذه الكلمات في حق سيدة متزوجة كل ذنبها أنها جد لا تمزح وتريد أن تُسَطِّر نظامًا نحترمه ونتبعه؟! أتكون هذه هي وسيلة النيل منها أعوذ بالله؟! ظللت أفكر فيمن ينقذني من هذه الورطة، حتى فكرت في صديقي المتدين الذي يصلي الفرض بفرضه، فكرت في أن أتكلم معه عله ينصفني ويساعدني في اجتياز المحنة وعبور الأزمة، فكان رده أن هذا من تبعات الخلوة، وأن ذلك جزاء التحرر، قائلًا إن هذا الوضع سببه الحياد عما نادى به هو والزملاء الملتزمين بفصل النساء عن الرجال، وعلى الرغم من وجود زجاج في الباب يظهر ما يدور داخل المكتب، إلا أنه ظل مقتنعًا بأنها خلوة، وأن مواقفي المؤيدة لراندا جعلت الجميع يظنون أننا على علاقة آثمة، داعيًا لي بأن أتوب وأتركها وأعود إلى صوابي.

كان يتكلم وكأنه مقتنع تمامًا بما يُقَال، بل إن طريقته جعلتني أقتنع أنه شارك في تأليف القصة وحبكتها وإخراجها ولكن بطريقة دينية، بدأت أفتح باب المكتب، وأصبحت مرتبكًا جدًا لا أستطيع النظر إلى وجهها أو المزاح معها، فكلما قررت أن أنسى كلام الجميع أتذكر بشاعته فأتصرف بتحفظٍ شديد، ورغم نظراتها المتسائلة، ورغم إعجابي الشديد بها وبشخصيتها، وعلى الرغم من اقتناعي الشخصي بأننا يجب أن ننفصل فعلًا؛ حتى لا ندع للشيطان مدخلًا لنا ونفقد السيطرة، إلا إنني لم أتكلم معها؛ خوفًا عليها من صدمة وفضيحة لا أساس لها، فبدأت أتحدث إلى المدير العام في رغبتي في ترك راندا بمفردها في المكتب؛ لما تحتويه ملفاتها من سرية، واحتياجها لمكان واسع فسيح، على أن أعود أنا مرةً أخرى إلى مكتبي القديم، ووعدني فعلًا بذلك واقتنع..

هي: لا أدري لم لا أشعر بالراحة؛ فنظرات الجميع أصبح بها من الشك الكثير في العمل، ومن زوجي الذي بدأ يظهر ضيقه الشديد من الأستاذ طارق وسيرته، وأمي نهتني كثيرًا إلى أن أتوقف عن الحديث عن طارق طيلة الوقت، ونظرت لي نظرةً معناها الخوف والقلق من أن أتخطي نطاق الزمالة ويحدث ما هو أبعد من ذلك، ورغم أنني كنت أظهر دائمًا استخفافي بالموضوع وأنفيه نفيًا قاطعًا، إلا إنني كنت أشعر ناحية طارق شعورًا غريبًا بالإعجاب الشديد برجولته وشهامته ورومانسيته وحبه الشديد للناس وخوفه عليهم، كنت أرى فيه الإنسان المحتوي المقنع،

ولأنني كنت على خلاف دائم مع زوجي وضعني هذا في موقف صعب لا أُحْسَد عليه، ووضع فوقي ضغطًا عصبيًا جعلني عُرْضَةً لأي ضعف، وكان ذلك يخيفني جدًا ويرعبني حين أتخيل نفسي أحب شخصًا غير زوجي أو حتى أعجب به.

في الأيام الأخيرة أشعر بعدم راحة، وأشعر بأن طارقًا يعرف شيئًا يخفيه عني، يبعده ويجعله شخصًا آخر غير طارق الذي أعرفه، كما زاد ضغط زوجي وغيرته؛ حتى أصبحت مطحونةً بين خوف داخلي من الضعف وبين معاملة غريبة ونظرات اتهام من الجميع، ولكن في كل الحالات أردت أن أتكلم مع طارق؛ عله يريحني من الحيرة ويشركني فيما يعرف...

هو:دخلت المكتب في الصباح، وجدت راندا تجلس إلى مكتبها وجهها مجهد، عيناها متعبتان يظهر عليهما الإجهاد الشديد والوهن، ترتدي ملابس عاديةً جدًا غير ما تعودنا عليه منها من أناقة وجمال، ولكني لن أكترث أو أسألها أي أسئلة شخصية؛ حتى أتجنب القيل والقال، ولكنها فاجأتني بسؤال مباشر وصريح...

راندا: طارق.. هو في إيه؟؟ أنا حاسة إن الشركة مش طبيعية وانت كمان مش طبيعي.. في حاجة؟؟!!!

وعندها قررت أن أسرد كل شيء عما حدث طيلة الأسابيع الفائتة، وحقيقة مخاوفي من تطور غير محمود للعلاقة بيننا، وكلام الناس، وعندها وجدتها -ورغم كونها فتاة متحررة لا تؤمن بالفوارق ولا تستسلم للأفكار الرجعية- ولكني وجدتها -وبلا تردد- توافق على أن يترك أحدنا المكتب؛ لنتجنب كلام الناس، ووجدتها تلتمس لهم العذر رغم كون كلامهم سخيفًا قاسيًا، ولكن هذا هو المجتمع الذي نشأنا فيه، يؤمن بما يظهر، ويتخيل ما يخفي عليه، ولا يفترض حسن النية أبدًا، لا يؤمن بالرجل المتحرر ولا المرأة المتحررة المخالفة لتقاليده، كما إنه لا يجد أي مشكلة في أن يعطل نجاح أي شخص بأي طريقة، وإن كان ما يقولوه عن إعجابنا ببعضنا فيه شيء من الصحة، فقد كنا على وشك الدخول في دوامة لا مخرج منها ولا مفر، ولكن القصص المختلقة كانت قاسيةً جدًا ولا تُحْتَمَل.

بعد فترة صمت رهيب قررت أنا وراندا أن نذهب للمدير العام ونطلب منه الانفصال، ونشرح له ما يجري في الشركة، وبالفعل ذهبنا إليه، وظهر عليه أنه يعرف الكلام بالطبع، ولكنه لم يكترث لكون العمل يسير بصورة ممتازة ودقيقة وذلك ما يهمه، إلا أنه اقترح أن أنتقل أنا إلى المبنى الآخر، وتجلس راندا في المكتب بمفردها، ووافقت على الفور ظنًا مني أن القصة ستنتهي...

تمت عملية النقل، وبالفعل تم الانفصال، فأصبحت راندا بمفردها في المكتب، وأصبحت أنا في المبني الآخر، وبدأت أشعر بالراحة وأحاول أن أستعيد ثقتي والتي كسرتها الأيام السابقة داخلي، حاولت أن أكون إنسانًا طبيعيًا؛ ظنًا مني أن المشكلة انتهت وحُلَّت إلى الأبد، ولكن ما وجدته بعد أسابيع قليلة ما لم أصدقه؛ فقد وجدت قرار النقل هذا يزيد الإشاعات أكثر، ووجدت المزيد والمزيد من القصص والحكايات التي تم تأليفها وإخراجها بل وأصبحت أكثر بشاعةً، وما علمته أن راندا أصبحت إنسانةً محطمةً لا تقوى على مجابهة الزملاء؛ فيتطاول عليها الجميع عند أول مواجهة، وتلمزها زميلاتها، وكل منهم لبس رداء الشرف ونسوا أن من الموبقات قذف المحصنات الغافلات.

لأول مرة أشعر بالصدمة والشلل؛ فأنا لا أقوى على الدفاع عنها؛ حتى لا أزيد الضغط عليها، وخاصةً حين علمت بأنها طلبت الطلاق من زوجها بعد أن وصلت له الإشاعات والأقاويل، وبدأت راندا تهمل عملها، وانهد النظام الذي بنته بحلمها البريء تحت أقدام أناس لا يعرفون الرحمة، وألسنة أقوى من السياط، وأصبحت أنا الآخر في مرمى القذائف، أنا الذي كنت أساعد الجميع وأحبهم، صدمت ولم أعد أستطيع العمل والاستمرار، بل بدأت أفكر جديًا في ترك العمل والاستقالة، خاصةً بعد ما توجه إليَّ بعض الأصحاب المتدينين واتهموني بأبشع الاتهامات،

وأخبروني بأنهم لا يشرفهم أن أكون زميلهم، وبعد تفكير عميق جاءتني مكالمة.

راندا: طارق.. أنا استقلت اليوم، وأعلم ما تعانيه من ضغط، ولكن هذه شركتك وهؤلاء أصدقاؤك، وفي النهاية لو في حد لازم يمشي يبقى أنا؛ حتى أنقذ بيتي وابنتي من الضياع، وسبب مكالمتي لأعتذر لك عن كل ما حدث لك بسببي، وأشكرك على كونك إنسان محترم مثقف، وأتمنى لك كل التوفيق.

لم تعطني فرصةً لأرد عليها وأغلقت الخط، وتركت الشركة مصحوبةً باللعنات بلا وداع ولا شكر على ما قدمته..

استدعاني المدير العام، وأبلغني بأنني عينت مديرًا للموارد البشرية بدلًا من راندا، طالبًا مني أن أستمر فيما وضعته معها من أنظمة، وأن أحاول إعادة ما دمرته الشائعات المغرضة، مؤكدًا لي أنه واثق تمامًا من كذب القصص، ولكنه المجتمع الذي يجب أن نحتمله ونتعايش معه رغم كل شيء..

وصلت الشركة في موعدي في أول يوم في الوظيفة الجديدة، بدا عَلَيَّ الإرهاق والتعب؛ فقد مكثت طوال الليل أفكر فيمن حولي، وللأسف وجدتهم جميعًا أشخاصًا غير جديرين بالصداقة أو حتى العمل معهم،

فالملتحون المتدينون يأتون متأخرين بعد أن يزور أحد أصدقائهم توقيعهم في دفتر الحضور والانصراف، والمحجبات المحترمات كلهن على علاقات وفي قصص حب وهيام من وراء أهلهم، والأخريات يشعلن الفتنة والتوقيع بين بعضهم البعض، أما الزملاء العاديون فيصرفون مرتباتهم على الحشيش والكيف ومنهم من يخون زوجته، والقليل جدًا منهم محترم ومستقيم، ولكنهم جميعًا يختبئون خلف مظاهر كاذبة تحميهم من كلام الناس، ولذلك ليس غريبًا أن يحيكوا كل هذه القصص التي اكتشفت أنها ليست من خيالهم ولكن من حياتهم الشخصية اليومية، ووجدوا في تحرر راندا وتأخري عن الزواج فرصةً لكي يتخيلونا مثلهم حثالةً لا أخلاق لنا، كل هذا ظللت أفكر فيه طيلة الليل.

اخترقت الشركة دون أن أنظر لأحد، أكاد أختنق من رائحة العفن التي تزكم أنفي وكأنني في مقلب زبالة، حتى وصلت إلى غرفة المدير العام، وفتحت الباب فجأةً ووقفت أمام مكتبه معطيًا إياه ورقة استقالتي، وتركت المكتب وخرجت شاعرًا بحريتي ورغبتي في شهيق أملأ به صدري هواءً نظيفًا....

# اتجاه عم محمود

**شارعنا** في الإسكندرية شارع جميل، ضيق صحيح ولكن به من البراح النفسي ما يجعله من أحلى الأماكن أتذكر جيدًا وأنا صغير حين كان يأتي شهر رمضان، وكيف كان يمتلئ بالزينة والبمب والصواريخ ودورات كرة القدم والمرح والسرور، وكيف كنا شبابًا نعرف بعضنا البعض جيدًا، كنا جميعًا أصدقاء مقربين متحابين مترابطين لا نشعر بأي اختلاف بيننا في المستوى، فكنا جميعًا متقاربين، وإن كنا مختلفين فاختلافنا لا نشعر به أبدًا، كان شارعنا في الماضي لا توجد به



obeikan.com

الكثافة المرورية الشديدة، وكان الجميع من الأدب بحيث يسعون بعضهم البعض، حتي إنني لا أذكر أبدًا أن حدث اختلاف بين سيارتان متقابلتين أبدًا.

منذ زمن ليس ببعيد، وبعد أن تطورت الحياة وأصبح الجميع يمتلك سيارات، اكتظ شارعنا الضيق بالسيارات، حتى أصبح من الصعب أن يحتمل سيارتين متقابلتين، ومع كثرة الشكاوى والشجار والقتال بين قائدي السيارات وتحول هذا الشارع إلى شارع محوري وحيوي، تدخل المرور أخيرًا ونظم السيولة المرورية؛ ليصبح هذا الشارع اتجاهًا واحدًا، مع وضع -في بعض الأحيان- عسكري في الناحية الخطأ ليسيطر على السائقين المخالفين وينظم الحركة المرورية، ويحد من الشجار والقتال بين سائقي السيارات المتقابلة.

وضع المرور لافتة ممنوع الدخول في هذه الناحية من الشارع، وكان ذلك يضر عم محمود الذي يمتلك سوبر ماركت في أول الشارع من الناحية الممنوعة، وجعل ذلك سيارات البضاعة تضطر لأن تسير طريقًا طويلًا لكي تدور حول الشارع وتأتي لعم محمود البقال وصاحب السوبر ماركت؛ مما أضر بالرجل وبمصالحه، وجعل الموردين يهربون منه.

بعد فترة من الزمن، وبعد أن ظل عم محمود يلعن الحكومة والمرور اللذين أضرا بمصالحه وطَفَّشَا منه الزبائن، وظل يشتم ويتعارك بل

ويستعمل البلطجة أحيانًا لكي يجعل الموردين يقطعون الشارع بالعكس ويدخلون ليفرغوا البضاعة، مع تحمله إتاوة العسكري لكي لا يحرر مخالفة لسيارات الموردين، مطنشًا تمامًا العطلة الرهيبة والشلل التام الذي كان يعانيه الشارع من جراء هذا الفعل البلطجي من عم محمود.

وتمر السنون وتبقى علامة ممنوع الدخول الموضوعة على شارعنا محل جدل ونقاش؛ فلا أحد يلتزم بها، وتنشب المعارك، ونسمع كل يوم سيلًا من السباب العنيف المتبادل بصوت مرتفع، وأحيانًا المعارك اليدوية بين سائقي السيارات، وأصبح المرور في شارعنا للأقوى تطبيقًا لنظرية داروين، حتى تفتق ذهن عم محمود عن فكرة خلابة، وهي أن يغير مكان العسكري ويجعله يقف عكس العلامة المرورية؛ مما يجعل الوضع معكوسًا ومفيدًا، ضاربًا عرض الحائط بالعلامة الموضوعة وكأنها لا تعبر عن شيء.

نجحت خطة عم محمود، وأصبح المتعارف عليه بعد فترةٍ قصيرة أن الطريق في الاتجاه الآخر، وكان عم محمود يتدخل إذا اختلف اثنان؛ ليؤكد للجميع أن هذه العلامة القديمة لا تعني شيئًا، وأن الاتجاه الصحيح هو العكس، وعَضَّدَ موقفه غياب تام للمرور والعسكري.

ومرت الأيام، وجرت العادة على أن الاتجاه في الشارع هو الاتجاه الذي وضعه المخطط العظيم عم محمود، وتكيف الناس كالعادة، ومع مرور

الوقت أصبح بعضهم يصرخ في وجه من جاء في الاتجاه الصحيح قائلًا: "ارجع يا حمار"؛ فيعود الذي معه الحق مطأطئ الرأس معتذرًا، وأصبح اتجاه عم محمود هو الاتجاه المعروف الذي لا يختلف عليه اثنان.

ظل الحال كما هو حتى سكن في شارعنا شاب مهندس متعلم محترم حاصل على الدكتوراة من جامعة في الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت هذه شقة والده الذي توفي وتركها له ليتزوج فيها.

عاد الدكتور من أمريكا واستقر، وكانت الأمور تسير بشكل جيد، وكان هو أيضًا يستعمل الشارع في اتجاه عم محمود، ونسي الجميع الاتجاه الصحيح، وظلت العلامة المرورية مزارًا سياحيًا لا تعني أي شيء لأي أحد، حتى جاء يوم ودخل الدكتور من الاتجاه الصحيح، وبالطبع كان أول اصطدام بينه وبين عم محمود البقال حين نطق الدكتور معاتبًا عم محمود على تعطيل الطريق والسماح لسيارة الموردين بالسير في الاتجاه المعاكس، وعندها صرخ فيه عم محمود قائلًا إن ما يقوله غير صحيح، وعندها عاد الدكتور إلى أول الشارع وأشار إلى علامة المرور المكتوب فيها بالعربية: "ممنوع الدخول"، ولم تنجح مع الدكتور محاولات عم محمود لإثنائه عن رأيه، والعودة بالسيارة إلى أول الشارع واستخدام الطريق الطويل والدخول من الناحية الصحيحة، ولسوء حظ عم محمود وقف الجميع من أهل شارعنا بقوة مع موقف الدكتور

obeikan.com

المتنور المتعلم ضد عم محمود، وكأن الجميع ولأول مرة يرون هذه العلامة، أو كأن الجميع لا يعرفون هذه الحقيقة.

ظل الصراع دائرًا بين شباب الشارع وعم محمود على إعلاء كلمة القانون واحترامه، حتى بعد أن أرسل عم محمود رجاله ليزيلوا العلامة والتي أعادها الشباب المتحمس، ورغم بلطجة عم محمود والضغط على أهاليهم بالدفع مقدمًا وإلغاء النوتة وإلغاء خدمة التوصيل للمنازل والعيش من الفرن وكل ذلك، ضاغطًا عليهم ليوقفوا أولادهم، بل وصلت البلطجة بعم محمود إلى أن يبعث رجاله ليخربوا السيارات ويشيعوا الرعب ويتلطعوا على النواصي يعاكسوا اللي رايحة واللي جاية، ويلقحوا كلامًا على الشباب، وعلى الرغم من كل ذلك ظل إصرار الشباب عجيبًا على أن يغيروا العادة التي اخترعها عم محمود، وجعلوا السيارات تسير في الاتجاه الصحيح.

انقسم الشارع لفريقين، فريق يقوده المتضررون من بلطجة عم محمود وما يمارسه من حصار عنيف، وفريق الشباب الذي يقوده الدكتور الذي يأبى أن يرضخ لضغط عم محمود البقال وأولاده، في هذه الأثناء كانت من حينٍ لآخر تظهر شائعات على الدكتور بأنه ليبرالي متعفن، وأنه مبيصليش ومراته بتلبس عريان، بل وحاول بعض المتضررين وأصحاب عم محمود والمنتفعون منه أن يطفشوا الدكتور من الشارع؛ لعل

الشارع يعود لحالته مرةً أخرى، بل وانضم إليهم بعض المثقفين الذين تضرروا من حصار عم محمود وبلطجته؛ لأنهم اضطروا لدفع مبالغ إضافية لمشاوير السوق والعيش والتي استغلها البوابون وعائلاتهم لابتزاز العائلات، ودة طبعًا بالاتفاق مع عم محمود.

لم ينفض الاشتباك إلى الآن برغم تدخل شيخ الجامع الذي حَرَّمَ القتال وندد بالدكتور الذي تعلم في أمريكا وجاء ليتلف عقول الشباب، حاثًّا إياهم على تركه والتعاون مع عم محمود الراجل الخَيِّر الذي يتبرع دائمًا للجامع، والذي كان يحافظ على الأمن والأمان في الشارع، وحث شباب الجامع المؤمن على أن يقفوا ضد الدكتور الليبرالي المتعفن الذي جاء ليشيع الفاحشة.

ظل عم محمود والدكتور في هذه المواجهة، وكل منهم يمارس على الآخر ضغطًا شديدًا وكُلٌّ له مريدوه، والمُضَار الوحيد في هذا كله شارعنا الجميل، يئن تحت هذا الصراع بين البلطجة والقانون والحق والعدل الذي يجب أن يسود على أيدي شباب شارعنا الشجاع المحترم. يا ترى مين حينتصر؟؟!!!



obeikan.com

# زميلي السلفي

تصادف وجود زميلي السلفي في نفس موعد خروجي من العمل، هو إنسان خلوق مهذب مطلق لحيته مقصر لبنطلونه، ولكنه دون زيادة مبتسم دائمًا، بشوش في وجه الجميع، بادئ بالسلام في أغلب الوقت، يعمل بجد واجتهاد دون تقاعس، وما يعجبني فيه أنه عملي، يكتب كل يوم على السبورة في الجامع حديثًا شريفًا بسنده وشرحه؛ فيقرؤه من يدخل إلى المسجد للصلاة، وهو بذلك يعطي مثالًا عمليًا ودرسًا يوميًّا للمصلين، وفي نفس الوقت تكون تلك صدقةً جاريةً وثوابًا مستمرًا له -بإذن الله-.

ابتسمت في وجهه كالعادة، واقتربت مصافحًا له، وإذ به يستأذنني في أن أصحبه معي لمكان على طريق عودتي إلى المنزل، ومن الواضح أنه كان يحاول أن يستأذن بأدب جم حتى لا تكون هناك أي شبهة إحراج مني، فيكون أخذ شيئًا بسيف الحياء، ولكنني أكدت عليه أنني سأكون سعيدًا بهذه الصحبة، فابتسم وتوجهنا سويًّا إلى سيارتي.....

تحركت بالسيارة وخَيَّمَ الصمت علينا؛ فهو لم يكن صديقي، ولكنني أكن له كل التقدير، بل وفي أحيانٍ كثيرة أتمنى أن أصل مثله إلى هذه الدرجة من الوقار والعلم والثبات والاقتناع، الذي يدفعني بعيدًا عن المعاصي والذنوب، ويحميني من نزغ الشيطان، ولكني في نفس الوقت لم أكن مقتنعًا بأنني يجب أن أكون هكذا منطويًّا لا أتفاعل إلا في ما يخص الصلاة والنصح وكفى، كنت مؤمنًا بأن المسلم خُلِقَ ليكون أكثر فاعليةً، يذوب في المجتمعات فيغير تركيبها الكيميائي إلى الأفضل، مدفوعًا بشمولية الدين وتغطيته كل جوانب الحياة من أقصاها إلى أقصاها، فلا يكون متطرفًا منفرًا مكفرًا ولا هشًا تقوده شهواته ويضعف أمامها، ولكنه وسط بين هذا وذلك، بل مثالًا لما يجب أن يكون عليه أي إنسان، وذلك ليس بالأمر السهل، ولكنه من وجهة نظري نوع من الجهاد خير من أن أختار الحل الأسهل وأنطوي عن الجميع إلا من يشبهونني، وننصب حولنا سياجًا، ونضع على أنفسنا هالة الصالحين الناصحين الطالبين المغفرة والهداية لمن هم خارج هذا السياج.



obeikan.com

قطع زميل العمل السلفي السكون بسؤال..

الزميل: ما رأيك في المظاهرات التي تخرج ضد الحكام؟!!

أنا: حقيقةً ما أراه أنها حق مشروع للجميع؛ للتعبير عن آرائه ووجهة نظره، وإن كانت سلميةً دون تَعَدٍّ على أحد فلا ضرر منها، وذكرته بأن من ضمن الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله إنسانًا قال قول الحق في وجه سلطان جائر.

الزميل: نعم.. أوافق تمامًا، ولكن ذلك لا يعد قول حق في وجه سلطان جائر، فالمقصود كان إذا دعاك سلطان ظالم إلى مجلسه، فبحت له بحقيقته دون خوف أو تملق أو نفاق، وأنت تعلم تبعات كلامك وما يمكن أن ينزل بك من عذاب جراء هذا القول، ولكن أن تجمع أناسًا وتخرج لتهتف بسقوط حاكم؛ فيختلط الحابل بالنابل ويشتبك المؤيد والمعارض، وتصبح فتنةً يندس فيها من يندس ويُقتَل فيها من يُقتَل، وبسببها يقتل المسلم أخاه المسلم، فالمسلمون لا يخرجون على حكامهم حتى وإن جلدت ظهورهم، والأمثلة كثيرة؛ فعندما حكم معاوية كان هناك الكثير ممن عاشوا في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ولم يفكروا في أن يخرجوا على معاوية؛ تفاديًا للمزيد من القتلى، وحفاظًا على أرواح المسلمين ودمائهم التي علمهم وعلمنا الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنها حرام حرام، بل وصل أن يكون هدم الكعبة خيرًا من إهدار

دم مسلم، ثم مكملًا بكل ثقة: أتعلم أن أنسًا بن مالك حواري الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأحد أكبر الصحابة كان يُسب ويُضْرَب ويُسْخَر منه أيام الحجاج بن يوسف كما في الرواية، ولكنه أبدًا لم يَدْعُ الناس للخروج عليه.. يا أخي، إن درء الفتنة والبعد عنها خير من أي شيء آخر، وها أنت ترى الآن كيف شاع القتل وعم الخراب وضاع الأمن من جرّاء هذه التظاهرات...

أنا: إذن أنت لم تكن موافقًا على الثورة من الأساس؟

هو: نعم.. وعلى الرغم من الظلم الذي تعرض له الكثيرون مثلي، وممارسات الأمن القمعية معنا، وما صحب ذلك من قتل وسحل وتعذيب لمن كانوا معنا من إخوة، إلا أننا أبدًا لم نوافق على الخروج على مبارك، مكتفين بانتظار القصاص العادل من الله.

أنا: وألا تعتبر هذا الذي يحدث قصاصًا منه؟؟

هو ضاحكًا: أنا أعتبر ما يحدث قصاصًا منا نحن كشعب وليس منه هو؛ فالخراب والفوضى العارمة والحرية المطلقة والترويع والتخويف والغلاء هو ما نعانيه، والبراءة ستكون من نصيبه هو، وسينعم هو وأولاده بالمال والأمان، ونحن سنظل مفتونين ضائعين يقتل بعضنا البعض..

أنا: ما معنى الحاكم في الإسلام؟

هو: هو من تستتب له الأمور، يعني من ينجح في امتلاك زمام الجيش والشرطة والتجارة، ويأتمر الجميع بأمره يكون حاكمًا في مصر وفي الإسلام، أما دولة المؤسسات وأن يكون الرئيس بلا صلاحيات فعندنا لا تصلح؛ لأن الحاكم هو الراعي، وهو مسئولٌ عن رعيته يوم القيامة، من جاع منهم ومن أمن ومن خاف، فلا يجوز أن تحاسب شخصًا بلا صلاحيات، وأهم صلاحياته هي العدل مثلًا في يد محاكم لا سيطرة له عليها، لا يملك عزل قاضٍ فيها إذا تأكد من فساده أو قسوته.

أنا: ما قلته يا أخي يجعلني أتعجب من حزب الراية وحزب النور وما شابههما من أحزاب سياسية تحمل طابع السلفية وتشترك في المعارك السياسية والانتخابات، على الرغم من تنافي ذلك مع ما تقوله عن وجوبية تحميل الحاكم مسئوليته وإعانته على أعباء الحكم وتقويمه إذا اعوج دون الخروج عليه، ولكن سؤالي: ما الغرض من كل ذلك؟

هو: الحقيقة أنا لا أعرف ما هي وجهة نظرهم في ذلك، ولكن ما أعتقده هو أنهم يساعدون مرسي ليستتب له الحكم، ثم يتراجعون عن فكرة التحزب الذي نهانا عنه الله ورسوله، ولكن دعني أسألك ما هو تعريف الحاكم لديك؟؟

أنا وعلى وجهي علامات التفكير العميق: التعريف مختلف تمامًا؛ فأنا لا أبحث عن خليفة مثلك، لا أريد من يحوز منصب رئيس الجمهورية أن

يكون أبي أو أخي، لا يهمني إن كان مسيحيًّا أو مسلمًا أو رجلًا أو امرأةً؛ فمن يحوز هذا المنصب بالنسبة لي -أو كما حلمت به حين سقط مبارك- هو موظف بدرجة رئيس جمهورية، هو في أعلى درجة وظيفية في الدولة، له أهداف محددة وذكية، وأمامه أربع سنوات يمكن أن تمتد إلى ثماني سنوات حال اقتناع الشعب المصري بمهارة وقدرات هذا الموظف رفيع المستوى، هو بالنسبة لي ليس حامي حمى الإسلام، ولا هو أحكم الحكماء، ولا الرجل الذي لا ترد له كلمة، وليست كلماته هي المحفز، ولا و لا رأيه هو الصواب دائما هو الدفعة للأمام، أما من يتولى أمور الدولة ويفتي في أمرها هو مجلس النواب؛ لأن به من الشخصيات الكثير، وبه من التيارات الكثير، وبه فرصة العصف الذهني ومناقشه القوانين ومراقبة أداء سيادة الموظف الملقب برئيس الجمهورية وإعانته إذا طلب ومراجعته إذا أخفق، أما شيوخ الإسلام ومن يقومون بالبت في أموره فيكونون مؤسسةً مستقلةً تمامًا عن هذا الموظف الزائل، هي هيئة علماء من جميع المذاهب تحت رعاية الأزهر، هؤلاء هم من يفتون في أمور الدين وليس الرئيس، ومن يتولى تنفيذ توجهات الشعب المتمثلة في مجلس النواب وقوانينه هو مجلس الوزراء، ومهمة الشعب كله مراقبة الأداء ومقارنة ما وعد به الموظف وما تم تحقيقه والتركيز على سماع مبرراته، وإعانته على تحقيق أهدافه، وهنا ظهرت على وجه الزميل السلفي علامات الغضب، فأوقفته بيدي قائلًا:

ألا تعمل في شركة متعددة الجنسيات الآن رئيسها أمريكي ونائبه من الممكن أن يكون أجنبيًا مسيحيًّا أو يهوديًّا؟؟ إذن فما المشكلة أن يكون رئيس دولة موظفًا رفيع المستوى، ويكون كفئًا بلا أية معايير أخرى؟؟!! مم تخاف؟؟!!

هو: ألا تخاف أن يحكمنا من لا يخاف الله؛ فيظلمنا.

أنا ضاحكًا: أنسيت أن من نخرج ضدهم مسلمون، ومنهم من ينتمي لتيارات إسلامية ولكنه لا زال عاجزًا عن حكم البلاد؟! لا يزال الظلم مستشريًا، والكثير أصابهم اليأس، وأعتقد أنه في حالة اعتلاء شخص غبي ليقرر تغيير هوية مصر سيكون نصيبه ثورةً عارمةً تخلعه وتعيده لمنصبه أو تخلعه تمامًا من منصبه، لا حاجة له لأن يكون خليفةً يفتي فيما لا يعرفه، ويتحول الدين إلى كهنوت نهى عنه الله بل وحَرَّمَه.

هو ويبدو أنه قرر إنهاء المناقشة:

قدر الله ما شاء.. ربنا يعيننا ويكرمنا بمن يرأسنا ويطبق شرع الله كما كان السلف الصالح يفعلون؛ ليعم الخير علينا جميعًا.

كانت هذه كلمات الزميل الذي لم يرد أن يدخل في مراء لا طائل منه، وفَضَّلَ أن يكون ممن بشرهم الرسول (عليه الصلاة والسلام) بمقابلته عند باب المراء لمن ترك النقاش ولو كان على حق..

خَيَّمَ الصمت مرةً أخرى حتى أتى المكان الذي يرغب صديقي في أن ينزل فيه، وبأدبٍ جم وأخلاقٍ عالية شكرني وطلب مني أن نتناقش كثيرًا؛ فقد استمتع بالنقاش معي..

أكملت الطريق وحيدًا أفكر وقد تملكتني الحيرة: أحقًا أنا المخطئ؟! تُرَى.. من فينا على حق ومن فينا على ضلال؟؟!!، تفكرت قليلًا واستعدت أيام الثورة وما حدث بعدها، وعرفت أن الخروج على الحاكم -وإن كان ظالمًا مكروهًا- فمن قتلوا في الهرج والمرج كُثُر، ولا أستطيع أن أُحمل أحدًا ذنبهم ودماءهم؛ لأن السيطرة على هذا العدد الغفير الذي كان في معظم الأحيان يخرج بلا هدف تحركه حادثة أو فعل صغير لم يقتل فيه أحد؛ فتتحول إلى مجزرة يندس فيها من يقتل بلا رحمة؛ فتعم الفتنة ويزداد الشقاق والتخوين.

حقًا لم تجلب لنا هذه المظاهرات إلا الضرر، ولا أذكر لها منفعةً واحدةً من بعد سقوط مبارك، حتى إنها لم تكن قول حق في وجه سلطان جائر؛ فلم يكن هناك جائر، ولكنها كلها كانت تحركات تحدث كرد فعل لفعل حدث في مظاهرة خرجت بلا سبب، فعلًا إنها الفتنة، وفي نفس الوقت.. أكان يجب أن نصمت وننتظر ونصبر ونحتسب؟؟!! إنها حقًا إجابة صعبة.

مناقشتي مع زميلي أجابت لي سؤالًا طالما سألته بلا إجابة، واليوم عرفت ما هي مشكلة من يدعون أنفسهم بالإسلاميين، لو أن كلهم مثل زميلي

هـذا؛ إذًا فيجـب أن ننتظـر ضـعفًا شـديدًا للتواجـد الإسـلامي ومفـاهيم خاطئة؛ فهؤلاء الشباب لا يعرفون أن الإسلام هو أسلوب حياة بني على الإبهار في القدم، الإبهار الذي يشعر به من يرى المسلم يتعامل ويعيش فيرغب في أن يكون مثله؛ فيسمع منه فيدخل الاسلام إعجابًا بأحكامه النافذة وأولوياته التي تهتم بتغيير جوهر الإنسان، والإقناع الذي كان منبعه إيمان راسخ بأن ما أُمر به المسلم وما فهمه من النص القرآني والأحاديث هو ما يجب فعله، يجب أن يفهم زميلي أنه لا يجب أن ينطوي، ولكنه يجب أن يهاجم ويذوب في مجتمعات المخالفين يناقشهم ويغير معلوماتهم ويتبادل معهم الأفكار؛ فيتطور فكره وعقله، ويصبح مع أساسه المتين الإنسان المسلم القويم الصحيح الذي نرغب فيه، أن يبني المجتمع ويغيره من مجتمع يتحرش ويسرق وينصب إلى مجتمع سوي يقدر قيمة العمل والأمانة والإخلاص، وعندها فقط لن نهتم بمن يحكمنا وديانته وكنيته وحكمته ....".

obeikan.com

# بوتي ترينج (potty training)

**مشهد** يطاردني من الماضي، وأصوات متداخلة مشوشة تدور في رأسي المتعب المرهق من اللحاق بركب الحياة الذي أصبح أسرع مما تحتمله أجهزتنا العصبية. المشهد أشعر فيه بالبرد وأمي تجري نحوي وعلى وجهها الأسى والحزن، وفي الخلفية صوت لا أتذكره، ربما

obeikan.com

جدتي أو خالتي تهمس "لا توبخيه". وأمي ترفعني مسرعةً إلى الحمام وأنا أبكي من البرد، وأمي تحدثني: هو انت كدة دايمًا متأخر، لما تحس إنك عاوز قول من قبلها أو روح للحمام وشاور عليه.

ظللت هكذا معذبًا البيت كله، حتى شاء الله السميع العليم وقلعت الكفولة (كان على أيامنا مفيش بامبرز)، وأصبحت رجلًا مستقلًا أذهب إلى الحمام ولا تبتل ملابسي. فالسيطرة على هذا الشيء كانت من أهم أولوياتي؛ منعًا للإحراج في المدرسة، واتقاءً لنظرات الغضب من الدادات، ودموع الندم والجميع ينظرون إليك وأنت محمول على أكتاف الدادة متجهًا إلى المصير المجهول، والتهزيق من المدرسين والمدرسات، ثم غالبًا التهزيق من الأم في البيت.

كل ذلك جعلني أضع كل جهدي وتركيزي لكي لا يغلبني الوقت، وأحسبها صح قبل قرار دخول الحمام خاصةً في المدرسة؛ حيث يجب أن تستأذن أولًا من المُدَرِّسَة، والحمد لله بقى توقيتي مناسب لحد كبير..

مرت الأيام وبقي الوقت والتوقيت والتحكم فيهم هو شغلي الشاغل، ولكن -سبحان الله- كل وقت وله مشاغله ومعاناته؛ فتوقيت طلب الحمام تدرج لتوقيت المذاكرة والحفظ والفهم والمراجعة، وكنت في ذلك أخيب خلق الله، أذاكر في آخر لحظة رغم علمي بأن الوقت يسرقني، ولكني كنت أُميت ضميري وأستمر في اللعب حتى يمر الوقت ويصبح

مستحيلًا أن أفعل شيئًا جيدًا، ولكن -والحمد لله- كنت أنجح دائمًا نجاحًا عادلًا على قدر مذاكرتي، ورغم علمي بأن كل ما أحتاجه هو تنظيم التوقيت، ولكن بقي شيطاني يلهمني القدرة على قتل ضميري والاستمرار في طريق الهلاك، مع علمي بأن الوقت سيقطعني بسيفه الذي لا يرحم.

مرت الأيام واستفحل ذلك الشيء معي، وأصبحت توقيتاتي هي أكبر مشاكل حياتي، حتى في حياتي العاطفية التي تأثرت كثيرًا بسوء التوقيت؛ فكنت دائمًا أصارح مَنْ تعجبني بعد أن يكون غيري سبقني، وأتحسر أنا على وضع وضعت نفسي فيه، حتى الصلاة -ورغم محاولات أهلي- بقيت أصليها في آخر لحظة قبل الآذان، وكنت محظوظًا أنني من الإسكندرية، والأذان في التليفزيون دائمًا يأتي قبل الأذان في الإسكندرية.. أضعت فرصًا بالجملة، فتيات جميلات، ثم خطوبة أتأخر في طلبها فيسبقني غيري، كلها لها علاقة بالوقت والتوقيت...

سوء التوقيت جعل حياتي مأساةً كبيرةً، خاصةً أنه يضعك أمام المتاح بعد أن ضاعت كل الفرص أمامك الواحدة تلو الأخرى، وأنت لا تكترث منتظرًا متمنيًا، لا تهتم ولا تتعلم، وذلك ما جعل حياتي تعيسةً بعض الشيء وغير مرضية؛ فأنا لا أعمل في مهنة أحبها، ولم أكن أدرس الدراسة التي أحبها، ولم أحب فتاةً من قبل كشاب، ولم أتزوج بالطبع

حتى الآن؛ لأنني أضعت من الفرص ما جعل الاختيارات محدودةً بل ومستحيلة القبول. تذكرت كل هذا وأنا أقف أمام ورقة الانتخابات، ولا أجد أمامي غير اسم واحد كاختيار وحيد لا ثاني له، وتذكرت أيامًا مضت كانت أمامنا كبلد وكشعب اختيارات عدة أضعناها وبإرادتنا دون النظر للوقت الضائع، وكأننا نضمن الغد والمستقبل..

رفعت عيني ونظرت إلى القلم، وقررت ألا أختار هذه المرة، ووجدت أن اللااختيار أحيانًا يكون أفضل من اختيار مَنْ لا يصلح، وأغلقت القلم وأعدته لجيبي، ووضعت الورقة فارغةً في الصندوق، وخرجت مسرعًا هاربًا واثقًا من أننا كجيل أضعنا وطننا، والسبب في ذلك يعود إلى ضعف الأساس من بداية حياتنا؛ حتى وصلنا إلى ما نحن فيه الآن....



obeikan.com

# أمشير

يوم من أيام أمشير البارد الساخن الغير متوقع، خرجت أتريض كعادتي في الصباح أستنشق هواء الصبح العليل المفيد لمن هم في سني، يفتح آفاق رئتي وينشط عقلي، الغيوم التي توحي ببرودة الجو لم تكن معبرةً عن الدفء الذي كان مسيطرًا على المناخ، مع احتمال سقوط أمطار من السحب الكثيفة التي تغطي البحر في لونٍ رمادي وإعجاز مناخي يمتاز به أمشير.

عادة اعتدت عليها منذ فترة طويلة؛ فكوني من أهل الإسكندرية تربيت فيها وترعرعت، يجعلني ذلك أعشق هواء البحر ونسيمه العليل الذي يخترق الجهاز التنفسي كانسًا كل مسببات الضيق، فاتحًا الطريق أمام انتعاش وطاقة لا تشعر بها مع أي هواء آخر، حتى مع وجود المنغصات المرورية كالكلاكسات والخناقات والاحتجاجات والملوثات التي شوهت صنع الله البارع، ولكنه بقي خير علاج لعلل القلق، وخير منفس لضغوطات الحياة التي أصبحت تطبق على الأنفاس والشعور، وتقتل الرحمة والود، وتقطع أوصال الرحم والبر..

ظللت أنظر وأنا أسير إلى فراغ البحر ورزاز أمواجه العاتية، وانعكاس لون السماء على صفحته النقية، وكأنني منعزل عن الكون حولي أستنشق أنفاسي، وكأنني أعود للحياة مرةً أخرى من غيبوبة قاتلة وضعتني فيها صدمتي الشديدة فيما حدث في الأسبوع الماضي، لم أكن أتخيل أبدًا أن يأتي يوم يقع فيه بيتي الهادئ على خط نيران الخلاف؛ فمنذ أن تزوجت أنا وزوجتي الحبيبة نبتعد عما يعكر صفو العلاقة بيننا، يحترم كل منا رغبات الآخر، ونجاهد سويًا لاحتمال الاختلاف بيننا لتسير الحياة، حتى رزقنا الله ببناتنا، ودائمًا نتفادى الخلاف، ويسمع بعضنا البعض، ويغلفنا الاحترام.

ومع تقدم البنات في السن، ودخولهم معترك الحياة، وخوضهم المعارك الحياتية، كنت دائمًا مع زوجتي نساندهم وندعمهم ونبني ثقتهم في أنفسهم ونثق في اختياراتهم ونؤيدها، حتى وإن لم تكن هي ما نريد، مشوار طويل وليال قضيتها وزوجتي نستمتع ببناتنا، نحلم بيوم زواجهن ونجاحهن، وندفع الأيام دفعًا لهذا اليوم باذلين كل نفيس وغالٍ لأجلهما دون شكوى أو ضجر، ولم يخيب رجاءنا الله العلي القدير، وكبرت البنات صالحاتٍ متفوقاتٍ محترماتٍ كما ينبغي للولد الصالح أن يكون، وكبرنا معهما، واشتعل الرأس شيبًا، وظننت أنا وزوجتي أن الشمس تميل للمغيب في ساعة عصاري العمر، حيث النسيم العليل والراحة قبل الغروب والرحيل حتى أمس، وبالتحديد من ستة أشهر، أيقنت أن شمس حياتي تأبى أن تترك كبد سماء الأحداث؛ فالقيظ والحر مستمران يعكران صفو الحياة الهادئة النموذجية، في امتحان صعب لم أكن أتوقعه..

تقدم لخطبة ابنتي منذ عامين شاب جميل محترم، أعرفه منذ زمن وأعرف عائلته، شاب طموح ميسور الحال متدين، وفوق كل ذلك يحبني ويحب ابنتي، يعمل في نفس مجال أعمالي؛ فاتخذته ولدًا لي يساعدني ويشاركني؛ تمهيدًا ليأخذ زمام الأمور ويكمل المسيرة، تزوج ابنتي واندمج في العائلة ابنًا بارًا فيه كل الصفات الحسنة، له مواقف سياسية

محترمة عاقلة، ورأيه في الأحداث دائمًا كان عقلانيًا متفتحًا، حتى وإن اختلفت معه لكنك في النهاية تحترمه وتقدره وتفكر في رأيه.

بعد ثورة يناير وما واجهه مع والده من عثرات في العمل لكنه ظل محتملًا في سبيل تجربة حلم بها وبلد رفض أن يتركها ويرحل كما فعل غيره وظل فعلًا -وبجلد شديد- محتملًا الظروف الصعبة ووقف الحال، مبتكرًا طرقًا للعمل، رافضًا أن يحمل مسئولية ما يحدث للثورة وشبابها، ولكن لمن يحاولون توجيه دفة هذا إلى ما فيه مصالحهم الشخصية، كان خاطبًا ابنتي يوم رأيته يرقص فرحًا بأول رئيس منتخب، رغم كونه من عاصري الليمون، ولكنه فرح بأول انتخابات شرسة على منصب رفيع ووظيفة مرموقة، رأى فيها الديمقراطية والسياسة يمكن لأول مرة في حياته القصيرة؛ مما شجعه على إتمام الزواج من ابنتي تفاؤلًا منه بالحياة الجديدة، ولرغبته الشديدة في العمل الجاد القوي لكي تنجح التجربة ويستمر الحال، ثم رأيته حزينًا شاردًا مما يحدث لا يعرف ولا يستوعب ما الذي جرى، ولم لا ينخرط الناس في طابور البناء تاركين التجربة تسير بإخلاص وحب ووطنية.

استمر زوج ابنتي الحبيبة -ونحن معه- نعاني من حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل، نخسر أموالًا ونسقط، ونقف وزوج ابنتي متفائلين بفرج الله القريب عندما تكتمل مؤسسات الدولة، وتصبح آليات محاسبة الجميع

معروفةً والعدالة ناجزةً؛ مما يجعل الحرية الموجودة نقطةً مضيئةً في الاقتصاد تعكس استقرار البلد، كان زوج ابنتي دائم الحديث عن الغد، حتى والحالة تزداد سوءًا يومًا بعد يوم.

منذ فترة، وتحديدًا قبل ٣٠ يونيو بأيام، تقدم لخطبة ابنتي الصغرى زميل لها، فتى ممتاز من عائلة محترمة، ميسور الحال جدًا ويحب ابنتي، لم أشعر بأنه ابني كما شعرت مع زوج ابنتي الكبرى، ولكنه كان شابًا طموحًا لطيفًا، وافقت على الخطبة؛ فلا يوجد سبب للرفض، تَعَرَّفَ العريس على العائلة، وتمت الخطبة في جَوٍّ أُسَرِيٍّ بهيج وسعادة كبيرة من الجميع؛ لقرب نزول الحمل الثقيل من على أكتافنا أنا وزوجتي..

لم تمر إلا أيام حتى أتى ٣٠ يونيو، وخرج الناس معبرين عن سخطهم من حكم لم يجدوا فيه ضالتهم، تعبوا وتعب أبناؤهم وعائلاتهم وضاعت خيالاتهم في حرب ضروس، وكلمات تتطاير في كل مكان وأفعال لا تفسير لها.

العدد كان كبيرًا وتم تضخيمه، وبدأت بوادر الخلاف؛ فزوج ابنتي يرى ما يحدث عبثًا، وآلية عزل ومحاسبة الرئيس لا تكون بالنزول إلى الشارع ووقف حال الناس، ولماذا نهدم التجربة؟! أما خطيب ابنتي فيرى أن هؤلاء خونة، مكانهم في مزبلة التاريخ، ولا يجب حتى التعاطف معهم، وكان النقاش عاليًا، وكل منهم غاضب ثائر.



obeikan.com

استمرت الأوضاع ساخنةً، وأُعْلِنَ اختفاء مرسي وخارطة المستقبل، وتم قلب الدنيا، واشترك الكثيرون في اجتماع عزل مرسي الرئيس المنتخب، وغضب زوج ابنتي غضبًا شديدًا، وظل يلعن النخبة الخائبة التي أعماها كره فصيل عن حب الوطن، وظل ينتقد الوضع، وتعمد خطيب ابنتي الأخرى أن يبدي إعجابه بالجيش القوي ورجاله المخلصين وقادته العظام، وكان ذلك كفيلًا بأن يثور الأول عليه ويُذَكِّرَه بما فعله المجلس العسكري في المصريين، وبأنهم كانوا السبب في معظم ما حدث في مصر، وكان يفقد أعصابه والآخر يرد عليه.

مع تطور الأحداث واعتصام رابعة، وما كان فيه من خطب شديدة التخلف، وما فيه من تجمع مريب وإشاعات وأخبار متعددة، بدأ خطيب ابنتي في نعت من هناك بالمغيبين؛ فكان زوج ابنتي يثور ويطالبه بالاعتذار؛ لأن هناك أصدقاء يعتز بهم هناك، ويدور سجال عنيف يزداد كل يوم، وما كان يريعنا أن ابنتيَّ أصبحتا طرفًا، كلٌ منهما يأخذ طرف حبيبه، ثم جاء فض رابعة، وقُضِيَ على البقية الباقية، وكاد آخر نقاش بينهما أن يمتد إلى الضرب، وانفصلا تمامًا، إذا تقابلا لا يسلمان على بعضهما؛ فالأول يتهم الثاني بأنه مفوض لقاتل قتل أصحابًا وأناسًا يعرفهم، وأنه منتفع من النظام الجديد، وأنه ليس اختيارًا جيدًا ولا يجب أن نأمنه على ابنتنا؛ فدخلت ابنتي الصغيرة في الحوار، وتطاولت

obeikan.com

عليه بالألفاظ متهمةً إياه بالإرهابي والخروف، ولم تصمت إلا بعد أن اضطررت إلى أن أصفعها على وجهها.

وهنا خرج زوج ابنتي ودخلت ابنتي الصغيرة الغرفة ومعها زوجتي تنظر لي شذرًا، وابنتي الكبرى ذهبت مع زوجها، وبقيت أنا وحيدًا أتعس بني آدم في الوجود؛ فلقد تمزقت عائلتي وتقريبًا صرت وحيدًا، لم يكتفوا بذلك؛ فقد طلب زوج ابنتي أن يتخارج من الشركة، قائلًا إنه سيسافر للخارج، وطلبت ابنتي الصغرى نصيبها من مصنعي أموالًا؛ لأنها لا تأمن على نفسها من زوج أخت إرهابي متخلف لن يعطيها حقها، وقفت حزينًا أرى نفسي وبناتي يَرِثْنَنِي وأنا حيّ.

ظلت ابنتي الكبرى تأتي لتزورني وفي عينيها حزن شديد، وأختها الصغرى لا تكلمني، وتضغط عَلَيَّ بأن تتزوج في أقرب فرصة، ولا مجال لمصالحتها، ولا جدوى حتى من محاولة استمالة خطيبها الذي كان يتعامل معنا بصلف وعجرفة شديدة، والغريب والمحزن أن ابنتنا لم يضايقها ذلك، بل شاركت فيه..

تمر الأيام وتزداد الفرقة، ويزداد الغضب ويزداد الشعور بالاختناق مما حدث لعائلة تعبت في بنائها وظننت البناء قويًّا، فما لبث أن طار مع أول عاصفة وكأنه ورق شجر في الخريف، ظللت أحاول وأحاول أن ألم شتات البيت، مكتشفًا أن جمع أنقاض بيت أصعب كثيرًا من بنائه منذ

البداية، ظللت أفكر في طريقة مثلى لجمع الشتات، فقابلت زوج ابنتي وحاولت معه شارحًا له أنه الأخ والأب بعد موتي للجميع، كنت صادقًا وأنا أحكي له ما شعرت به حين رأيته أول مرة، وكيف اعتبرته ابنًا لي شارحًا له أسباب رفضي أن يرثني الجميع حيًا، راجيًا منه أن يرأف بحال رجل مجبر على أن يرى بيته يُهدم، ومصنعه وحلمه يُهدم، والهادم للأسف هم بناته وأزواجهما.

كنت أعرف أنه سيلين؛ فقد عرفته رجلًا محترمًا قويًا قادرًا على التكيف والسيطرة على غضبه ونفسه، وبالنسبة للآخر أحضرت ابنتي واعتذرت لها، وأنهيت الموضوع معها، ثم ذَكَّرْتُها بأن احترام أهل زوجها لنا هو من احترامهم لها، واقتنعت وطلبت من خطيبها وأهله أن يتعاملوا معي ومع أمها بما يليق وإلا فستفسخ الخطبة، ووجهت رسالةً شديدة اللهجة إلى خطيبها بأن عليه احترام أهلها، وكانت الأمور تسير على ما يرام حتى بقي أن يتقابل أزواج المستقبل مع بعضهم، وحدث ذلك، ولكن لم يستطيعا احتمال حتى وجود بعضهما، وانطلق خطيب ابنتي ينعت الإخوان ومن يواليهم بالتخلف، وصبر زوج ابنتي بعد أن نظر لي، ثم قام معتذرًا بأنه لا يستطيع استكمال الحوار وشكرني وذهب.

اتفقت مع خطيب ابنتي وأهله على أن يتم الزواج، ولم نختلف على أي شيء، وحين فتح الولد موضوع زوج ابنتي أغلقت الموضوع بلباقة،

وبعثت لـه رسـائل خفيةً دون زعـل بـألا يحـاول مقارنـة نفسـه بأحـد، وأن يكـون إنسـانًا مسـتقلًا بذاتـه حتى لا يخسـر الكثير، مؤكـدًا أنني أحـب الجميع.

قبـل زفـاف ابنتي بأيـام، وجـدت زوجتي وابنتي الكبرى يبكيـان، وعنـد السـؤال عرفـت منهمـا أن خطيـب ابنتي طلـب منهـا ألا يـأتي زوج ابنتي الحفـل؛ لأنـه شـخص غير مرغـوب فيـه، والوضـع صـعب؛ لأن ابنتي لـن تحضر دون زوجهـا، ولا ترغب في أن تترك اختهـا الوحيدة في يوم زفافهـا، وعنـدها ازداد حنقي وغضبي، وكرهـت كل الأطراف التي لعبت بشـعب عظيم وقسـمته، واسـتفادت هي وحدها بكل شيء، وخسـر الشـعب الـذي لا يـزال محـتملًا الزحـام والغـلاء والفوضـى والزبالـة والجهـل والآن الانقسـام؛ حتى يسـتفيد كُلُّ من لـه أطمـاع، وكل مَنْ لـه مصلحة، وهنـا قررت أنني لـن أترك بيتي هكـذا تجرفـه ريـاح الانقسـام وتموت فيـه زهـور الحب، وألا أكون راعيًا فاشلًا. كيف أقف أمام ربي؟؟ وماذا أقول له يوم السـؤال والحسـاب؟؟ جمعـت أسـرتي، وأعلنـت مـا أنتـوي فعلـه، ووافقني الجميع دون صوت واحد معارض..

أتى يوم زفـاف ابنتي الصغرى، القاعة جميلة وكل شيء منسق في مكانه، والجميع ينتظر العروس الجميلة لتظهر ليتسلمها عريسها ويذهب بها إلى بيته ليبنيا أسرةً، وأنـا أتأمل الوضع تمنيت ودعـوت الله أن يجعل حظ

ابنتي في عائلتها خيرًا مني، وأتت لحظة الأكشن، وهي اللحظة التي سأسلم فيها ابنتي الصغري إلى عريسها، والجميع يبحث عني، وإذ بالمفاجأة أن الواقف جنب ابنتي هو زوج أختها وأختها، والعريس مذهول لا يعرف ماذا يحدث.

رأفت بحاله؛ فهي لحظة صعبة يفاضل فيها بين الكثير والكثير، وبين عروس يحبها وتحبه ورسالة تبعثها عروسه مفادها أن لها عائلة تحبها ولن تستغني عنها مهما حدث، وهو عليه أن يختار، ولكن كما حسبت وتوقعت تقدم ومد يده مصافحًا عديله بقوة، وتقدم الآخر وقَبَّلَه وأعطاه هديةً قَيِّمَةً متمنيًا له التوفيق، واستمر الفرح والجميع سعداء، ولكن كنت أنا وزوجتي أسعدهم؛ لأن اليوم تبني ابنتنا بيتها، ونجحنا نحن أن نبقي الأسرة موحدةً متماسكةً بعيدًا عن عاصفة لا ناقة لنا فيها ولا جمل..

ظهرت الشمس من خلف السحاب، وتَغَيَّرَ الجو إلى حر كعادة أمشير الذي يتغير فيه المناخ كما يتغير حال الإنسان، وظللت أتريض محتفلًا بنجاحي، متمنيًّا أن يبعد الله عن عائلتي وبيتي وبلدي رياح الفرقة والجهل، وأن تظهر الشمس الدافئة من خلف سحب الظلام؛ لتنير الدنيا وتدلنا على الطريق الصحيح ....".



obeikan.com

# أحلام اليقظة

**وصلت** إلى مكان الحفل كما وصفه لي صديقي العزيز صديق الجامعة ورفيق الكفاح: فاليوم خطبته على فتاة تعرف عليها في ظروف غامضة، وتطورت علاقتهما سريعًا إلى الخطوبة والارتباط. دخلت إلى منزل خطيبة صديقي الجميل المنظم الذي يوحي بأن أصحابه من ميسوري الحال، وشدني ذوقه الجميل الرقيق، كما

شدتني كثرة الصور الفوتوغرافية على حوائط المنزل، والتي تظهر فيها العائلة كلها في أماكن مختلفة ومتنوعة؛ مما زاد يقيني بأن خطيبة صديقي ميسورة الحال، ومن شكل العائلة يظهر عليهم الاحترام والأصل الطيب.

ما شد انتباهي هو التوزيع الغريب للعائلة؛ فالصور تظهر فيها العروس مع سيدتين مختلفتين ورجل واحد، وهناك صورة لها مع رجل آخر، كما شد انتباهي أن الاسم المكتوب على باب الشقة مختلف عن اسمها الكامل، الغريب أن أقرب صورة لها مع العائلة كانت مع أختين لا تشبهانها، حتى إنني لم أشعر بأنهما أختاها، وأخان واحدًا منهما يشبهها والآخر لا ، وكانت هناك سيدتان تشبهان البنات والأولاد كثيرًا، واحدة تشبه البنتين، والأخرى تشبه العروس شبهًا كبيرًا، ولكن القاسم المشترك هو الرجل، والذي أعرف أنه توفاه الله منذ فترة قصيرة. ظللت حائرًا أفكر وأنا أتابع الحفل سعيدًا؛ لأن صديقي العزيز يتزوج ويرتبط بمن يحب، لاحظت أن أخوات العروس الذكور و الإناث على وجوههم غبطة وفرح من القلب، يرقصون ويضحكون ويقبلون العروس، كما تعجبت حين رأيت السيدتين ترحبان بالمعازيم وتهامسان ضاحكتين.

تعجبت وزادت حيرتي؛ تُرَى ما هي قصة هذه العائلة؟! ومن هو الرجل؟! ظللت أنتظر الحفل لينتهي فأسأل صديقي عن عائلة زوجته المستقبلية. خرجت من الحفل وصورة العائلة لا تفارق خيالي، وآلاف من الأسئلة تدور في رأسي دون إجابة...

قررت أن أعزم صديقي العزيز وخطيبته على العشاء احتفالًا بهم، ورغبةً مني في التعرف على زوجة صديقي المستقبلية، والتي نجحت باقتدار في أن تحوز قلبه وعقله، ويختارها شريكةً لحياته. والسبب الآخر الخفي هو أنني أرغب في معرفة هذه العائلة الغريبة، وأسمع القصة وأجد إجابات لأسئلتي، عندما سألت صديقي ابتسم مجيبًا إن أفضل واحدة تسرد لك الحكاية هي خطيبته نفسها، وما زاد فضولي هو أنه قال لي مبتسمًا إن ما سأسمعه أقرب إلى الخيال.....

وصل صديقي وخطيبته الجميلة الرشيقة الأنيقة المحترمة المحتشمة، وعلى وجهها ابتسامة عريضة تشبه كثيرًا واحدة من السيدتين اللتين كانتا في الحفل، مما يرجح أنها أمها.

جلسنا نتجاذب أطراف الحديث ونتحدث عن أمور الدنيا ونضحك، وفجأة أخبر صديقي خطيبته بحيرتي وأسئلتي عن عائلتها، وقال لها ما قاله لي: إنها أفضل مَنْ يسرد ذلك، فابتسمت بعد أن بدا على وجهها



obeikan.com

وجـوم وكأنهـا تتـذكر، ثـم بـدأت في السـرد وأنـا وصـديقي كلنـا آذان مصغية....

تعود هذه الحكاية إلى أكثر من خمسة عشر عامًا، وتحديدًا حين كانت العائلـة المكونـة منهـا وأختهـا ووالـدتها ووالـدها تعـيش في إحـدى دول الخليج، الأب يعمل والأم تعمل، كانت بين الأب والأم قصة حب انتهت بالزواج والكفاح والغربة والقرش على القرش ليفعلا شيئًا مفيدًا.

كانت أمها تعمل في شركة جيدة بمرتب كبير، والأب كذلك أيضًا، وكانت الحياة تسير على وتيرة جيدة، مرت سنوات على هذا المنوال والحياة قائمة على الأب والأم معًا؛ فأمها تضع مرتبها في البيت، كما يفعل الأب بلا ضغينة؛ فالحب الذي كان يجمعهما كان أقوى من وساوس الشيطان نفسه، وأقوى من عائلة الأب التي كانت تكره الأم، وأقوى من أي غربة؛ فلم تُسْمَع الأم أبدًا تندب حظها -برغم جمالها ورغم أنها كانت صغيرةً حين تزوجت- على أنها اختارت الأب، ولكنها دائمًا كانت تتحدث عن الحب الذي تحبه لرجل استحوذ على قلبها وعقلها؛ فأصبحت تعيش من أجل إسعاده.

مرت عشر سنوات على الزواج، وكان هذا حال الأسرة السعيدة، كانت الخطيبة عمرها تسع سنوات، وأختها عمرها سبع سنوات حين حدثت

فاجعة رجت هذه الأسرة؛ فقد تُوُفِّيَ الأب في حادث سيارة، وانقلبت الأسرة رأسًا على عقب، وفتك الحزن والصدمة بالأم الصغيرة الجميلة والبنتين، وكان ذلك في أثناء العام الدراسي، ولم ترض الأم بأن تضيع على بناتها السنة الدراسية، كما أنها كانت تعمل بمرتب مُجْزٍ، حينها دارت في رأس الأم آلاف الأسئلة بلا جواب، ولكنها قررت أن تستمر في عملها حتى تنهي العام الدراسي ثم ترى ماذا ستفعل في حياتها....

في نفس تلك الفترة كانت هناك عائلة أخرى تعيش في نفس البلد، مكونة من رجل شاب وزوجته، له بنت واحدة تقريبًا، الرجل كان في عمر أم الخطيبة، كان هذا الرجل مقتدرًا، يعمل مع أم الخطيبة في نفس الشركة، إنسان طموح عاقل متدين لذيذ، يساعد الناس ويقف بجانبهم بلا هدف ولا مطلب.

بعد أن مات الأب كان يرسل زوجته كثيرًا تطمئن على الأسرة المكلومة وتعرض المساعدة، وكان هو حين يقابل الأم في الشركة يحاول أن يساعدها ويطمئن على أحوالها وأحوال أطفالها عارضًا المساعدة دائمًا، لم تكن الحياة سهلةً على الأم المكلومة في مجتمع صعب وحياة صعبة، مرت الحياة على العائلة مُحْتَمَلَةً حتى اعترضها حادث بسيط، تعرضت له الأم حين ضايقها أحد الجيران وتعرض لها، وحين نهرته اشتكى لحارس العقار بأنها أرملة في عمارة عائلات، وذلك مخالف للعقد.

كان الأمر صعبًا على الأم واليتيمتين أن يعيشوا تحت هذا الضغط، عرف زميل الأم القصة، وحاول مع البواب والجيران محاولاتٍ كثيرةً، وأَثَّرَ في نفسه أن الزملاء في الشركة أيضًا يتلاسنون على السيدة التي وضعها الله في اختبار صعب لأنها أصبحت بلا رجل يحميها، فكان ينهرهم حين يسمعهم يتلاسنون عليها.

حينها فكرت الأم في العودة إلى مصر، ورغم صعوبة الأمر على أمها ومعاشها الصغير، وغلاء المدارس والحياة، إلا إنها فكرت جيدًا في أن تعود أدراجها تواجه البلاء وتحتمله، على الرغم من أن ما كانت تواجهه من سوء أخلاق ومضايقات لا يعد شيئًا أمام ما قد تراه في مصر، ولكنه ظل حلًا أخيرًا لمشكلتها وحياتها الصعبة......

تنهدت عندها خطيبة صديقي والتي بدا عليها التأثر، وابتسمت حين رأتني أنا وصديقي مركزين نستمع بانتباه، واستأذنتنا في أن ترشف رشفةً من الليمون فضحكنا حين قالت: فاصل قصير ونعود.

رشفت خطيبة صديقي الليمون وسرحت بعيدًا تنبش عن القصة وتستعد لتسرد، ربما لأنها لا تعرفني جيدًا تمنتج القصة وتحذف ما قد تراه محرجًا أو غير ضروري، ولكن بدا من الصمت أنني وصديقي

وخطيبته في وضع استعداد لسماع باقي القصة، والتي شعرت بأن صديقي يسمعها بلهفة كأنها أول مرة.

أكملت خطيبة صديقي القصة بأنها ووالدتها وأختها مررن بظروف صعبة، كان وقتًا عصيبًا على الأسرة الصغيرة أن تتحمل مضايقات واستفزازات السكان ومالك الشقة الذي هدد الأم بأنه سيطردها؛ لأن المستأجر مات، وهذا العقد لا يُوَرَّث، وما زاد الطين بلة وعَقَّدَ الأمور أن الأم حين قررت العودة لمصر وجدت أنه من المستحيل أن تلاحق على مصاريف أولادها، ولن تضمن أن تُعَيِّشَهُم في المستوى المطلوب، كما نصحها الجميع بأنها صغيرة وعندها بنتان، ومصر بلد صعبة.

كانت الأم تقضي ليلها تبكي حائرةً لا تعرف ماذا تفعل، ضاقت بها السبل حتى اقتربت من أن تختنق بها تمامًا ويقضي عليها اليأس والتعب، كانت الأم تنام وهي تبكي وتحتضن بناتها ولا تدري ماذا يحدث غدًا.

في ظِلِّ كل هذا ظَلَّ زميلها في العمل وزوجته يساعدانها بكل ود وحب، ودون أسباب واضحة غير الإنسانية والشهامة، كان الرجل يعرض دائمًا المساعدة، ويصد عن الأرملة السوء بكل قوة وبلا كلل أو ملل، وظلت زوجته تراعي البنات وتعاملهم برفق وود.

اتفقت الأم مع أخيها الذي كان يعمل في دولة مجاورة على أن تنهي البنتان عامهن الدراسي، ثم تعود العائلة إلى مصر، ولكن ما لمسته الأم من كلام أخيها أن الحالة صعبة في مصر، وأن البيت ضيق والمصاريف لن يحتملها معاش الجدة الصغير، كما أنه نبهها إلى أن عائلة الأب لا تعبأ بأولادها؛ فقد كان أبواه كبيرين وهو المتكفل بهما، بالإضافة إلى أنهم يكرهون زوجة ابنهم، ويعلقون عليها ذنب السفر والغربة وبُعد ابنهم عنهم؛ مما زاد من المسافات بدلًا من تقريبها.

ظلت الحياة على هذه الوتيرة تضيق حلقاتها على العائلة الصغيرة المكلومة، وظل الرجل زميل الأم يساعدها بكل تفانٍ وإخلاص ويصد عنها الكثير، حتى أتى يوم طلب أن يقابلها في الشركة، وطلب منها أن يتقابلا بعد العمل، ظنت الأم أنه سيعرض عليها المساعدة أو شيئًا من هذا القبيل، ولكنه فاجأها بعرض أغرب، فاجأها بطلب الزواج.

تركته الأم باكيةً وعادت إلى المنزل، ودخلت غرفتها وظلت تبكي، لم يلاحقها، ولم يتوقف عن مساعدتها، ورغم ذلك ظن الجميع به الظنون، الخال والجدة والأصدقاء، ظنوا أنه إنسان فلاتي يستغل الظروف، وأنه شخص دحلاب وكداب، وحذرها الجميع من أن تقبل مساعدته، وإلا ستكون خَرَّابة بيوت، ظل الرجل يساعدها عن بعد كما كان يفعل، وظلت هي تفكر وتفكر، حتى أتى يوم دق جرس الباب، وكانت الشرطة

تبلغها بإنذار ترك الشقة، وعندها انهارت الأم، ولم تجد غير زميلها الشهم لتستنجد به، وبالفعل أتى، وطلب مهلةً على ضمانته الشخصية للسيدة لتترك الشقة، ووافق صاحب البناية، وما جعل الأم تفكر بجدية في عرضه هو أنه تعهد لها أن تكون زوجته فقط على الورق، وأنه يفعل ذلك لحمايتها فقط دون غرض، وأنه سيعطيها حريتها حين تريد، ولكن ما طلبه منها فقط أن تُعْلِمَه بمكان تحركاتها، وأن تستأذن منه قبل فعل أي شيء، وتركها تفكر وذهب.

تشاورت الأم مع الخال والجدة، واللذان وافقا دون تفكير، وأتى الخال إلى البلد في زيارة سريعة ليقابل صهره المنتظر، وكانت الأسئلة تدور في رأس الجميع: ما هو الدافع خلف هذه الزيجة؟؟؟! تَعَرَّف الخال على زوج الأم الجديد ووافق على الزيجة التي تمت في نفس اليوم في المسجد، وتم تسجيلها وإشهارها، وبعدها مباشرةً استأجر زوج الأم الشقة باسمه واستوفى الأوراق.

كان يأتي كل يوم في الليل لمدة ساعة يطمئن على العائلة وزوجته الثانية، لم يفتح أبدًا بالمفتاح، ظل دائمًا يدق الباب ويستأذن قبل المجيء، وكانت الأم تلبس الحجاب فوق رأسها وهي تقابله.

obeikan.com

سمعت الأم بمشاكل حدثت مع زوجته الأولى وابنتها، ولكن سرعان ما سيطر الرجل البشوش على الموقف، بل في أحيانٍ كثيرة كان يأتي بابنته لتلعب مع بنات زوجته، كان حريصًا على حضور حفلات البنات في المدرسة ومراقبة أدائهن، أصبح متكفلًا بهن في كل شيء، ظلت العائلة كذلك حتى نهاية العام الدراسي، والذي وجب فيه على الأم أن تتخذ قرارًا بالعودة، أو الاستمرار في هذه الحياة الغريبة الشاذة التي صنعتها الظروف مع زوج لا تعرفه ولا يعرفها، زوج لم يمسها، زوج فيه من الرجولة والشهامة ما تتمناه أي سيدة.

في هذا العام نجح الرجل في عمله وأحرز تقدمًا مذهلًا، وكأن الله يكافئه على شهامته، وأصبح يغدق أكثر على العائلة كلها بلا تفريق، اقتربت لحظة الحسم الذي يجب أن تتخذ فيها الأسرة قرارًا صعبًا بالفراق أو البقاء، الفراق يعني الطلاق والبعد، والبقاء يعني ترتيب الحياة والاتفاق على أسلوب جديد.

في ظل حيرة الأم وجدت زوجها أمامها يستأذنها في الكلام، وفوجئت به يقنعها بالاستمرار، متعهدًا بأن يكون لبناتها نعم الأب، ويكون لها -إن شاءت نعم الزوج- ويطلب منها ألا تغادر وأن تبقى، ظلت الأم تفكر في ماهية طينة هذا الرجل، ما يقوله يعني المزيد من الأعباء عليه، وكفالة يتيمتين فوق أسرته، وعندما واجهته بحيرتها أجابها بأنه يفعل ما يمليه

عليه ضميره وهو يشعر بأنه بذلك سعيد، ولم تكن الأم تدري بأنها بدأت تحبه وترتبط به، كما بدأ بناتها يحببنه ويرتبطن به؛ فقررت البقاء تاركةً التدابير لله.

مرت السنون تباعًا والرجل يزداد نجاحًا وثراءً، والعائلة تزداد ترابطًا وحبًا، حتى أصبحت الأم وزوجة الرجل الأولى صديقتين حميمتين، خاصةً بعد أن علمت الزوجة الأولى أنها لن تنجب مرةً أخرى، وظلت البنات أكثر من أخوات يتشاركن في كل شيء، وما زاد الترابط هو إنجاب الأم لغلام ربط الأسرة وجعل الجميع مشتركًا في هذا الغلام.

ظل الرجل عادلًا، لم يُر أبدًا ظالمًا لأحدٍ من أفراد الأسرة، كما بقي عادلًا بين زوجاته، حتى حين كان يعود من سفر كان يحتضنهما في نفس الوقت وبنفس القوة، وبحبه للجميع تغلب على وساوس الشيطان والحقد والغل، وراعى الله في تربية أولاده وأولاد زوجته، كان كل إجازة لمصر يأخذ البنات لزيارة أهل والدهم، لم يتضايق أبدًا من وجود صورة الأب في البيت، بل كان يذهب مع زوجته والبنات إلى المقابر لقراءة الفاتحة للرجل، أنشأهن على حسن الخلق والتدين والاعتدال والثقة بالناس والعطاء، كان يشاركهن في كل شيء.

كانت تحكي عن الرجل والعائلة بكل فخر وتأثر وعيناها مغرورقتان بالدموع، ووجهها يعلوه التأثر، ثم استطردت: حتى حين قررت أن أعود إلى مصر لألتحق بالجامعة، وحتى لا تضطر أمي للرحيل معي فتكره أن يبقى هو مع زوجته؛ فيتغلغل الحقد في قلبها، قرر أن نعود جميعًا إلى مصر سويًا دون تفريق، واشترى بيتًا كبيرًا يسعنا جميعًا؛ حتى نعيش سويًا، ثم وهي تبكي: حقًا.. إن كنت سيئة الحظ في أن يموت أبي الذي لا أذكره وأنا صغيرة، إلا أن الله أنعم عَلَيَّ وعلى أمي وإخوتي بهذا الرجل الذي عَوَّضَنِي عن غياب الأب، ورباني وعلمني وعدل بيني وبين ابنته؛ حتى أحببت الرجال كرامةً له، وأعطاني بدلًا من أم واحدة أمين، أرتاح معهما وأشعر بالأمان والحب، الله يرحمه.. حتى حين مات لم يعذبه الله فمات سريعًا بعد مرض لم يستمر طويلًا، مات مبتسمًا حين رآنا جميعًا ملتفين حوله نودعه ونقبله، وبعد أن مات وتركنا لم نتغير؛ ظللنا نحب بعضنا البعض، وظل ترابطنا أكبر من أن تحله أو تؤثر عليه عواصف الزمان، عشنا جميعًا على ذكراه وذكرى حبه الكبير لنا... ارتفع بكاء خطيبة صديقي، ووجدتني أبكي أنا وصديقي بحرقة على ذلك الرجل الذي كنت أحب أن أقابله، وزاد بكائي حين أكملت مبتسمةً بأنه مات بتضخم في القلب، وكأن قلبه لم يحتمل الحب الذي بداخله.... مسحت خطيبة صديقي دموعها، وتمالكنا جميعًا أنفسنا، تبادلنا أطراف الحديث عن موضوعات مختلفة في الحياة، ثم استأذن

العروسـان للرحيـل، وودعتهمـا بابتسـامة، واعـدًا إياهمـا بـأن نلتقي مـرةً أخرى قريبًا، وبعد أن تركاني وذهبا، ظللت أستعيد القصة وأفكر في رجل كهذا تجود به الإنسانية هذه الأيام.

الـذي يعترينا جميعًا الشـك والريبة والإقصاء والجمـود، هـل مـا سـمعته حقيقـة؟! أيمكن أن تجـود هـذ الحيـاة بمثل هـذا الرجـل هـذه الأيـام؟! أم إن ما سمعته مجرد خيال وأحلام؟!.

obeikan.com

obeikan.com

# رسالة من عالم آخر

**زحام** شديد جدًا، الأعداد فوق ما يتوقعه عقل، حقًا إنه يوم القيامة، قيامة هذا الشعب لكي ينهي حياة الهوان والصمت والظلم، الأجسام ملتصقة بقوة الانجذاب، والأنفاس مشتعلة، المناخ حار جدًا رغم شهر يناير، الحناجر مبحوحة من شدة الهتاف.



obeikan.com

نظرت حولي لأطمئن على أصدقائي، بنات وأولاد؛ فقد كنت صاحب فكرة النزول اليوم لكي نخلع هذا النظام القبيح، ونطهر مصر من جراثيم الفساد التي عاشت في حياتنا حتى تمنينا الموت؛ فهو خير من هذه الحياة المليئة بالهوان والصمت الرهيب.

علت أصواتنا بالهتاف بسقوط النظام، ووسط الزحام رأيت أناسًا كثيرين لم أكن أتوقع أن أقابلهم في هذه الظروف، وكأن الجميع قرر الخروج في حفل تطهير جماعي، مَنْ خرج لأجل بطالته وضياع أحلامه، ومَنْ خرجت ليأسها في أن تُكَوِّن أسرةً وتصبح زوجةً وأمًّا، والكثيرين خرجوا لأجل وطنٍ جديد وحياة أفضل.

كان هذا الجو الدافئ المشتعل المشجع على الاستمرار وعلو سقف المطالب إلى إسقاط النظام القبيح بكل رموزه التي أنتنت حياتنا وأفسدتها، كنا نزحف بقوة وعزم شديد نحو ميدان التحرير رمز هذه الثورة الجميلة السلمية، والتي خرجنا فيها حاملين أسلحة الكلمة والحلم وأذرعًا قويةً تلوح في السماء كسياطٍ تنذر الجلاد بأن الوقت حان ليسلم كرباجه لعبيده.

ظللت أهتف وبحماسٍ منقطع النظير، ومعي كل أصدقائي، الكل تخلى عن خوفه وقلقه وأصبح يصيح بكل ما أوتي من قوة داعيًا النظام إلى أن يسقط وينسحق، كنا نسير مع جموع البشر لا تمييز بيننا، نلاقي

قنابل الغاز وخراطيم المياه، ولا يزيدنا ذلك إلا حبًا في الاستمرار ورغبةً في المزيد من التقدم إلى الأمام، ورغم اقتراب جموع الأمن المركزي ومنظر تشكيلات الشرطة الجاهزة للإطلاق، ازداد الحماس وتعالى الصراخ، وارتفعت الأيدي إلى أعلى في تَحَدٍّ لم يره النظام وأداة بطشه من قبل، حتى بدأ الالتحام والضرب بالعصي والرصاص، وتعالت أصوات الآهات مع هتافات الصمود، وسرى في الجو دفء نابع من القنابل المسيلة للدموع، وتعالى الضباب الخانق، واختلطت دماء المصابين بعرق المطالبين بالحرية، وعندها وجدتني أهتف بأعلى صوتي مناديًا بسقوط النظام الغاشم، ومن شدة حماسي مع رغبتي في أن تسمع الدنيا صوتي، قفزت إلى أعلى وأنا أهتف: تحيا مصر.

عند هذه اللحظة شعرت بخط لهب يخترق جسدي، وتوقفت الحياة لوهلة، وفجأةً وجدتني ناظرًا إلى السماء وأنا أهوي على ظهري، في هذه اللحظة وأنا أنظر إلى السماء مرت حياتي أمامي في لمح البصر، تذكرت أمي وأخي وأبي وزوجتي وأولادي، رأيت جنودًا بيضًا كأنهم قطع ثلج ونور يتساقط من السماء، كأنهم جاءوا ليحموني من الاصطدام بالأرض، ورأيت من حولي مصر نظيفةً جميلةً معتدلةً عادلةً، رأيت كل الوجوه التي كانت تهتف لأجل الحياة وقد أعطاهم الله ما أرادوا، وجدت مصر خضراء، رأيت مصانع ومدارس وجامعاتٍ، ورأيت أجدادي ومن رحلوا من عائلتنا يصفقون لي ويبتسمون فخرًا واعتزازًا، رأيت وجوهًا قبيحةً



obeikan.com

خلف القضبان، ورأيت الميدان وكأنه كعبة المطالبين بالحرية، عندها عاد الألم، وكان على الأغلب ألم الارتطام بالأرض، وشعرت بالآم مبرحة في جميع أنحاء جسدي، فنظرت حولي فوجدت أصدقائي وأناسًا آخرين لا أعرفهم كلهم قلق وفزع، لم أسمع ما يقولون، ولم أستطع توجيه أي كلمة لهم، ولكني ابتسمت، ثم رحت في ظلمة أبدية..

obeikan.com

# الضفيرة

قررت اليوم أن أرتب أغراضي وأغراض أولادي؛ استعدادًا للانتقال لبيت جديد وحياة جديدة، أغراض كثيرة وذكريات متناثرة في هذه الغرفة، بعضهم ملموس والآخر أشعر به يحوطني ويحوم حولي، ذكرياتي الملموسة منتشرة في أنحاء الغرفة، الكثير منها يعلوه تراب السنين، شرائط عبد الحليم ومجموعة من مقتنياتي، أشياء كثيرة تحكي



obeikan.com

هيئتها ما مر بها من سنين، ومنذ متى لم تلمسها يد، دليل آخر على العمر الذي مضى والذي يبدو من كم الأتربة أنه عمر طويل....

أثار فضولي هذا الركن من الكراكيب الذي تكسوه هذه الطبقة السميكة من الأتربة، وقررت أن أخرجه من تابوت الإهمال إلى متحف اهتمامي، وبدأت أمسح الأتربة لتظهر معالم هذه الكراكيب من كتب الطفولة، وصور لي مع العائلة ومع أشخاص لا أستطيع التعرف عليهم، وألبوم الذكريات الذي شدتني فيه صورتي وأنا تقريبًا في الرابعة عشرة من عمري دون حجاب، وتتدلى على كتفي ضفيرة غليظة سوداء طويلة كشعري الطويل الذي كنت معروفةً به بين زملاء وزميلات المدرسة، ظللت طويلًا أنظر إلى صورتي وأنا أضحك ضحكةً بريئةً، وإلى عيني وهي تلمع بحب الحياة، وإلى تقاطيع وجهي التي تنبض فرحًا وحلمًا وثقةً وأملًا في غد مليء بالنجاح والسعادة، مسحت دمعةً هربت من عيني وأنا أقترب بهدوء وبطء من الصورة كأنني أخاف منها، أو أخاف من أن تراني؛ فتحزن وتكتئب، ورفعتها بعد أن أزحت عنها الأتربة بكُم قميصي؛ حتى تظهر وتتجلى أمامي، وتعيد لي ابتسامتي وسعادتي وحبي للحياة الذي ذهب ولم يعد تقريبًا منذ هذه اللقطة....

قَرَّرَت أمي بعد الإعدادية أن تنقلني من مدرستي التي ترعرعت فيها لمدرسة أخرى، ورغم عدم اقتناعي إلا أن أمي أصرت ونفّذت دون اعتبار

لرغبتي في أن أكمل في مدرستي، ورغم أن الموضوع يبدو عاديًا ولا مشكلة فيه؛ فشخصية جميلة وجذابة وفاتنة مثلي من السهل أن تجد أصدقاء، ومن السهل أن تجعل حياتها أفضل في أي مكان، إلا إنني فشلت تمامًا في أن أجد أصدقاء جددًا، ورغم أن أمي كانت دائمًا تقول لي وهي تمشط شعري وتعمله ضفيرةً إن الأصدقاء موجودون، وإن الحياة لا تتوقف على مكان أو أشخاص، ورغم عدم اقتناعي بذلك وتوسلاتي لها أن تعيدني إلى مدرستي القديمة، كانت ترفض بشدة، كما كانت ترفض أيضًا أن أغير تسريحة شعري وأكف عن عمل الضفيرة التي أصبحت لا تناسب سني.

مرت مرحلة الثانوي رتيبةً مملةً، ظلت أعز صديقاتي واحدةً من المدرسة القديمة، وبعض الأشخاص الذين لم أعتبرهم أصدقاء ولكن معارف، أو أناسًا جعلتهم العشرة شيئًا في حياتي.

تفوقت في دراستي والتحقت بكلية من كليات القمة، وبقيت ضفيرتي معي هي الوحيدة من الماضي، ولكن ضاع مني الكثير من أحلامي وسعادتي بسبب الوحدة، وانخفضت معها معدلات الثقة ورصيد الأمل في غدٍ أفضل...

كنت كأغلب بنات جيلي أحلم بالحب، خاصةً مع ترعرعي ونشأتي على أغاني عبد الحليم وصوته الدافئ، والذي حببني في الموسيقى وجعلها هوايةً تعلمتها وتعلقت بها مع بلوغي سن المراهقة والحب والحياة، مرحلة

خطيرة في حياتي وأنا أخطو أولى خطواتي في كليتي، مع عالم كبير مختلف متنوع من الشباب والشابات، الكل يتطلع بشغف لزملاء الغد.

مرت سنوات الكلية رتيبةً مملةً؛ فأنا تحت المراقبة الشديدة من العائلة، أمي تتحكم في حياتي بطريقة صارمة، وكلما أرادت أن تقنعني تمشط لي شعري وتكلمني وهي تضفر شعري الضفيرة المعتادة التي ظلت علامةً من علاماتي حتى في الكلية، لم ترض أمي أبدًا بأن أحل هذه الضفيرة ولا بأن أطلق لشعري الطويل الأسود الناعم العنان لينطلق، كانت تصر على أن أذهب إلى الجامعة بضفيرتي، وأقنعتني بأن مظهري وشكلي أحلى كثيرًا بهذه الضفيرة.

لم أجد فيمن حولي مَنْ يصلح لأحبه، كأن الأقدار تأبى أن أعيش قصة الحب التي كنت أحلم بها وأراها في أفلام وأغاني عبد الحليم حافظ، لم يتقرب مني أحد غير شاب كان يبدو من نظرته أنه يحبني، كانت عائلته تعرف عائلتنا، وكان في كلية قريبة من كليتي، فكان من حين لآخر يأتي إلى كليتي ويتصنع الصدفة ليقابلني، فنتكلم سويًّا ويرحل بعدها، حتى بعد أن تَخَرَّج ظل يأتي إلى كليتي ليقف معي نضحك ونتكلم، لا أنكر أنني كنت أفرح وأنتظره ليأتي، بل في بعض الأحيان أبحث عنه.

لا أدري، ربما بدأت أعجب به، ولكني لم أكن أشعر بأنه فتى أحلامي، ولم يتطور ما بيننا إلى قصة الحب التي كنت أحلم بها، حتى وصلت إلى

السنة النهائية في الكلية، وبدأت أمي حربًا نفسيةً شديدةً لأنها خائفة عَلَيَّ؛ فلم يتقدم إلى خطبتي أحد، وبدأت تسألني وهي في وضع السيطرة إن كان في حياتي زميل أو أي أحد، وحين كنت أرد عليها بلا؛ تتنهد وتتمتم: "ربنا يستر"؛ وَلَّدَ ذلك داخلي خوفًا شديدًا، وانتقلت هواجس أمي إليَّ بأسرعِ ما تخيلت أمي نفسها، وبدأت أمي تكثر في تدليلي وتمشيط شعري، والتحدث إليَّ عن الزواج والحب الذي يأتي بعد الزواج، وأنا أستمع إليها مُنَوَّمَةً مغناطيسيًّا، أستقبل بسلاسة وتلقائية مخاوفها التي تملكتني واقتناعي بأفكارها.

خفت ضوء الأمل في قصة حب تنتهي بالزواج، وأصبحت مقتنعةً تمامًا بأن الحب يأتي بعد الزواج، رغم وجود صوت داخلي يدعوني لأن أتشبث بأحلامي، ولكنه كان أضعف وأوهن من أن أسمعه.....

بدأ الشاب يظهر من جديد، يقابلني صدفةً في كل مكان نخرج فيه أنا وأمي، وكان يصر على أن يصطحبنا أو يوصلنا أو يعزمنا على شاي أو قهوة، وكان ظهوره المتكرر المقصود مرحلةً جديدةً في حياتي؛ فبدأت أعجب به، وأنتظر ظهوره صدفةً حين أخرج مع أمي، فأتزين وأستعد للقائه كأنني أعرف؛ حتى أصبح إعجابه بي لا ينقصه غير اعترافٍ منه.

في نفس الوقت بدأت أمي تسألني عن رأيي فيه وكيف أراه، وأكثرت من تمشيط شعري وتضفيره وهي تتكلم معي، وأنا أسمع وأستقبل ويمتلئ

قلبي إعجابًا بهذا الشاب، بل أصبحت أتخيله وأفتقده، كأنني أحببت أن أعيش في هذه القصة التي ظهرت دون ميعاد، في وقت قارب قطار الزواج أن يفوتني فيه.

أفقت من ذهولي على أختي الصغيرة الجميلة تربت على كتفي وتبتسم لي، وتطبع قبلةً على خدي متمنيةً لي التوفيق والسعادة في حياتي، فابتسمت لها ونظرت نظرةً حزينةً إلى صورتي، وهممت أن أبحث في كراكيبي غير عابئة بالتراب الذي ملأ الغرفة وعكر صفاء جوها الجميل، وظللت أبحث حتى وجدت صورةً أخرى مسحت عنها التراب بعصبية ونظرت إليها، كانت صورة زفافي، وابتسامتي الباهتة ونظرة القلق والخوف التي كانت تطل من عيني، لم أستطع أن أمنع دمعةً حزينةً من الهرب من عيني وأنا أنظر إلى هذه الصورة..

تزوجت هذا الشاب في ظروف غامضة وبسرعة غريبة، لم أمتلك الوقت الكافي لأفكر وأتردد وأقرر كبقية البنات، لم أستمتع بالخطوبة والخروج والفسح والدلع الذي تعيشه كل بنات جيلي، لا أذكر هذه الفترة، ولكن ما أذكره هي جلسات تمشيط الشعر والضفيرة وكلام أمي عن الزواج، وما سأشعر به بعد الزواج والخلفة، وأنها خائفة عَلَيَّ وتريد أن تفرح وترى ابنتها في بيت زوجها الذي يحبها ويصونها ويحافظ عليها.

ظلت أمي تردد هذه الاسطوانة وتكررها، وظللت أستمع وأستمع حتى وافقت على الزواج دون حتى أن يكتمل الحب داخلي كجنينٍ، ولد قبل موعده؛ فكُتِبَ عليه أن يُخْلَق مشوهًا ضائعًا.

مرت سنوات الزواج، ورزقني الله بولدين، فقد كانت ملهمتي وناصحتي الأمينة أمي ترى أن الأولاد هم عمود الخيمة التي لا تنهدم بهم أبدًا خيمة الزوجية، ورغم عدم شعوري بأنني سأستطيع أن أكمل حياتي مع زوجي، إلا إنني -تحت ضغط أمي وتوسلات زوجي أن أعطيه فرصةً أخرى- أنجبتهما، وكلما كبرت أعمارهما زاد حبي لهما، وزاد اقتناعي بأن حبي لأبيهم لم يكن إلا هباءً منثورًا، بعد أن أثبتت الأيام أنه أبعد ما يكون عما كنت أحلم به، وأصعب من أن أحتمله، مرت الأيام رتيبةً مملةً بلا تغيير ولا أمل، قررت أن أنفصل عن زوجي؛ لأنقذ حياتي التي خنقها شعوري بخيبة الأمل وضياع الحلم في غدٍ أفضل، كان قرارًا حاسمًا لا يقبل النقاش، أخذته بعد صراع طويل مع نفسي، وقررت أن أمي لن تمشط شعري مرةً أخرى، ووجدتني -وبمنتهى القوة- أحمل مقصًا غليظًا وأقطع ضفيرتي، لينساب شعري حرًا طليقًا قاطعةً كل الفرص أمام أمي وأمام نفسي في أن أعود.

أصررت على الطلاق بقوة الجريح الذي يحلم بالنجاة رغم جراحه المثخنة النازفة بشدة حتى تم، ومعه طلقت كل من حولي؛ فقد ظهر

الجميع أمامي، ولم أعد أثق إلا في نفسي والأمل الذي ينمو داخلي في غدٍ أفضل...

وضعت الصورة جانبًا، ومسحت دموعي التي اختلطت بتراب الذكريات، ووقفت أمام المرآة أنظر إلى شعري القصير الأسود الناعم، الذي بالكاد يصل إلى كتفي، وعيني التي أتعبتها الدموع، ووجهي الذي حفر فيه الحزن وديانًا صغيرةً، ثم نظرت في يدي اليمنى إلى دبلتي الجديدة الذهبية اللامعة، ومشطت شعري ووضعت المكياج، وابتسمت في المرآة كأنني أري طريقًا واسعًا منيرًا أمامي، تنتشر على جانبيه الزهور، وجالت في خاطري أنغام أغنية عبد الحليم حافظ بأمر الحب؛ فوجدتني أدندنها بصوت خافت وأنا أتفحص جسمي وهيئتي، ثم نظرت إلى دبلتي الذهبية ونقلتها إلى يدي اليسرى، وحملت حقيبتي ورددت الباب خلفي دون عناء النظر إلى الخلف، ولو للمرة الأخيرة....".



Obeikan.com

# جوز صاحبتي

**الإسكندرية** أجمل بلد في الدنيا، البحر له لون رمادي يعكس باقتدار ما يحدث في السماء، ومنه يعرف الخبير متى تأتي النَّوَّة ومتى تشرق الشمس، تنكسر أمواجه على الصخور كمثالٍ حي لدورة حياة الأشياء؛ فالموج الكبير العاتي الذي يمكن أن يغرق سفينةً ويدمرها يصبح عند الشواطئ والرمال مجرد ريم أبيض لا يسمن ولا يغني من جوع.



obeikan.com

استمدت الإسكندرية جمالها وروعتها -بل وتاريخها- من هذا البحر الجميل، الذي أصبح منذ نشأة هذه البلدة علامتها المميزة، وأصبحت الإسكندرية علامةً مميزةً على ساحل هذا البحر العظيم. ما أروع الإسكندرية في الشتاء! وخاصةً عندما تكون الغيوم وظهور الشمس متتابعين في أحد أيام شهر يناير، والجميع مستعد للجو البارد والشتاء بالملابس المناسبة. جلست في إحدى الكافيهات المطلة على البحر أنظر إلى البحر والسماء المليئة بالغيوم، وأشعة الشمس تحاول الظهور من أي فجوة صغيرة لتنعم الأرض ببعض النور والدفء، أتابع الطريق المزدحم دائمًا بالإسكندرانية في هذا الوقت من العام، الذاهبين والعائدين من أشغالهم وجامعاتهم ومدارسهم، تقفز في رأسي مشاهد من حياتي وذكرياتي مع هذا المناخ السكندري المميز.

كانت الساعة تقارب الثانية عشرة وأنا في الكوفي شوب أستمتع بالأمطار والغيوم من خلف الزجاج الممتليء برذاذ الأمطار وكوب النسكافيه الدافئ، أفكر فيما دعاني للخروج من دفء المنزل إلى هذا الجو البارد، وهو الشديد القوي الذي لم يكن يصلح معه التأجيل؛ فصاحبتي وزميلتي في الكلية ورفيقة العمر التي تركت مصر بعد أن تزوجت من أحد الزملاء وسافرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية لتعيش هناك، ومنذ ذلك الحين -أي منذ أكثر من سنتين- لم تعد إلى مصر ولو في إجازة قصيرة، لكنها وصلت واتصلت بي لتراني وكنت متفاجئةً؛ فعلى

الـرغم مـن الفـيس بـوك والكثير مـن أدوات الاتصـال الحديثـة انقطـع الاتصـال بيننـا منـذ تركـت مصـر إلا مـن التهنئـة في عيـد ميلادي أو عيـد ميلادها والأعياد، ولكننا لم نتحدث سويًّا منذ فترة طويلة جدًا، وجدتني وبلا تفكير أعبث في الآي باد لأخرج حسابها الشخصي على الفيس بوك، لأجد صورتها مع زوجها.

كنا في الجامعة في كلية الهندسة، وكان زوج صاحبتي زميلًا لنا في القسم، كـان شـابًا مكافحًـا حالمًـا يحـاول دائمًـا أن يخفـي مسـتواه الاجتمـاعي المنخفض بعض الشيء خلف ذكاء وجدعنة وابتسامة رضا دائمة على وجهه واحترام دائم لزميلاته في السيكشن.

كان دائمًا يعرض على الجميع المساعدة، كنا جميعًا نقدره ولكن لم نفكر أبدًا في أن يكون أحد أصدقاء الشلة، وطبعًا لم أفكر أبدًا فيه كزوج كما تفعل أغلب بنات الجامعة في هذا السن، واللاتي دائمًا يحلمن بالشاب المحترم الجاهز الوسيم، ولكن أمثال زوج صاحبتي كان شابًا نحترمه، يمكننا أن نتكلم معه في حوار عابر، ولكننا لا نتخيله أبدًا أكثر من ذلك.

مرت سنوات الكلية، وظل زوج صاحبتي زميلًا لنا في القسم والسيكشن، وظل على حاله وعلاقته معي ومع الشلة حتى السنة النهائية، والتي غالبًا ما تكون سنة التظبيط؛ فكلنا نعلم أن البنت للجواز، والجامعة تكون فرصـةً جيـدةً للاختيـار ونشـأة علاقـة قائمـة على معرفـة البنـت بالولـد

وطباعه وأخلاقه ومستواه، وغالبًا ما تكون البنات جيدةً في حركات التظبيط.

العجيب أنني لم أكن كذلك، لم أكن موهوبةً في التظبيط أو فهم الرسائل المستترة التي يمكن أن تصلني من أحد الزملاء أو المعارف في الجامعة، بل كنت أتجاهلها؛ فلم أكن أشعر ناحية أيٍّ منهم بأية مشاعر، كما أنني كنت سعيدةً بحريتي وانطلاقي وشخصيتي المستقلة، دون الشعور بأي رغبة في ربط حياتي وتحركاتي بإنسان يخنقني ويجعلني أدور في حلقةٍ مُفرغة هي رغباته وحياته، ولذلك حتى عندما كان يتقرب مني أحد الأصدقاء أو المعارف كنت أصده بأدب، وفي بعض الأحيان بخشونة؛ حتى يطرد الفكرة ويبحث عن أخرى يخنقها غيري، وكانت صاحبتي لها رأي آخر، فكانت من مستوى جيد، لم تكن جميلةً ولكنها مقبولة وجذابة، ولكن موضوع الجواز كان يشغلها جدًا، تفكر فيه ليل نهار ومعظم الوقت، تبحث في شلتنا والأصدقاء الآخرين عن عريس المستقبل الذي يحكمها ويشكمها؛ فقد كانت تعتقد أن حرية البنت يجب ألا تخرج عن الحدود التي يرسمها لها الرجل الذي ستعيش معه، وعلى الرغم من أن حديث الارتباط والزواج والحب كان تقريبًا حديثًا يوميًا في الكلية إلا إنني لم أسمع أبدًا أية صديقة أو زميلة تتحدث عن زوج صاحبتي كفتى أحلام أو زوج أو حتى على سبيل الإعجاب، رغم أنه كان شابًا وسيمًا محترمًا، ذلك ما أثار فضولي، وجعلني أبدأ في التركيز ولو على فترات

لأراقب تصرفاته، حتى مرضت يومًا مرضًا شديدًا اضطرني إلى أن أغيب عن الكلية أسبوعًا ملازمةً الفراش لا أتحرك، ولأنه لم يكن من أصدقائي المقربين، فلم يكن يعرف رقم تليفون بيتنا ولا المحمول، فوجدت صاحبتي عند زيارتها لي في البيت تبلغني منه السلام، وتعطيني ما فاتني من محاضرات كتبها لي.

لم تعلق صديقتي، ولكني ظللت أفكر: هل هذه رسالة منه؟ أم أنه يفعل ذلك مع الجميع؟ تحيرت كثيرًا، ولكني قررت أن أشكره؛ خاصةً أنه ظل يبعث لي السلام مع أصدقاء مختلفين.

في داخلي كنت مقتنعةً بأنها حجة جيدة لأتكلم معه؛ لأعرف هل ما يفعله نوع من رسائل التظبيط؟ أم أنه مجرد شعور نبيل من صديق محترم؟ جاء أول يوم لي في الكلية بعد المرض، وعلى الرغم من الاستقبال الحافل من الجميع إلا إنني كنت شاردةً أبحث عن الصديق المحترم، متحججةً بأن الواجب يدعوني لأشكره، حتى وجدته عند باب المحاضرة يبتسم لي ابتسامة المرحب؛ مما شجعني على أن أتقدم وأشكره على خدماته وسؤاله، ووجدته يحاول أن يفتح أحاديث ويتكلم في مواضيع مختلفة، ووجدتني -ولأول مرة- أشعر بالانجذاب لشخص، ولكني قاومت هذا الشعور، واستأذنته وذهبت.

ظللنا نقترب من بعضنا ولكن بحذر وترقب؛ فأنا لا أعرف ماذا يحدث، وهو متحدث لبق وإنسان ذكي لا يمكن أن تفهم ما يدور داخله، ولكن إحساسي الداخلي كان يقول إنه معجب بي، حتى إنني أعطيته رقم محمولي والبيت، ولكنه لم يتصل بي أبدًا؛ فربما رغب في أن يبقي المسافة كما هي بيننا دون أن يضع نفسه في موضع حرج.

في هذه الأوقات بدأ الهمز واللمز على وجود شيء بيني وبين الصديق المحترم، وانتشرت الشائعة بقوة، وبدأ أصدقاء الشلة مرحلة السخرية والهزار التقيل والكلام السخيف، وكنا بالفعل اقتربنا من نهاية العام ومشروع التخرج والمذاكرة، وبدأ معها ظهور الإشاعات عني وعنه، والتي لم تكن صحيحةً، حتى صاحبتي نصحتني وبقوة أن أتوقف عما أفكر فيه إن كنت أفكر؛ لأن الولد ليس من المستوى، وحكت لي ما يحكيه الجميع عنه وعن عائلته البسيطة وملابسه القديمة التي لا تواكب الموضة والأناقة، وعدم رؤيته أبدًا في أي نادٍ من نوادي الإسكندرية الشهيرة.

يا إلهي... كيف إنني -وبغبائي- جعلت شابًا محترمًا ذكيًا متفوقًا لم نر منه إلا الخير عرضةً لتفاهات شلة هبلة فاشلة، كلهم ينجحون بالعافية، ولا هم لهم إلا النميمة والروايات الفاشلة.

فجأة اختفى زوج صاحبتي تمامًا، يحضر المحاضرة ويختفي بعدها مباشرةً، لم أعد أراه أو أتكلم معه، حقًا افتقدته كثيرًا، حتى كان يوم

انتظرت خارج قاعة المحاضرات حتى خرج، ورآني فملأه الإحراج، ولكنه ابتسم وسَلَّمَ عَلَيَّ ثم رَغِبَ في الذهاب، لكني وجدت نفسي أطلب منه أن يكلمني ضروري في المحمول، بل ووصل الأمر إلى أن توسلت إليه أن يتصل، ولم أتركه حتى وعدني؛ فقد كنت أعرف جيدًا أنه إن وعد أوفى.

ظللت أنتظر مكالمته حتى اتصل، ووجدت صوته مختلفًا، صوت شخص مجروح، تكلم معي صراحةً شارحًا حالة أهله الصعبة وعدم قدرته على الزواج، بل واعترف لي بأنه معجب بي فعلًا، وأنني فعلًا إنسانة مميزة بالنسبة له، ولكنه لا يرغب في أن يسبب لي أي ألم، وأن تتحول سيرة مَنْ يحب على كل لسان في الكلية.

كلامه شجعني على أن أعترف له بمشاعري ناحيته، وكيف إنه إنسان محترم مثقف أي إنسانة تعتز بمشاعرها ناحيته، إلا أنه توسل إِلَيَّ ألا أنجرف في هذه العلاقة المستحيلة، وأن أستشير أمي ومَنْ أثق فيه وأفكر جيدًا.

اضطررت إلى أن أتحدث مع أمي تنفيذًا لرغبته، حكيت لها كل شيء من أول القصة حتى الموقف الحالي، كلمتها عن ظروفه المادية والعائلية، ذكائه ثقافته، احترامه لي ولنفسه، تفوقه في الكلية، ولكن أمي تحدثت معي عن استحالة هذه العلاقة؛ لأنني لا يجب أن أنتظره حتى يُكَوِّن نفسه ويكبر ويصبح قادرًا على الإقدام على الزواج، كما تطرقت لمستواه

الاجتماعي المنخفض البعيد عن عائلتنا الثرية العريقة في الإسكندرية، وطلبت مني أن أنتظر الأيام لأرى عَمَّ ستسفر، وأن أركز فقط في دراستي.

مرت الأيام ولم يتصل مرةً أخرى، ولم أره في الكلية ولا في أي مكان، حتى جاءت الامتحانات وانشغلت بها وانشغل هو أيضًا، كنت في هذه الأحيان في كل مرة أقابل صاحبتي تؤكد لي أن البعد عن هذا الزميل كان خير ما فعلت، ثم تسرد لي المزيد عنه وعن القصص التي لا يزال الشباب الهايف يسردها؛ مما كان يزيد من حنقي وغيظي من أن يكون هذا جزاء المشاعر الطيبة النبيلة التي لم يلوثها شيء غير هيافة الشباب.

مرت الأيام حتى حفل التخرج السنوي، رأيته ورأيت والدته ووالده، تبادلنا كلمات التهنئة وتحدثنا قليلًا، وحينها تمنى لي التوفيق في حياتي وذهب لأبيه وأمه، كان من المتفوقين في القسم، تخرج بتقدير ممتاز، وجدتني أنبهر به أكثر حين اعتلى منصة تسليم شهادة التخرج، تمنيت لو أصرخ له بأنني أحبه، كنت قد تحدثت مع أمي مرةً أخرى ووجدت منها رفضًا شديدًا للأمر، وتهديدًا وأشياء من هذا القبيل، خاصةً أن صاحبتي قد حكت لأمي كل شيء من منطلق أنها صاحبتي وتخاف عَلَيَّ، وأنني أمتلك الفرصة للزواج السريع والحياة الجميلة؛ فأنا لا أحتاج أن أنتظر طويلًا مضيعةً فرصتي في الزواج.

عند هذه النقطة عدت مرةً أخرى للكوفي شوب، وكانت أشعة الشمس قد وجدت طريقًا بين الغمام، ابتسمت حين تذكرت أنني على مشارف الثلاثين ولم أتزوج بعد، في حين أن صاحبتي التي كانت ترى صديقنا فقيرًا وعدمانًا وصدمانًا، ولا يجب أن أرتبط به وأضيع مستقبلي هي من تزوجته منذ أكثر من عامين في فرح حضرته، ووجدتها فخورةً بزوجها الحائز على الدكتوراة من إحدى جامعات أمريكا، والذي يعمل في واحد من أكبر مصانع السيارات في ديترويت، بل إنه أصبح من الأثرياء الآن، تنهدت تنهيدةً قويةً عندها، وأغلقت الآي باد، وحركت كتفي باستهانة، ورشفت رشفةً طويلةً من الكابتشينو الدافئ مبتسمةً لظهور قوس قزح في الأفق....

obeikan.com

# الإجابة الشافية

أراه منذ أن أتممت السابعة؛ فوالدي علمني الصلاة، وكان يصحبني إلى المسجد معه لأتعلم الصلاة كما أمرنا النبي (صلى الله عليه وسلم)، رجل مضيء الوجه، يرتدي جلبابًا أبيض نظيفًا، ويعتبر من علامات المسجد؛ فلا تفوته صلاة، ولا يغادر المسجد إلا حين تُغْلَق أبوابه. كان يلاعبني وأنا صغير، مثنيًا على أبي، داعيًا لي بالبركة، وكان في أحيان كثيرة يحكي لي قصصًا إسلاميةً عن الأنبياء والرسل، وينصحني بحكمته وسعة صدره وفصاحة لسانه وتواضعه. كنت أذهب إلى المسجد خصيصًا لأراه؛ ليحكي لي قصصًا وحواديت بقيت في رأسي على مر السنين دليلًا ومرشدًا.



obeikan.com

مرت السنون وكبرت، وتوقفت عن الذهاب إلى المسجد بانتظام، وبدأت رحلة حياتي التي مرت سريعًا بحلوها ومرها، وكنت كلما ازداد ضيقي أراه إما ذاهبًا إلى المسجد أو عائدًا منه، فأبتسم له فيرد الابتسامة بتواضع شديد ويكمل كل منا سيره، والذي كان غالبًا عكس الاتجاه، هذا الرجل لا يشيب إلا من بعض الشعر الأبيض الذي ظهر بفعل الزمن، ولكن بقي وجهه صبوحًا مضيئًا باسمًا حتى في أحلك الظروف، في أحد الأيام ازداد غضبي وحنقي؛ فالظروف صعبة، والحياة خانقة، وشعرت لوهلة بأنني غير قادر على الاحتمال، وفاجأتني رغبة شديدة في البكاء على ما آل إليه حالي، وظللت هكذا حتى سمعت أذان المغرب، فقررت أن أذهب إلى الصلاة، وعند دخولي المسجد وجدته جالسًا في مكانه، نفس المكان مبتسمًا مسبحًا راضيًا كعادته، فاقتربت منه وجلست بجانبه حتى أتممنا الصلاة، ووجدته يمسك بيدي ليبقيني، ثم قال لي مبتسمًا:

الشيخ: ما بك يا بني؟

أنا: تعبان يا شيخ، لا أفهم ما يدور حولي، ولأول مرة لا أعرف مَنْ الخطأ ومَنْ الصواب، كل الطرق تشابهت عَلَيَّ.

الشيخ مبتسمًا: لِمَ الحيرة وأنت تمتلك القرائن على الطريق الصحيح؟

أنا: كيف أملكها؟! فأنا أصلي وأعبد ربي شاهدًا موقنًا بأنه لا إله إلا هو وأؤتي الزكاة، وأصوم رمضان، وأرغب في الحج، وأبر أهلي، ولا أكره أحدًا، ولكن هناك من يُكَفرني ويُهَمِّش أفعالي، وكيف لي أن أعرف مَنْ مِنّا الصواب ومَنْ مِنَّا الخطأ؟! الحيرة تقتلني.. هل يغفر الله لي؟؟ أم أكون من الخاسرين؟؟؟ ما هي حدودي؟؟!! هل أنا حر طليق؟؟!!! ما هي حدود أحلامي؟ وكيف أنفذها في هذا العالم الصعب الذي يأكل بعضه بعضًا؟؟ كم أرغب في أن أعود طفلًا أو أرحل بعيدًا إلى جزيرة أعيش فيها بمفردي....

الشيخ مبتسمًا سارحًا: يا بني، لقد خلق الله الحياة بحكمته وعدله وميزانه الحساس الدقيق الكامل بلا نقصان، وخلق رحمته التي سبقت غضبه، وخلق البلاء للاختبار، فالجنة ثواب عظيم لا يستحقه إلا من حارب وتعب من أجله، ثم مكملًا: أنا هنا لا أرغب في نصحك، ولكنك تسأل نفس الأسئلة التي سألتها لنفسي يومًا وتعبت كثيرًا حتى وجدت إجابةً أقتنع بها، يا بني لا تقس على نفسك؛ فالشك هو اختبار الإيمان، والاقتناع هو أساسه المتين، فلا يوجد في خلق الله عبث والعياذ بالله، كل له دوره وله فوائده، ولأني أحبك منذ طفولتك سأضع أمامك كنزًا بحثت عنه طيلة حياتي، وإجابات أسئلتك حتى لا أراك تتعذب وتقتلك الحيرة والندم.

سرح الشيخ قليلًا وأنا أنظر إليه مرتبكًا منتظرًا، وقد خلا المسجد من الجميع إلانا.

قال الشيخ: يكفيك أن تنظر إلى السماء لتعرف حدود أحلامك. يكفيك أن تنظر إلى غروب الشمس لتعرف نهايتك وأننا جميعًا للزوال. يكفيك أن تنظر إلى أمواج البحر العاتية وهي تصطدم بالصخور؛ فتتفتت وتتشتت لتعرف نهاية الغضب.

يكفيك أن تنظر إلى الطيور المهاجرة لتعرف ما يجب فعله حين يضيق بك المكان ولا تتحمل الطغيان.

يكفيك أن ترى تمساحًا فاغرًا فاه لينظف أسنانه عصفور صغير حتى تعرف كيف تدير أعمالك.

يكفيك أن ترى سرب طيور حتى تعرف ما يجب أن تكون عليه الناس. يكفيك أن تنظر إلى الورود لتعرف معنى الجمال. يكفيك أن تنظر إلى عش العصافير لتعرف معنى الرضا.

انظر حولك في كل شيء لتعرف أن خالق هذا الكون هو الله (سبحانه وتعالى) ولا خالق غيره، وتتعلم وتفهم ما خلقك لأجله وما يجب أن تفعله.

الإجابة حولنا نراها بأعيننا، ولكن يجب أن تراها قلوبنا أيضًا، انظر حولك بعقلك وعينك وقلبك تهنأ بنعمة ربك وتطيب لك الحياة.

# حوار مع النفس

**(1)**

**هو متسائلًا مبتسمًا: ألم نتقابل من قبل؟؟**

**قلت مبتسمًا: ربما.**

**مرةً أخرى: ألم تكن في ميدان التحرير في ثورة يناير؟؟**

**أنا مبتسمًا: ومن الذي لم يكن هناك؟**

**هو: طيب.. ألم تكن تهتف ضد مبارك؟**

**أنا مبتسمًا: نعم، مثل الملايين التي كانت تهتف.**

**هو: ربما رأيتك ترقص فرحًا يوم رحيله؟**

**أنا: نعم، كنت أرقص وأغني حاملًا علم مصر متلفعًا به.**

**هو: ربما رأيتك في الانتخابات.**

**أنا: أيها؟؟**



obeikan.com

هو: كلها.

أنا: نعم، وغيري كثيرون.

هو: الأخ مسلم؟؟

أنا: الحمد الله.

هو: يبقى لِمَ أراك في الكنيسة؟!

أنا: ربما، فقد كنت أُعالج في إحداها.

هو مبتسمًا: ربما، فقد كنت أختبئ في أحد الجوامع أيضًا.

هو: إذن ماذا حدث؟ لماذا لا تتذكرني؟

أنا: ببساطة لأنني أرغب في أن أنسى كل ذلك.

هو: لماذا؟؟

أنا: لنفس السبب الذي لم يجعلك تكمل أسئلتك.

هو واجمًا، وقد بان عليه الاهتمام: نعم.

أنا: لا أعتقد أننا التقينا بعد ذلك.

هو: ربما لا، ولكنني لا زلت سعيدًا بمعرفتك، وأذكرك بكل الخير.

أنا مبتسمًا: كانت أيامًا جميلةً، توقفنا عندها طويلًا حتى تغيرت ملامحنا؛ فلم نعد نعرف بعضنا بعدها، ليتها استمرت، وليتنا تعلمنا منها.

هو: أيمكن أن نعود أصدقاء؟؟

أنا: لا أعتقد أننا جاهزون الآن؛ فبيننا ألف سور بناه عدونا، ولكننا سنهدمه حين نوقن أننا ضعاف ونحن فرادى، وحين نتوقف عن الاحتماء به من هجوم بعضنا على بعض، وحين نقرر أن هدمه هو السبيل لكي نرى بعضنا البعض مرةً أخرى ونسمع أصوات بعضنا مرةً أخرى.

هو: في أي محطة تنزل؟

أنا: لا أدري، ولكنني واثق -وللأسف- من أنها ليست نفس محطتك هذه المرة.

وعندها توقف القطار في محطة جديدة، وضاعا في زحام شديد وأصوات صاخبة.

obeikan.com

obeikan.com

# منطق الدخان

## (٢)

المشهد:

غرفة كبيرة مترامية الأطراف، خالية تمامًا من أي أثاث إلا كنبة قديمة في منتصف الغرفة، مليئة بالألوان المتناثرة على شكل بقع غير منتظمة، وحول الغرفة عدد من الكراسي المكسورة، وكرسي واحد سليم موجود أمام لوحة كبيرة تنتشر حولها بلا ترتيب باليتات وفرش ألوان منتشرة في كل مكان.



obeikan.com

الغرفـة لا يوجـد بهـا موقـع لقـدم؛ فهي ممتلئـة عـن آخرهـا بلوحـات متعـددة، منهـا المكتمـل ومنهـا غيـر المكتمـل، دة غير المنتشر على جدران الغرفة المليئة بلوحات معبرة مرصوصة بعناية، وبينها يظهر بقاية ورق حائط تنتشر عليه ألوان مختلفة، كأن أحدًا نشرها على الحائط عمدًا، أمـا أرضـية الغرفـة فـلا موقـع فيهـا لقـدم؛ حيـث تنتشـر بقايـا أكـواب مكسـورة وأعقـاب سـجاير وألـوان مسكوبة في كل شبرٍ من الغرفـة، وفي أحـد الأركان توجـد مكتبـة بهـا بلاير، وفوقـه مكتبـة مليئـة بالكتـب التي تـتكلم كلهـا عـن الفـن وسـيرة الفنـانين الذاتيـة، وبجانبهـا تتنـاثر صـور لصاحب الغرفـة مع أصـدقائه، وتظهـر فيهـا الغرفـة حين كانـت في أزهى أحوالهـا، وفي الخلفيـة موسـيقى قديمـة ودخـان كثيـف يمـلأ كـل جنبـات الغرفة..

وقفت متـأملًا صـورةً معلقـةً على الحـائط لرسـمة زيتيـة رسـمها صـديقي ببراعـة لفصـلنا في المدرسـة، نقـل فيهـا بريشـته وبدقـة ملامـح أربعـين شخصًـا، مـا بـين ضـاحك ومبتسـم وحـزين ببراعـة شـديدة، فيهـا يجلـس صديقي الذي تغيرت ملامحه كليّةً بجانبي.

نظرت إلى اللوحة الكبيرة، ونظرت نظرةً عـابرةً إلى صـديقي الجـالس على الأريكة المتسخة وبيدة ورقة وقلم رصاصي، وفي فمـه صـاروخ -كما يطلق عليه- ينبعث منه دخان يصور حجم المخدرات التي يمتلئ بها هذا

الصاروخ، اختلف شكل صديقي الذي أطلق لحيته وشعره ونحف جسده وشاب شعره وضاع بريق الحياة من عينيه، واستبدل به نظرة إنسان لا يعيش معنا. أما أنا فلم يتغير شكلي كثيرًا إلا من آثار الزمن والسنين، ولكنها تقريبًا نفس الابتسامة المفتعلة المصحوبة بالنظرة التي لا معنى لها. حزنت لما آل إليه حال كل مَنْ في الصورة، القلائل منهم سعداء، والباقون أصابتهم الحياة إصاباتٍ بالغةً أصبح يصعب معها الحفاظ على البراءة التي كانت واضحةً في ابتسامتهم ونحن في المدرسة، فهذا توفاه الله في حادثٍ أليم، وذلك هاجر إلى كندا وانقطعت أخباره، وهذه تزوجت وطُلِّقَت بعد أن أنجبت طفلين وتغير شكلها تمامًا. أما هذا فدخل السجن بعد فشل مشروعه، وهذا صديقي الفنان الذي ضاعت حياته في فنه ومخدراته وحياته التي لا أعرف نهايتها ولا مغزاها.

قررت بعد نظرةٍ سريعة أن أحاول مع صديقي مرةً أخرى.

أنا: جميلة لوحاتك يا فنان.. خسارة تسيبهم على الحيطة كدة.

هو: كدة أكرملهم بدل ما يتبهدلوا.

أنا: وناوي تفضل كدة على طول.. مخدرات ونسوان وأوضة ملعبكة وحياة غريبة وحيدة.

هو رافعًا عينه عن الإسكيتش: أيوة.

أنا: ليه؟! إنت فنان كبير، والحقيقة لا أعرف كيف يبدع الإنسان وهو ضائع لا يشعر.

هو ضاحكًا: السؤال لك.. كيف تبدع في هذا الجو الخانق؟ أعلم أنك فنان تكتب شعرًا وقصصًا، وأعلم منذ أن كنا صغارًا رأيك في المخدرات والكيف، ولا أنكر أنني كنت أحسدك على قوة احتمالك وإصرارك على أن تبتعد عن كل هذا، حتى بعد أن اشتدت عليك المشاكل والمحن ظللت متماسكًا، ولكني وبصراحة لا أحب أعمالك الفنية.

أنا ضاحكًا: ليه بقى؟

هو: الفن من وجهة نظري هوالخروج عن المألوف والواقعي والعادي، فتخيل عدد الرسامين في العالم ولوحاتهم، لماذا تتذكر البشرية لوحات بعينها؟؟ ببساطة لأنها لوحات ظهرت نتاجًا لألم، أو نتاجًا لوضع غير مألوف، ظهرت معه موهبة ورغبة في تصوير هذا الوضع في لوحة أو قصة أو شعر.

المشكلة يا صديقي أن واقعنا اليوم واقع خانق محبط كله منغصات، وكله إبداعات مفتعلة موجهة، لا تعبر عمّا يجول في داخل الفنانين، ولكن تتحكم فيه ضوابط مَنْ سيرونه ورأيهم فيه، وكونه عيب أو حرام، فتكتم إبداعك وتفكر فيه، فيتشوه كما تشوه كل شيء.

Obeikan.com

أنا: لكنك بذلك تناقض نفسك؛ فأنت من قلت إن القمع هو ما يخلق فنًا رمزيًّا لا يفهمه الطغاة ويؤرخ حياة الإنسان، فكيف الآن تتهم السبب بعكس إيمانك به؟!

هو: معك حق، الإبداع يحتاج لقيود لتفرض عليه الرمزية، وذلك ما جعل عصور الطغاة أجمل وأزهى عصور الفن، ولكن الآن ابتكر الطغاة طرقًا أخرى للقضاء على الإبداع غير القيود البوليسية والصلب والتعذيب والسجن، فقد ابتكر الطغاة سجنًا كبيرًا اسمه المسئولية والحياة السريعة الصعبة، التي يصعب معها حتى التفكير في الإبداع وابتكاره، وذلك يظهر معك كثيرًا.

أنا مندهشًا: أنا؟؟!

هو: نعم، فأنا من متابعة كتاباتك أستطيع أن أتوقع مكانك أو حالتك، وفي بعض الأحيان يظهر أن حبل وتسلسل كلماتك انقطع، وفي مرة سألتك ضحكت مازحًا مجيبًا بأنها غالبًا زوجتك التي لا يعجبها انقطاعك مع إبداعك، أو ابنتك تريد منك شيئًا، أو مديرك يتصل بالهاتف، أو تعليق ظريف ظهر على الفيس بوك، أو مشغول بقضية متعلقة بمصاريف المدرسة أو لبس العيد أو مرض الأولاد، فحين تعود يغلب على روحك ما تشعر به؛ فيشعر القارئ بهذا الكسر، أما أنا حين أضيع في المخدرات، فأنا أفرض سياقًا حول نفسي لا يخترقه أحد، فانظر

إلى لوحة صورة الفصل.. هل تعتقد أنني رسمتها نقلًا؟! إطلاقًا إنما رسمتها وأنا أتكلم معكم وأضحك، وكأنني أقف أمامكم في حوش المدرسة نتكلم، اعترفت لكل منكم بما في نفسي حتى ظهرت اللوحة -وكما تحبها أنت- منقولةً ولكن بها لمسة مما أشعر به تجاهكم جميعًا، وذلك ما يجعلك تحبها وتنظر لها دومًا.

أنا: ولكنك يا صديقي تحجر الفن على المدمنين المنفصلين عن الواقع.

هو: لست أنا من فعل ذلك يا صديقي، ولكنهم الطغاة الذين فرضوا واقعًا مؤلمًا، ثم بغبائهم سمحوا للمخدرات ليذهبوا العقل، ولكنهم كانوا سببًا في عودته مرةً أخرى لينفض غبار الحياة الكثيف الذي وضعه هؤلاء؛ ليظهر العقل كحبة اللؤلؤ لا غبار عليها، تطير في فضاء الحرية خارج نطاق الحرام والحلال والعيب.

أنا: إذن لماذا أبدع العرب قديمًا وكانوا قومًا صالحين؟

هو مقاطعًا: حكام العرب -ورغم طغيانهم زمان- كان بهم قدر كبير من الصلاح والفهم والإدراك، إنهم يعيشون في الدنيا ويومًا سيرحلون عن الدنيا، ومسئولية الأمة وامتدادها كان شغلهم الشاغل مع أطماع الدنيا طبعًا، والتي جعلت الحياة تميل عن ميزان العقل، ولكنهم بقوا بعيدين

عن طغاة هذا العصر، الذين يهدفون إلى القضاء الكامل على هذا الجيل والأجيال القادمة.

أنا: إذن ماذا تقول عني وعن غيري ممن لا يعتقدون في ذلك؟

هو: لو تذكرت يا صديقي حين بدأنا الانحراف ونحن صغار، لاحظت أنك لا ترغب وتقاوم الانحراف بشدة، وكأن الله يحميك بقدرته من الانسياق معنا في هذا الطريق، والعجيب أن أصدقاء كثيرين كانوا ضد بقائك في دائرة معارفهم؛ لأنك عكسهم، وحتى لو لم تعترض أو تعلق، إنما وجودك في حد ذاته يخلق وجع الضمير ونخزه، ويخلق جوًا من الحنق عليك، ولكن بعد فترة -ورغم انجرافي- كنت ممتنًا لواحد زيك لأنه لا زال يعرفني، وأيقنت أنني أحتاج صديقًا مثلك أعرف من خلاله ما هو شكل العالم الحقيقي؛ لأنني -وبحكم مذهبات عقلي- أرى عالمًا مختلفًا إفتراضيًّا.

صديقي.. أنا لست ضدك، ولكن وجودك وعقلك يجعلك تتمتع بالفن الذي يرسمه أمثالي ولا يرونه إبداعًا.

أتذكر بعد الثورة؟ انطلقت أنت تكتب قصصًا وشعرًا ومقالاتٍ، كنت لا أفهم ما تقوله إلا وأنا فايق؛ لأنني إن قرأته وأنا ضائع فلن أستوعبه، فأنت تصف ما لا أراه، وتحلم بما لا يعنيني، وانظر إلى حالك الآن، أنت

لا تكتب إلا نكدًا وغمًّا، ضاعت منك المَلَكَة، وتهت في واقع مرير صحوت عليه، بعد أن تخدرت مشاعرك بالثورة والغد الأفضل والعودة إلى بلدنا وذكرياتنا التي افتقدناها، وانظر إلَيَّ أرسم اسكتشات عن بكرة والحلم الذي أعيشه لبلد جميل أخضر نظيف، وزوجة جميلة لم يتدل بطنها ولم تؤذني كلماتها ورغباتها وطلباتها، زوجة على الورق فقط، وكل ذلك على الرغم من أنني أعيش كما ترى في غرفة أقرب إلى صفيحة الزبالة.

قال كلمته ثم أشعل صاروخًا آخر، وسن قلمه وعاد يرسم وعلى وجهه ابتسامةٍ بلهاء.

تعجبت لمنطق صديقي الذي لم أستوعبه، وتعجبت لأنه قرر أن يتكلم معي وهو القليل الكلام الضائع دائمًا، ولكنه أثبت لي أننا نعيش سويًّا، نحكم على الآخرين ولا نحكم على أنفسنا.. رغم أننا لا نستطيع أن نعيش دون بعضنا البعض....

# في غمضة عين

**(٣)**

**حملتني قدماي إلى رمال البحر حيث المدى المفتوح، والريح الطاهر الشريف، والشعور الجميل بالحرية والنقاء والنظافة. نظرت أمامي إلى المدى البعيد حيث يلتقي البحر بالسماء في آخر بعد نظر وكأنها نهاية الكون، كانت الشمس في طريقها إلى الرحيل في البحر، انعكست أشعتها الذهبية على مياه البحر وبهت لونها بعد أن ملأت الكون نورًا ونارًا وحرًّا دليلًا على نهاية كل شيء، وها هو يوم جديد يرحل بأفراحه وأحزانه،**



obeikan.com

جلست أنظر إلى أمواج البحر المتتابعة، وسرحت في هذا الملكوت الواسع الحر الطليق، هذه الظروف هَيَّجَت ذكرياتي؛ فتلاطمت في رأسي كأمواج البحر الهادر، تجلب معها من كل صخرة حبةً، ومن كل ذكرى وجهًا وحدثًا، أغمضت عيني حتى أستوضح الصور أكثر وأغوص أعمق في بحر ذكرياتي، خاصةً بعد أن انتابتني منذ الصباح حالةٌ من الضيق الشديد والكرب والملل، وهي حالة تصيب أغلب الناس حين يضعف الإيمان والأمل، ورغم إيماني الشديد بأن الله الواهب الرزاق قادر على أن يجعل اليسر بعد العسر، لكن ما انتابني من ضيق لم يكن لي يد فيه، إنما أمور تحيط بنا من جميع الجهات؛ فتتغلب علينا؛ فنشعر باليأس والضيق...

فجأةً ودون إنذار تذكرت طفولتي، وخاصةً في ابتدائي، في أحد الدروس التي كانت تحكي لنا عن الزلازل وكيفية حدوثها، وأن الكرة الأرضية تشبه البرتقالة في شكلها وتكوينها، لا أدري لماذا جاء هذا الخاطر في رأسي، خاصةً حين تذكرت أنني يومها خرقت برتقالةً وتركتها فعدت لأجدها متعفنةً بعد أن أخرجت ما فيها من سائل، يومها أيقنت أن قشرة البرتقالة هي المكان الذي نعيش فوقه، وأنه يحمينا من المعادن في باطن الأرض، ثم طاف برأسي عملي، وكيف أرى استخراج ما في باطن الأرض من نفائس، وكيف تتكون الأرض من طبقات جيولوجية متتابعة متلاصقة، كل طبقة لها خصائصها وما يميزها، ثم تذكرت ذلك الشيخ

الحكيم يومًا حين سألته عن النفس وكيفية ترويضها -وكنت في بداية التزامي الديني في مرحلة التيقن والتثبيت- تذكرت إجابته حين اتخذ التفاح والبطيخ وكثيرًا من الفواكه مَثَلًا، وحين سألته ما علاقة ذلك بسؤالي، ابتسم قائلًا ما أذكره بالحرف:

"إن الإنسان كالثمرة، يغلفها الله ليحميها، فإذا ضعفت القشرة انكشفت الثمرة، وأصبحت عرضةً للجراثيم والبكتريا التي ستنتهز الفرصة لتلتهمها؛ فتسقط الثمرة كلها متعفنةً، وتنتصر الجراثيم، إن الله يضرب لنا الأمثال لعلنا نفهم ونفلح ونتفكر، لكننا لا نعي ولا نحاول، إن نفس الإنسان وقلبه وأعضاءه يغلفهم الهيكل العظمي والجلد الذي يحمي أعضاء الإنسان المحسوسة، ولكن ماذا يحمي روح الإنسان ونفسه وشعوره؟؟ الغلاف الذي خلقه الله هو الإيمان، وهو شيء معنوي، ولكنه غلاف قوي سميك، يحمي روح الإنسان وقلبه من تغلغل الشيطان إليهما وإفسادهما، فيكون هدف الشيطان أن يحدث ثغرةً ولو صغيرةً لينفذ منها إلى النفس، كالجرثومة التي تتغلغل إلى الثمرة؛ فتفسدها، فينزغك مثلًا لتترك الصلاة مرةً ثم الأخرى؛ حتى تصبح تاركًا للصلاة؛ فتكون كالثمرة التي تملكتها الجراثيم فخربت وفسدت، ومن هنا يتملكك الشيطان ويتحكم فيك من ثغرة بسيطة في قشرة إيمانك، التي ما لبثت تتسع وتتسع، ولكن الفرق بين الإنسان والثمار -وهذه رسالة من الله أيضًا للإنسان- أن قشرة الفاكهة إن نفذت منها الجراثيم

وفسدت لا تعود إلى سابق حالتها مرةً أخرى أبدًا، تموت إلى الأبد ويصبح التخلص منها واجبًا؛ حتى لا تفسد ما حولها من ثمار ناضجة، أما قشرة الإنسان إن خربت -وحتى إن نفذ الشيطان وعاث فسادًا في نفسك وقلبك وروحك- فالله وهبك قوةً وقدرةً على أن تعيد خلق نفسك وتقويمها وطرد الشيطان منها، وسد المنفذ الذي نفذ منه الشيطان؛ وحينها تعود روحك ونفسك وقلبك إلى الصفاء والنقاء، وتستمر المعركة التي لا تنتهي إلا بقيام الساعة وزوال الدنيا، وحينها نعود جميعًا لرحمة الله (تعالى) لنُحاسَب على كفاءة قشرتنا وحالة نفوسنا.

إن ترويض النفس هوقدرة الإنسان على تقوية قشرة إيمانه وإعادة الصفاء إلى نفسه، ومنع الشيطان من النفاذ إلى روحه مرةً أخرى".

فتحت عيني عندها، وكانت الشمس قد غابت في البحر، وظهرت السماء سوداء مرصعةً بنجوم كاللآلئ مبدورةً في الأفق، سبحان الله الذي خلق كل شيء بحساب!...

# العطاء

**(٤)**

**سألني صديقي: متى يجب أن نتوقف عن العطاء؟**

**أجبته دون تفكير: حين نتوقف عن تسميته عطاءً، حين نتوقف عن المَنّ بهذا العطاء، حين يصبح عن طيب خاطر عادةً وحبًا لمن نعطيهم، عندها فقط سنعلم أننا توقفنا عن العطاء.**

obeikan.com

أجابني باسمًا: وهل رأيت مَن توقف عن العطاء؟

أجبته واثقًا: لا، ولكنني رأيت الكثيرين يحاولون.

فسألني: ولكنني في حينها سأشعر بالظلم إن ظللت أعطي بلا عائد.... فأجبته: عندها لن تشعر بأي شيء؛ لأنك لا تعطي، لا تشعر بغرور العاطي الواهب، ولكن من الممكن أن تتعب لأنك لا تقوى على فعل ما يجب فعله مع الجميع، وعندها ستكون كالذي يفعل الصواب؛ فيأخذ الله بيده ويفرج هَمَّه ويبارك في عمره، أرجوك لا تسأل ما هو الإحساس بتفريج الهم والسعادة والرضا؛ لأنها مُسَمَّيات غير مرئية ولكنها محسوسة، وهي نسبية من شخص لشخص، وهي ببساطة حينما تشعر بوجود الله حولك، وتراه في منظر بديع، أو في رزق أتاك من دون حساب، أو كربة فكها الله عنك وكنت تظنها لا تفرج، حينما تشعر أن مجموعةً من العمليات المعقدة تتم بحساب وتحركات دقيقة لا يقوى على ترتيبها أعظم جهاز كمبيوتر في العالم حدثت لكي تكون سعيدًا، حينما تعيد شريط حياتك فترى تحركات وقرارات اتخذتها ولا تعرف كيف اتخذتها، فتكتشف أنها كانت لأجل شيء حدث لك بعدها بأعوام قلائل وكان فيه الخير لك؛ فيصبح إيمانك بوجود الله وعظمته أقوى من أي دليل يمكن أن يسرده لك شيخ، وتعلم أن خالقًا بهذه القدرة يجب عبادته كما ينبغي لعظمته وقوته، فتفعل العبادات دون تململ، وتستغفر الله تلقائيًا،

وتبعد عن كل ما يغضب الله بلا تردد، فيكون رضا الله هو هدفك، وهو ما تبغيه من الدنيا وما فيها..

في هذه اللحظة النادرة الحدوث قد علمت واقتنعت بأنك أداة في يد الرحمن لإسعاد شخص آخر عن طريقك؛ فتشعر بالفخر والرغبة في أن تلعب هذا الدور؛ فيصبح العطاء هو مرادك، وتضرعك إلى الله أن يبقي لك هذه النعمة، نعمة استعمالك في العطاء ...

نظر لي صديقي مبتسمًا: أحيانًا أتعجب.. كيف يتمسك الإنسان بهذه الحياة ويكره الموت؟!



Obeikan.com

obeikan.com

# اللقاء الثاني

## (٥)

"وصلت في موعدي كما اتفقت مع صديقي العزيز، صوته متوتر ويبدو في حالة يرثى لها، مكالمة مفاجئة لم تحدث منذ سنين، منذ أن كنا نستطيع أن نحتمل اختلافنا، ولكن حين وصلنا لنقطة الفراق انطلق كل منا في طريقه دون تردد، دون رغبة في الالتفات ولو على سبيل النظرة الأخيرة، كنا قد وصلنا إلى نقطة يصعب معها التعايش، كل منا في طريق بعيد يتوازى مع الآخر بلا أمل في التقارب، وبدا أننا وصلنا لقناعة بأن اللقاء مستحيل، والاختلاف أصبح لا يُحْتَمَل..

obeikan.com

كنا أصدقاء منذ زمن بعيد منذ الدراسة، وكبرنا سويًّا، وكل عام نكبره تتشكل فيه عقولنا وأذهاننا، وتتكون شخصياتنا واختياراتنا، ونختلف ونفترق، ولكن بقيت بيننا دائمًا ذكريات أو نقاط التقاء تجعل التعايش محتملًا، ولكن مع التقدم في العمر كانت هذه القدرة تضعف مع كل خطوة يغوص فيها أحدنا في طريقه، اقتنعت أنا أن الله لم يخلقنا هباءً، وأنه خلقنا في اختبار يجب اجتيازه بلا كلل أو ملل وآمنت بالأوامر الإلهية، وحاولت جاهدًا البعد عن كل ما هو منهي عنه دون رغبة مني في التجربة، أما صديقي فكان رأيه أن الله خلقنا لنتمتع بالدنيا ونعيش فيها حياةً قصيرةً، فلا يجب أن تضيع في قيود وأوامر لا يحتاجها رب قوي قادر من عبد فقير، وكان يراني متزمتًا، وكنت أراه ضالًا، وكنت أزيد في تزمتي، ويزيد هو في ضلاله، فكان يهوى النساء ويشرب الخمر والمخدرات، وكل ما تطاله يداه من متع الدنيا يغرف منه ويملأ جعبة حياته، وكنت على النقيض أرى الحياة التزامًا وطاعةً لأوامر الله، حتى وإن لم أفهمها، ولكن التفكر في أمور الله عبادة، والتَّعَقُّل في فهم الدين وجوهره وغايته واجب كل مؤمن وكل إنسان خلقه الله على هذه الأرض، كنت شقيًّا أجاهد نفسي جهادًا صعبًا، وأواجه نزغ الشيطان والناس ورغبتي في متع الحياة ومجاراة الواقع، وكان صديقي سعيدًا يزداد تعلقًا بحياته، حتى افترقنا أوتوماتيكيًا دون وداع ودون ندم، والأغرب هو دون رغبة في العودة مرةً أخرى..



o b e i k a n . c o m

مرت السنون وكبر صديقي، وتزوج وأنجب، ولكنه لم يستطيع أن يقلع عما غاصت وانغرست فيه قدماه، وصعبت عليه العودة للطبيعة، ووجد نفسه غريبًا عبدًا لشهواته وفجوره، الذي كان ينقض عليه في صغره دون خوف؛ فلم تحتمله زوجته وحدث الطلاق والتَّفَرُّق، سمعت بعدها أنه اكتأب وحيدًا محاولًا، ولكنه عاد مرةً أخرى يغوص في مغامراته وشهواته، وكنت كلما رأيته أرغب في السلام ولكني أبتعد خوفًا منه، وخوفًا من عائلتي أن أسقط من نظرها.

اليوم طلبني باكيًا -وبصوت غريب- طالبًا مني أن آتي إليه؛ لأنه يريدني في شيء هام، نظرت في ساعتي منتظرًا صديقي أن يأتي حتى ظهر من بعيد وقد وهن واشتعل رأسه شيبًا وضعف جسده وذبلت نظرته، وعندها تذكرت كيف كنت أتعجب من كونه سعيدًا رغم ضلاله...

اقترب صديقي مبتسمًا وقد اصفرت أسنانه وذبلت بشرته، وجلسنا لبرهة لم نتكلم، حتى افتتح الحديث.

هو: طبعًا تريد أن تعرف لم طلبتك اليوم؟

هو مكملًا: طلبتك لأنني متعب كما ترى، أكلني المرض وضاعت سنوات عمري من فشل إلى فشل، فطلقت زوجتي، وضاع مني أولادي، وأصبحت

وحيدًا أحارب شهواتي وما أدمنته، خاصةً بعد أن أصبح فيه خطر على صحتي وما تبقى من عمري.

أنا مبتسمًا: ألف سلامة.

هو مكملًا: أشعر بقرب أجلي، ورغبت في تسديد حسابي لبعض الناس الذين ظلمتهم معي في رحلتي؛ عَلَّ الله يغفر ويرحم، ومنهم أنت يا صديقي، كنت أراك تجاهد نفسك وأضحك لكي تغتاظ وتتعب أكثر، وتظن أنني سعيد فتمتعض أكثر من جهادك فتسقط مثلما سقطت، وحتى حين افترقنا كنت أتابعك، وكنت في الحقيقة أحسدك وأحقد عليك وعلى قوتك، فأنا لم أكن يومًا سعيدًا بما أفعله، وحياتي التي ظننت أن قيودها تعوقني خنقتني شهواتها وحريتي فيها؛ فأدركت خطأي بعد فوات الأوان، فلم تكن الضحكة إلا مداراةً لحزن عميق، ولا المبالغة في إظهار الفرح إلا لتغطي قهرًا شديدًا كنت أشعر به وأنا أسقط في هوة سحيقة أعرف أن نهايتها مؤلمة، ولكني لا أستطيع المواجهة والعودة إلى وجه الأرض، ضعت وخنقتني حريتي حتى سُلِبَت مني غصبًا، بعد أن أسأت استغلال جسمي فوهن وتعب وتأثر بالسن والتقدم في العمر، وأصبح محالًا أن أعيش نفس حياتي.

تذكرتك وأنا لا أستطيع أن آكل أكلًا بلا حساب، ولا أستطيع أن أعيش طبيعيًا، كما أنني فقدت أولادي وزوجتي وحياتي، وأنت -باسم الله ما شاء

الله- نجحت، تفكرت ووصلت إلى قناعة تجعلك وسطيًا، تحب الناس وتعيش في سرور وسعادة وخوف من الحساب واحترام القوانين، من الممكن أن تشعر بالقيود ولكنها قيود تحميك من قيود تترك لك على الغارب؛ فتختنق نفسك بها وتضيع.

طلبت اليوم أن أقابلك حتى أعلن لك عن طيب خاطر أنك الأصح وأنني المخطئ، ولأطلب منك أن تسامحني وتدعو الله لي بالمغفرة.

قال جملته وحبس عبراته، واختنق صوته وبدأ يبكي ويبكي.

عندها تذكرتني يومًا ساخطًا على حياتي متخذًا صديقي هذا مثلًا لمن يعيش حياته دون قيود مبسوطًا، بدلًا مني متزمتًا أجاهد نفسي جهادًا متعبًا، وتذكرت فكرةً خطرت لي يومًا حين سألت نفسي: أتستبدل بهمك هم غيرك؟!

واليوم -وبعد أن سمعت صديقي- حمدت ربي على همي، بل وزاد اعتزازي به؛ لأنه -وإن كان صعبًا- فعلى الأقل أستطيع أن أتحمله، ولكن هم غيري لا أعرفه ولا أدري إن كنت أقدر على احتماله أم لا؟



obeikan.com

obeikan.com

# السعادة

**(٦)**

**السعادة... تلك الكلمة التي تحمل معاني كألوان الطيف، كلمة يبحث عنها الجميع بحثًا مضنيًّا، ولا يجدونها؛ فهي معادلة مختلطة معقدة، قائمة على أن يتفق الجميع على تعريفٍ مُوَحَّدٍ لها، وللأسف تحتاج إلى عطاء وإيثار قلما يوجد في أحدٍ من البشر، فلذلك لا تجد أيًّا منا سعيدًا سعادةً كاملةً، تخيل أن هناك نوعًا من السعادة قائم على عذاب مَنْ حولك، وهي نوع من السعادة المَرَضِيَّة، هذه السادية تكون نوعًا من أنواع السعادة للجلاد ومرضًا، ولكن الغريب أن يكون هناك من هو سعيد بأن يُجْلَد ويُعَذَّب، وتصل سعادته إلى منتهاها وهو يشعر**



obeikan.com

بالعذاب والخنوع والضعف تجاه المُعَذِّب، وهو أيضًا مرض، بل إن هناك من يسعد بالعطاء اللانهائي الذي لا يقابله شيء، ورغم كل ما يلاقيه من إجحاف ونكران يجد نفسه في النهاية سعيدًا بطيبته وفي أحيانٍ كثيرة بهبله، والذي يميز هذه النوعية من الناس هو أنهم لا يشعرون بأي سقم أو مرض، بمعنى أنهم لا يعرفون كونهم مرضى بالسادية أو مرضى بالهبل، فلا يعايرون غيرهم بالسعادة ولا يشعرون بأنهم مضحون، ظلت هذه الحكاية وهذا التعريف الغير معروف للسعادة قائمًا تتناقله الأمم والشعوب وتُعطى فيه المواعظ، منهم من قال إن السعادة في حب الإله وترك الدنيا، ومنهم مَنْ قال إن السعادة في العطاء والتسامح، ولكن من وجهة نظري أن أعظم ما قيل في السعادة إنها العدل، السعادة في العدل، والعدل كما عَرَّفَه الإمام عَلِيٌّ (كَرَّمَ الله وجهه) كان بسيطًا جامعًا مُخْتَصَرًا، وهو أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، فإذا نظر الجميع للسعادة من هذا المنظور سينصلح الحال بالتأكيد؛ لأن كل طرف سيفعل مع غيره ما يحب أن يُفْعَلَ معه، ومن هنا ستجد نفسك تتوقف عن الكثير من الأفعال التي تسبب التعاسة، وستشعر بما يفعله لك الآخرون، وتقدر تضحياتهم، وتحاول أن تُعطي كما أعطى لك الآخرون؛ فينعدل ميزان العدل وتظهر السعادة على السطح كموج البحر واضحًا مسموعًا، يغمر رمال الحزن ويبلل تربة الحياة، ويعطيك هواءً يفتح رئتيك ويضمد جراحك، ولكن هيهات سيدي أن تفقه أنت أو غيرك ذلك

obeikan.com

وتعترف به، إلا حين تشعر بأنك مريض مكتئب، فتأتي لي لتنام وتحكي لي قصة شقائك مع زوجتك أو مديرك أو أصحابك، وتظن أن في يدي العلاج.

ثم مبتسمًا: لست محمود المليجي في السينما الأبيض وأسود لأعالجك، ولا أمتلك العصا السحرية لأخرجك من مرضك، ولكن دوري هنا أن أواجهك بما تشعر به، وأتوسل إليك أن تعالج نفسك بنفسك؛ لتقف على قدميك وتبني حياةً قوية البنيان صارمة الأساس لا تجرفها رياح اليأس، وذلك من معرفة معنى وإجابة سؤالك: "كيف أشعر بالرضا والسعادة؟".

كانت هذه كلمات طبيبي النفسي الذي ذهبت له، كلماته حُفِرَت في ذاكرتي كنقشٍ فرعوني لا تمحوه الأيام، كلام حقيقي ولكنه مستحيل التحقيق في عالم غلبت عليه الأنانية والرغبة في الإساءة قبل الإحسان، والكره قبل الحب، والغضب قبل الفرح.

ولكنها الحياة نعيشها ونحن نعرف أننا إلى الزوال كما زال من قبلنا ومن قبلهم، ولكننا نعيشها ونحبها، فما المانع من أن نحارب من أجل أن يكون غدنا سعيدًا وحياتنا يملؤها الرضا والاقتناع والسعادة؟



obeikan.com

وعندها ابتسمت، يمكن لأول مرة منذ فترة طويلة، موقنًا أن الألف الميل يبدأ بخطوة، حتى لو لم تصل، يكفيك أنك ستقع وأنت على الطريق.....

obeikan.com

# عالم الحيوان

**(٧)**

**تعجبت حين صرخت ابنتي خائفةً مرتعدةً من قطة صغيرة، على الرغم من أن القطة نفسها كانت خائفةً مرتعدة الفرائص من ابنتي، حتى إنها حين صرخت ابنتي هربت سريعًا واتخذت مكانًا آمنًا، مختبئةً من الإنسان الذي يعكر صفوها دائمًا وينغص عليها عيشتها المسالمة...**

**سألت ابنتي: لم تخافين من القطة الصغيرة وهي لا حول لها ولا قوة؟ ردت: لأنها هتخربشني وحاتعور. تبادلت مع ابنتي وجهات النظر في هذا الموضوع، وحكيت لها قصة حكيت لها عن الحيوان و ذكره في القران**

الكريم ، وسردت واسترسلت، ورغم اقتناعي بأن الكلام لا فائدة منه ولا طائل؛ لأن ابنتي تكون في ذهنها أن القطة حيوان مؤذٍ؛ فلا يمكن أن يتغير رأيها أو اقتناعها بأن القطط مش زي بعضها، وربما تكون هناك قطة شرسة، ولكن هناك قططًا سمحةً طيبةً تتمسح في صاحبها وتنام تحت رجليه...

تركت ابنتي فيما كانت ذاهبةً إليه، وقررت أن أطلق لساقي العنان، خاصةً وأن الجَوَّ به لسعة برد، والمنظر يذكرني بكورنيش الإسكندرية مع فارق بسيط، أن الأمواج في الخليج لا تثور كما تثور أمواج البحر، وطيلة فترة التريض الجميل وأنا أتعجب من الإنسان وفُجْوره.

القطة أو الكلب أو أي حيوان خلقه الله استطاع الإنسان دراسته دراسةً مستوفاة لمعرفة إن كان مسالمًا أم مسعورًا جائعًا، أو أي شيء متعلق بسلوكياته، ويكفيك أن تبحث في جوجل عن الحيوان المراد التعامل معه حتى تعرف كل صغيرة وكبيرة عن تصرفاته، عاداته ومحاسنه ومساوئه، وبعدها ستستطيع بنسبة كبيرة أن تتعامل معه وتسيطر عليه، بل وتسخره لخدمتك وراحتك؛ فتعرف أن القطة الوالدة تخاف على أبنائها وتدافع عنهم بشراسة، فلا تقترب منها أبدًا في هذه الحالة؛ حتى لا تهجم عليك، ظنًا منها أنك ستأخذ أولادها، والكلب حين يلهث أو ينظر أو يحرك أذنيه، فهو في حالة معينة، فلا تقترب منه، أو أنه

في حالة مسالمة يصلح فيها التعامل معه، ومن هذا نتأكد أن الحيوانات - وهي أمم أمثال الإنسان- لا يتمتعون بصفات النفاق، ولا يرغبون في الأذى إلا إن كانوا في حالة سعار ومرض، وهي حالة عرّفها العلم أيضًا بوضوح، أو في حالة شرعية للدفاع عن النفس أو حماية ما يملكون من طعام وزاد، وهي حالات نبيلة لا يختلف عليها أحد؛ فنجد أن تصرفاتهم لا زيف فيها ولا تغيير، إنما الإنسان الذي عجز العلم عن كشف كذبه ونفاقه بأكثر الأجهزة تقدمًا وضعه صعب ومزرٍ، وتبقى دائمًا التجربة هي الطريقة الوحيدة لكشف الحقيقة، وعندها تنهدت حين تذكرت كم تركت هذه التجارب جروحًا لا تندمل وأعطت دروسًا لا تنتهي! هي حصيلة خبرات الإنسان الذي يظل دائمًا في صراع لمعرفة الخير وتحديده والسير في طريقه، ودائمًا يقف في طريقه إنسان آخر تتعارض مصلحته مع هذا الهدف، في معظم القصص يستخدم الإنسان أسلحته الفتاكة كالمكر والخبث والنفاق والكذب...

عندها نظرت في الساعة، لا أعرف كم من الوقت شردت، وأيقنت أن الوقت حان لأعود لابنتي، وفي طريق العودة سمعت رجلًا يتشاجر مع الآخر وينعته بالحيوان، فضحكت؛ فالآن لم تعد بالنسبة لي سبةً أو نقصًا بل بالعكس، إنسان هي الآن الاختبار الصعب، والصفة التي تحتاج إلى تقويم...".

obeikan.com

# انتبهوا أيها السادة

(٨)

جلس صديقي متجهمًا حزينًا لا يتكلم، سارحًا في ملكوت آخر غير الذي نعيش فيه تارةً يهز رأسه متعجبًا، وتارةً تغرورق عيناه بالدموع، ثم ما يلبث أن يلحق نفسه قبل أن تفضحه عيونه، فيعود لنا مرةً أخرى بابتسامة باهتة أو تعليق غريب بعيد عمّا نتكلم فيه، أدركت بحاستي السادسة أن صديقي به شيء عضال، ولكنّي لم أُرد أن أحرجه أمام بقية الأصدقاء، ولكنّي قررت أن أخمّن ما يمكن أن يكون قد أَزَّمَه والأسباب كثيرة: الغربة، أو الوضع الصعب للبلد، أو يمكن إهانة من كفيل أو مواطن أو مصري في العمل، أو خناقة مع زوجته أو أمه أو أهله، أو ربما شعور بالوحشة في هذا المكان الغريب الذي وجد نفسه فيه مفروضًا



obeikan.com

عليه أشخاص مضطر للعيش معهم والتأقلم على حياتهم، بل والأكثر من ذلك هو اتخاذ أصدقاء منهم يفضفض معهم ويآخيهم في بلاد الغربة.

رَأَفْتُ بصديق المدرسة، الذي رغم معرفتي القديمة به إلا إنني لا أعتبر نفسي صديقه، ولا ألعب في حياته نفس الدور، ولكن وجهه لَخَّصَ رحلةً طويلةً من الغربة والبعد عن الأصدقاء الأعزاء، الإخوة الذين نتقاسم معهم اللقمة والذكرى الطيبة أو الغير طيبة، ولكن الحمد لله، كل بلد كنت أذهب إليها مهمومًا ينعم الله عَلَيَّ بالصحبة الصالحة التي تؤنسني، وتهون سنوات وأيام الغربة على نفسي؛ حتى اتسعت دائرة أصدقائي ومعارفي، بأناس تشرفت بمعرفتهم، ولكن يبقى دوري الآن أن أهون على صديقي، وأكون له العون في بداية الطريق الصعب، حتى يشق طريق الغربة بمفرده، ويجد من يناسبه، ويمضي في حياته، حتى وإن لم أكن أنا فيها، ذلك دينٌ أدين به لكل من جاء هاربًا من جحيم الوطن الطارد لأبنائه إلى جحيم الغربة المضطر إليها، وفي الخلفية حلم العودة يومًا ما إلى الوطن مرةً أخرى مهما كانت الظروف، كهدف يجمعنا جميعًا.....

استأذن أصدقائي ورحلوا، وبقيت مع صديقي المهموم المكروب أحاول أن أريحه من الضوضاء التي سببها له وجود الكثيرين حوله، منتظرًا أن تحين لحظة أستطيع فيها أن أعرف ماذا به عَلّي أساعده، بعد فترة من الصمت أفاق صديقي ونظر لي مبتسمًا معتذرًا، فتحينت الفرصة وسألته:

أنا: إيه يا عم.. اللي واخد عقلك....

هو واجمًا: والله كتير واخد عقلي.

أنا: خير.. دة انت سافرت ورجعت مِيت مرة، ثم محاولًا تطييب خاطره:

متقلقش.. كلنا كنا كدة في الأول، وكله بيعدي.

هو مبتسمًا: تفتكر؟؟

ثم مكملًا: حتى لا أطيل عليك.. القصة قاتمة، اليوم جاءتني مكالمة من زوجتي في مصر تبلغني برغبتها في أن تبقي في مصر وأبقى أنا هنا وحيدًا؛ فهي لها أهلها وأصدقاؤها، وأنا أعمل وأبعث لها المال كي تعيش وتنعم، على أن تأتي مرةً وأنزل أنا مصر مرةً.

فرددت قائلًا: وماذا في ذلك؟ الكثيرون يفعلون ذلك؛ لأن المعيشة غالية. فَرَدَّ قائلًا: المشكلة أنني متزوج جديد، وقبل الزواج كنت أعمل في التدريس الجامعي محترمًا، ولكني لا أملك غير مرتبي وبعض الرزق الذي أكسبه من عمل إضافي، كنت أدور في الشوارع نهارًا وليلًا بحثًا وراء لقمة العيش لكي أتزوج وأعيش عيشةً كريمةً، وأنجب أطفالًا وأفرح بهم، وبالفعل تزوجت زوجتي زواج صالونات، واكتشفت أن كل ما ادخرته لا يفعل شيئًا، وأن الحياة أصبحت مستحيلةً، ولو استمرت ستضطرني إلى

أن أفعل ما أخاف على نفسي منه، فاقترحت زوجتي فكرة السفر، وظلت تبحث عن فرصة لنعيش حياةً أفضل وندخر شيئًا للزمن، حتى جاءت هذه الفرصة وحمدت ربي، وسافرت طالما ستأتي معي زوجتي ونعيش في مكان أفضل حياةً أفضل؛ فأفقت على حياة أغلى مما توقعت، وبعد أن عرفت زوجتي ذلك رفضت أن تأتي وتعيش بعيدًا عن أهلها، وحين تطور النقاش طلبت أن ننفصل.

تَنَهَّدَ صديقي وهو لا يعرف ماذا يفعل، واستأذنني في أن أكتم السر، وتركني وحيدًا وذهب..

تذكرت وأنا أفكر في السيدة هاجر ابنة الملوك التي ضاع ملك أبيها، وأصبحت مِلك مَنْ أغار على مُلْك أبيها فرعون، ولَكِنَّ الله كان يُعِدُّ لها مصيرًا آخر، حين أوحى لفرعون مصر أن يهديها إلى السيدة الجميلة سارة زوجة سيدنا إبراهيم العاقر التي لا تنجب، بعد أن عجز هذا الفرعون الخسيس عن أن يهم بها بحول الله وقدرته، لتتزوج هاجر المصرية ابنة الملوك سيدنا إبراهيم الخليل أبو الأنبياء برضا زوجته، وتنجب سيدنا إسماعيل وتفرح به، ولكن الله يختبرها مرةً أخرى، حين يتركها زوجها النبي بواد غير ذي ذرع، وترضى فقط حين تعلم أن الله هو مَنْ أمره بذلك؛ فتطمئن وبيقين ترد: "إذن لن يضيعنا"؛ فيعوضها الله ببئر يكون ملكها وحدها، يشرب منه الناس إلى يومنا هذا، ويُخَلِّد ذكراها بأن يفعل

مثلها كل عام ملايين وملايين كلما حج حاج أو اعتمر معتمر؛ جزاء صبرها ويقينها بالله، تُرى.. ماذا حدث للمرأة المصرية منذ هاجر إلى الآن؟؟ وماذا حدث لنا جميعًا؟! فقدنا اليقين بالله فقتلنا الخوف والقلق من غد لا نملكه؛ فأصابنا الهم والحزن، ولن نفرح حتى يتملكنا اليقين بأن الله مدبر الأمور هو خير الرازقين وخير المدبرين.

obeikan.com

obeikan.com

# بلا عنوان

**(٩)**

**قال لي صديقي في حوار مقتضب:**

**هو: لو البلد دي شالت الدعم؛ الغلابة مش حتسكت، أكل العيش بقى صعب أوي، واديك شايف العيشة.**

**أنا: ربنا يكون في العون.**

obeikan.com

هـو: تَخَيَّـل.. البنزين يغلى والعـيش؟! طيـب والغلابـة يعيشـوا منـين؟!
أنا: ربنا كبير إن شاء الله، وقادر يعدل الحال...

هو: إنت كويس ؟! إيه يا عم.. هو أنا قاعد مع مراتي.. كل ما اقولك حاجة ترد ردودك الغريبة دي.. إنت مالك في إيه؟!
ثم مستطردًا: طبعًا.. ما انت مش همك.. كلها كام يوم وماشي.

أنا: عايزني أقولك إيه.. إنكم مساكين والحكومة بنت كلب.. ماشي يا سيدي: يا عيني يا ابني.. ربنا ع الظالم والمفتري وابن الحرام.. ربنا كبير وقادر يعدل حال الفقراء.

ثم فجأةً سمعت صوت ارتطام شديد، وإذ بها سيارة صديقي الآخر موديل لبس فيها توك توك من اللي ماشيين في الشارع زي الدبان، مسببين إزعاجًا وخنقة مرور ومنظرًا فوضويًا لا يستطيع أن يصفه أبلغ الشعراء.
هو منفعلًا: ياض يا ابن ال.... ويا ابن.... دة أنا حوري أمك اللي مشفتوش في حياتك.

وفجأةً تحول صديقي نصير الفقراء إلى وحش طبقي عنصري، وتَحَوَّل سائق التوك توك إلى بلطجي وانهال بالسباب الفاحش على صديقي المحترم، مسنودًا بأصدقائه الصيع الملمومين في كل مكان، الحاقدين على

صديقي الغني المريش اللي جاي يتنطط عليهم، وفي غياب تام لأي صورة من صور الدولة تم حل الموقف، وطبعًا وقف صديقي ينظر إلى سيارته، وعاد جالسًا.

هو: ابن ال.... دة.. الحيوان الصايع الج....

أنا ضاحكًا: لك الله يا مصر، لو اللي عايشين فيها خلق زيك وزي الأخ بتاع التوك توك واللي معاه اللي ماليين الشارع بيبلطجوا ويتمتعوا بالدعم الكامل لدولة تعاني الإفلاس، وكل واحد فيهم يستمع إلى أغاني منحطة الذوق، وبيتكلم في الموبايل وبيشرب كُلَّه وبانجو وحشيش وسجاير، والمطلوب من الحاكم أن يعيره اهتمامًا ويصرف عليه.

هو فاغرًا فاه: مش فاهم.

أنا عابسًا: ولا عمرك حتفهم.



obeikan.com

obeikan.com

# دعاء الكروان

## (١٠)

صديقي العزيز الطيب الخلوق المحترم الجدع الذي لا تحتاجه إلا وجدته بجانبك دومًا حتى لو لم تطلبه، أعرفه منذ فترة طويلة ولم أجد منه غير شاب قويٍّ مستقل التفكير ناجح في حياته، خفيف الظل كثير الأصدقاء والمغامرات، كلما رأيته يُسمعك الجديد، قصصه لا تنتهي، تنجذب إلى صداقته كما تنجذب الفراشات إلى النور، مرت بنا سنوات



obeikan.com

المراهقة ولم أكن أجد بيننا اختلافًا غير شخصية صديقي المبهرة التي تجعلك لا تنافسه بل تستمتع بصداقته، ولكن مع مرور الزمن بدأت بصمة الأيام تنطبع على كلينا، وبدأ الاختلاف يظهر، بدأت أنا طريق التدين الذي سرت فيه وتوغلت، حتى وصلت لطريق يصعب عَلَيَّ فيه أن أصاحب صديقي الذي لم يكن يعير الإيمان اهتمامًا؛ فحدث الاختلاف والفراق، الذي زاد كلما توغل أحدنا في طريقه أكثر، كنت أغضب وأحزن كلما تذكرته وتذكرت جدعنته وإنسانيته، وتمنيت له أن يهديه الله، ولكني أبدًا لم أحاول الاقتراب، بل كنت خائفًا متمسكًا بألا أرتبط بمن أضلهم الله؛ حتى لا أنساق معهم، وأدّى ذلك إلى قطيعة بيني وبين صديقي، فكلما اقترب ابتعدت، وكلما حاول سددت عليه الطريق، وكنت كلما وقعت في مأزقٍ وجدته جانبي يساعدني مؤكدًا أننا أصدقاء، وكنت مستمرًا في البعد عنه متمسكًا بمن أراهم مؤمنين صالحين لأصحابهم، رغم أنني لم أكن أشعر معهم بالراحة والفرح والانجذاب الذي كنت أشعر به مع صديقي العزيز، ولكني دائمًا كنت أعيد ذلك لنفسي الضعيفة التي لم ينقها الإيمان، بقيت حائرًا بين صديقي العزيز الذي أرى منه صلاحًا ونبلًا وبعدًا عن الإيمان، وبين شروط وضعتها لنفسي في أصدقائي لم يعد يتمتع بها الكثيرون ممن كنت أعرفهم، ظللت غير مقتنع بآراء شيوخي ومن حولي، ظللت أحاول تطويع نفسي بلا طائل أو نتيجة، بل بالعكس رفض ضميري أن ينسى صديقي وما كان يفعله معي

ولا زال، بل أَنَّبَنِي لكوني مقصرًا معه، وظللت في حيرة: أأفقد إيماني وأبتعد عن طريقي الذي رضيت به؟! فنظرت إلى المرآة ووجدت وجهًا كما يصفه الشيوخ، ولكني رأيت قلبًا حائرًا يخاف أن يشك أو يسأل حتى لا يضيع ما في عقله من أفكار ويشوش، رأيت جسدًا من القش لا حياة له، يخيف الطيور ولكنه لا يقوى على مجابهة الرياح، وسألت نفسي يومها: هل هذا ما أحبه لنفسي؟ وتوغلت فسألت نفسي: ما القرب من الله؟ ولماذا لا أشعر به؟ فأنا أغلب الدنيا بتجنبها والبعد عنها، وهل ذلك زهد؟؟! هل ذلك جهاد؟؟! أيعيش الإنسان في هذه الدنيا محاربًا نفسه فقط؟! هل هذا هو المؤمن القوي؟؟! ولماذا لا يحبني الناس ويحبون صديقي؟! هل الجميع مخطئ؟! هل يكفي أن أقنع نفسي بأن طريق الحق فارغ وأنني لا يجب أن أقلق أو تستوقفني وحدتي بل تزيدني قوةً؟! هل هذا ما يتبعه المؤمنون في نشر ما يؤمنون به؟! ظللت حائرًا أبحث عن إجابات لا أجد لها تفسيرًا مقبولًا يقبله عقلي الذي ضربته صاعقة الشك؛ فشلت تفكيري..

مرت أيام وأنا في حيرة، أقوم بالعبادات بلا قلب ولا عقل، ولكن الخوف هو ما يحركني، فحلقت ذقني وعدت أرتدي ما كنت أرتديه، وظللت أراقب ما أشعر به، وقررت أن الله يعبده من يحبه ويخافه، وليس من يخافه فقط، وظللت أفكر في قرب الله والراحة التي يشعر بها الإنسان في القرب من ربه، في القرب ممن يحب، ووجدت أن الحب

والإيمان شعوران لا يتوقفان، ومن يشعر بهما هو من يجب أن يفر منه الضالون والشياطين وليس العكس، فالمؤمن هو من ينجذب له الناس؛ لأن ما يقوله ويقنعهم به هو ما يشعرهم براحة النفس والبال والسعادة، وأن معيار الإيمان هو الراحة والرضا الذي يشعر بهما المؤمن بثقته في خالقه وحرصه على أن يكون في صفوف الطائعين المحبين عن اقتناع وليس الخائفين المذعورين، وأصبحت كلما أرى صديقي أبتسم له وأتكلم معه وأناقشه بدلًا من تصنيفه في خانة الضالين الضائعين الذين يجب ركلهم بعيدًا، وأدركت أن رد الجميل له في أن أحارب معه نفسه وشياطينه خيرًا من الانسحاب والاستسلام وتركه فريسةً سهلةً، بنذالة لا يجب أن يتصف بها مؤمن موقن بأنه على طريق الحق، وعندها عرفت إجابة سؤال سألته لنفسي كثيرًا، وأجاب عنه شيوخ كثيرون إجاباتٍ لم تقنعني، وهو: ما حكم تارك الصلاة؟؟! واليوم عرفت أن حكمه هو أن تدعوه للصلاة معك كلما هممت، وتُذَكِّرَه كلما ذَكَّرت نفسك، وأن تدعو له أن يهديه الله بقدر حبك له، وأن يتغاضي عن سيئاته، ويضاعف حسناته، خيرًا من أن تُنَصِّب نفسك قاضيًا تصدر أحكامًا فيما ليس لك فيه حكم....

# جدال لا بد منه

(١١)

جلست مع صديقي على القهوة بعد غياب طويل، ظللنا نتحدث ونتحدث عن الأحداث الحالية وما جرى وما سيجري، رغم اختلافنا الشديد ولكن كانت المناقشة تسير في طريق مبشر، إن واحدًا فينا سيصل بالآخر لبر الأمان، ويقنعه أو حتى يزعزع منطقه، وكانت المناقشة لا تسير في الطريق المعتاد، وهو طريق: (شفت بيقولوا إيه؟ ودول خونة، ودول متخابرين، ودول إنقلابيين)، إطلاقًا فقد كانت تقوم على رغبة كل

منا في معرفة رأي التاني دون الدخول في مجادلات عقيمة لا طائل من ورائها.

ظللنا نحلل الأحداث، وظللنا نغلق الخيط تلو الآخر حتى سألني صديقي صراحةً بلهجة لا تخلو من الانفعال:

هو: يعني انت من الآخر شايف إن الحل يبقى إيه.. إن الإخوان يرجعوا؟

أنا: مجازًا.. نعم.

هو: يعني إيه؟

أنا: مجازًا يعني لو بأسلوب الحكم الحالي لا زال الإخوان -ورغم كونهم فاشيين متخلفين وفيهم العبر- ولكن فترة حكم مرسي لم تكن أبدًا فترة قمع، لم يكن أحد يشعر بالخوف ولا بالسطوة.

هو: يا ابني البلد كانت حتضيع، الناس دول دمروا البلد، إزاي عايزنا نسيبهم؟!

أنا: رغم اختلافي على قفزك لهذا الاستنتاج، ولكن ما رأيك فيما يحدث الآن؟

هو: أرى أننا نسير في الطريق الصحيح.. دستور.. فانتخابات.. فرئيس.

أنا ضاحكًا: وهل تعتقد أن بعد الدستور والشعب والرئيس ستحل المشكلة؟؟!!

أنا مستطردًا: لا طبعًا، القصة أننا لا نرغب في التجربة ولا التغيير، إنك تتهمني بأنني إخواني بدون كارنيه، رغم أن ذلك غير صحيح بالمرة، ورغم أنني أكدت لك أن شفيقًا لو كان كسب بالحق وقدم محاضر اللجان والناس عدت وطلع كسبان كنت سأقول نفس الكلام، أنا هنا أدافع عن التجربة.

هو: تجربة إيه يا عم.. بقولك البلد بتضيع تقولي تجربة.

أنا ضاحكًا: أتذكر حين تزوجتَ؟؟ أنا أذكر جيدًا، كنت مكسوفًا وخجلان وقلقان، وكنت قد سبقتك للزواج، وعلمت ما يدور في خلدك، وأذكر أننا جلسنا طويلًا نتكلم عن هذه التجربة القوية الصعبة، التي فشل فيها أناس كثيرون نعرفهم حق المعرفة، وانتهت حياتهم بالطلاق والتشرذم.

ثم ضاحكًا: وما أذكره أنك ظللت في مشكلة لفترة من الزمن، مرتبكًا ومش على بعضك، والموضوع مضايقك.

هو مكفهرًا: نعم، وما علاقة ذلك بالموضوع؟

أنا: تخيل أن حماتك -والتي بالضرورة كانت تعرف تفاصيل المشكلة- اجتمعت مع حماك، وقرروا أن ينهوا الجوازة؛ لأن التجربة فشلت، وحين طلبت منهم فرصةً ردوا عليك بنفس ردك إنهم لن ينتظروا حتى تضيع ابنتهم، وكانوا قرروا أن يتم الطلاق.. في كام جوازة في مصر كانت حتنتهي؟؟ بلاش دي عشان محرجة.. تذكر في بداية زيجاتنا كم تشاجرنا

وكم اختلفنا مع زوجاتنا لأنهم لا يفهموننا ولا يريدون أن يستوعبوا حقيقة الأمور؟؟ وتلك مررنا بها جميعًا.

هو: أذكر أنك قلت لي يومها ما سمعته من قبل أن الزواج معركة في العطاء، وأن كل طرف ينتصر حين يعطي أكثر، والخاسر هو من يقف ويأخذ فقط.

أنا ضاحكًا: وأذكر أنك رددت قائلًا إن التجربة تستحق التضحية من الجميع؛ لأنها تجربة مثمرة رغم تكرارها وشيوعها، إلا أنها لا زالت من أصعب التجارب، أنا أعتبر الديمقراطية كالزواج والطبيخ وأول شهر في الشغل الجديد، تجربة تستحق التضحية والعطاء والاحتمال حتى نعتاد عليها، مَن مِنّا كان ينتظر أن تكون أول طبخة تطهوها زوجته لذيذةً وبلا أخطاء؟؟ ولكننا مع التوجيه -الرقيق أحيانًا والناشف أحيانًا أخرى- نصل لنقطة التقاء؛ حتى يصبح طبيخ مراتك هو الأملة وهو ما تحبه وتعشقه، نتيجة أول انتخابات كان متوقعًا أن تكون سيئةً، ولكن المفروض ألا نكفر بالقضية والتجربة، ونظل نضغط على الحاكم ليعرف أنه لن يزور إرادة الشعب الذي سننتهز الفرصة لنفهمه الحقيقة ونكسبه في صفنا؛ فينتخب في المرة القادمة الأفضل بناءً على معايير صحيحة.

أرجوك لا تقنعني -وأنا أعلم جيدًا أنك لا تصدق- أن الانتخابات القادمة تسمى انتخابات؛ لأن أطرافًا قويةً في اللعبة غير موجودين على الساحة؛ فهم في السجون والمعتقلات، ومن سيترشح سيكون برافان؛ حتى تظهر العملية على أنها ديمقراطية، ولكنها في الأصل تمثيلية لا طائل من ورائها.

هو: كلامك لا رد لي عليه؛ فقد اتفقنا على ألا نتجادل جدلًا عقيمًا، وأعترف بأنك هزمتني في هذه النقطة.

أنا: كل ما أريده يا صديقي أن يحكمني من أختاره وليس من يختارني.

obeikan.com

obeikan.com

# كلنا هذا الرجل

**(١٢)**

**أنا: تقبل الله.**

**هو: منّا ومنكم إن شاء الله.. خير أمريض أنت؟!!**

**أنا مبتسمًا ابتسامةً باهتةً: الحمد لله على كل شيء.**

**هو: شكلك مريض مرضًا عضالًا.**

**أنا جَادًّا: نعم، ولكنه مرض مختلف؛ فأنا مريض باليأس.**



obeikan.com

هو: لا حول ولا قوة إلا بالله.. ولِمَ؟؟!!

أنا مرتابًا: لا أستطيع أن أتقبل الوضع الحالي، وأشعر بأنني وحيد في طريق مظلم لا نهاية له.

هو: وكيف ذلك؟

أنا: لا أتأثر بخطب أولي الأمر ولا أصدقهم، ولا أثق فيمن يحرسني ويحميني، حاولت كثيرًا أن أفتح أذني وأغلق عقلي، ولكن حتى أذني لم تقتنع؛ فصوتهم نشاز.. حاولت كثيرًا. فأنا لا أخاف على الإسلام؛ فهو محفوظ بأمر الله، وما فيه من منطق وعقل وحسن الخلق يحميه على مَرّ الزمان، ولا أعتقد أن من كانوا يحكمون هم حماة الإسلام أو دعاة تقدم، ولا أرغب في عودتهم.

هو: إذن ما المشكلة؟

أنا: المشكلة أنني لا أصدق الحاليين، وعقلي يكره أن يتقبل فكرة الأصنام التي تُبْنَى، والمعابد التي ينشئها من لا يفقهون البناء، والحماية التي يفرضها مَنْ يجهلون معنى الحماية وحدود الحرية وكرامة الإنسان، لم أَرَ فرقًا بين فرعون يعبس ويتوعد، وفرعون يرتل القرآن، وآخر يقنعني بأنه المهدي المنتظر، وكل منهم لم يغير من البناة ولا الحماة ولا حال الناس شيئًا.

أنا مستطردًا: ما أخاف منه هو حالتي، وأنني بدأت أوهم نفسي بحب شيء لا يقبله عقلي؛ حتى لا أصاب بالجنون وينبذني الناس وأنتهي في أحد السجون معتقلًا، ولا أقوى على مقاومة مَنْ يساهمون بكل جد في بناء الصنم الجديد...

هو ذارفًا دمعةً: لا تقلق يا أخي؛ فكلنا هذا الرجل.

obeikan.com

obeikan.com

# التاريخ كما يجب أن يكون

(١٣)

شـارعنا رغم جماله ولكنه محير، الشجر الـوارف الـذي يظلل عليـه حاجبًا نـور الشـمس والسـماء ملطفًـا الأجـواء صـيفًا، يسـتمتع المار دائمًا بصـوت العصـافير المغرد باسـطًا جَوًّا من الغمـوض الجميـل الفتّـان على شـارعنا، مع نظافته النـادرة وهدوئه النسـبي يجعلـه مكانًـا جميلًا سـاحرًا، مع كل ما مضى لا يغطي الشجر فقط السـماء والشـمس، ولكنـه يغطي بيوتًا وعائلاتٍ وحكاياتٍ كثيرةً خلف كل باب وشباك..



obeikan.com

أذكر أيامًا حين كنت صغيرًا حدثت حادثة غريبة، حيث سُرِقَت إحدى الشقق، وظل الفاعل مجهولًا لا يعرفه أحد، وعَمَّ الخوف والقلق الشارع الهادئ، وبدأ المخبرون والمرشدون ينتشرون في الحي بكثرة وغرابة، وانتشر معهم القبض العشوائي والتفتيش المستفز ومضايقة الجميع؛ بحجة البحث عن اللص، وظل الحي ساكنًا مُؤمنًا بأن الهدف الأسمى هو إيقاع اللص الخفي الذي سرق شقة التاجر الغنيّ، والذي له من الأعداء ما يكفي ليضع كل منهم في دائرة الاتهام، كان الشارع ينام مبكرًا، وكنا نسمع أن الشرطة قبضت على أحد السكان معلنةً أنه اللص الخفي، رغم أننا جميعًا كنا نملك من اليقين ما يكفينا ألا نقتنع بأنه اللص، ولكن كان دائمًا يكفينا أن نسمع حوارًا من البواب أو زوجته أو أحد الجيران أن هذا الرجل كان غريبًا وتصرفاته غريبة، وفجأة يتحول الجميع إلى الخبير الذي كان يشك في تصرفات هذا الرجل، وينهال عليه الجميع باللعنات، حتى بعد أن يخرجه محاميه بألا أدلة ضده، يضعه الجميع تحت ضغط أنه مجرم مشتبه فيه، ورغم ما يظهر عليه من تعب وآثار معاملة سيئة، ولكننا كنا نؤيد ذلك؛ حتى يستتب الأمن ونشعر بالأمان، وتعود الحياة إلى رتمها الطبيعي، ولكن سرعان ما نصحو مجددًا على خوف، خاصةً حين بدأت عمليات السرقة تتكرر كل فترة، وبعد أن تم القبض على العديد من الجيران والسكان بتهمة السرقة، وبعد أن داومنا على إقناع أنفسنا بالكلمة المشهورة: "مفيش دخان من غير نار"،

ونخالف مَنْ عاشرناهم ونعرفهم، ورغم معرفتنا بأن المرشدين والمخبرين أكثر خطرًا علينا وعلى إخواننا من اللص الخفي، ولكن ظل البعض يؤيد بقاء البوليس وطريقة القبض الهمجية العشوائية، التي لا يوجد بها أي دليل إدانة بحجة استتباب الأمن...

مرت شهور أقرب إلى السنة، والحادث الغامض وما تلاه من جرائم لا زال يسيطر علينا، مع اقتراح التاجر الغني أن نضع أقفالًا حديدية على الشبابيك، وبعد أن عرض أن يشتري شقة كل مَنْ يريد أن يبيع بعد أن شاع -وبغرابة- أن المنطقة التي كانت في السابق من أجمل المناطق وأغلاها أصبحت منطقةً خربةً لا تساوي حتى ما دُفِعَ فيها، وأنها مليئة باللصوص والسكان سيئ السمعة، ثم فجأةً اختفى اللص، ولم تعد المنطقة خطيرةً، واختفى المخبرون والمرشدون تمامًا، خاصةً بعد أن اشترى إحدى الشقق رتبة كبيرة في وزارة الداخلية، وأصبحنا جميعًا نشعر بالأمان لأن جارنا ضابط، ولا يجرؤ أي لص على أن يقترب الآن، كنت صغيرًا وسعدت لأن والدي أصبح يسمح لي بالخروج واللعب في باحة المنزل بعد أن كان يخاف علينا كثيرًا من النزول والتجول واللعب..

مرت سنون وكبرت، وكلما زاد عمري زاد اقتناعي وتأكدي من أن القصة كما أتذكرها وكما اتفق عليها الجميع، وأن البطل فيها هو التاجر الثري الطيب الذي اشترى الشقق من سيئ السمعة ليُطَهِّرَ الحي،

واستبدل بهم الضابط القوي الذي فرض الأمن؛ فخاف اللصوص واختفوا، إلى أن جاء يوم وصحونا على الشرطة تقبض على هذا الثري في قضية مخلة بالشرف، مخدرات أو رشوى أو تهرب ضريبي أو نصب، ومنهم من قال إن إحدى عماراته سقطت فوق رءوس ساكنيها وقتلتهم جميعًا، كلها روايات لا أدري مدى صحتها، وهنا اختلف الناس بين مؤيد للرجل نافيًّا عنه التهم مذكرًا بفضله يوم شاع الخوف، وآخرين كان الخوف منه ومن بطشه عاقدًا ألسنتهم يلعنونه ويتهمونه بأنه اخترع قصة اللص حتى يبخس الناس أشياءهم ويشتريها؛ ليهديها لضابط الشرطة الذي كان طيلة هذه الفترة يسهل له أعماله المخالفة للقانون، وبدأت أسمع قصصًا مختلفةً عن موضوعٍ واحد، وكل طرف يمتلك من الدلائل والبراهين على رأيه في الرجل، وحتى وقتنا هذا لا يزال الصراع دائرًا بين أذيال الثري الفاسد وأعوانه وبين الشرفاء الذين غلبوا الخوف، الذين يعرفون حق المعرفة أن التاريخ يجب أن يُكتب من الحقائق، وأن الحقوق يجب أن تُرَدّ لأصحابها؛ حتى يكون التاريخ حقيقةً ودرسًا نتعلم منه، وليس سردًا قائمًا على أساطير الأولين....

# الفهرس


اهداء ........................................................ ٥
تقديم وتعريف.................................................. ٧
يوميات نورس مصري........................................... ١١
آخر يوم.................................................... ٧٧
كراكيت ..................................................... ٨٣
الفكرة....................................................... ٨٥
قصة حب .................................................... ٩١
قصة حب ( النسخة الرجالي) ................................... ١٠٧
فوتوغرافيا .................................................. ١٢٩
حكمت المحكمة.............................................. ١٣٥
هو وهي والحكاية المصرية...................................... ١٤٩
اتجاه عم محمود............................................. ١٦٩
زميلي السلفي................................................ ١٧٥
potty training.............................................. ١٨٥
أمشير....................................................... ١٨٩
أحلام اليقظة................................................ ١٩٩
رسالة من عالم آخر......................................... ٢١٣
الضفيرة..................................................... ٢١٧




obeikan.com

جوز صاحبتي.............................................. ٢٢٥
الإجابة الشافية ............................................ ٢٣٥
حوار مع النفس (١) ......................................... ٢٣٩
منطق الدخان(٢)............................................ ٢٤٣
في غمضة عين (٣). ........................................ ٢٥١
العطاء (٤). .................................................. ٢٥٥
اللقاء الثاني (٥).. ........................................... ٢٩٥
السعادة (٦) ................................................. ٢٦٥
عالم الحيوان (٧)............................................. ٢٦٩
انتبهوا أيها السادة (٨) ...................................... ٢٧٣
بلا عنوان (٩). .............................................. ٢٧٩
دعاء الكروان (١١) .......................................... ٢٨٣
جدال لا بد منه (١٢) ........................................ ٢٨٧
كلنا هذا الرجل(١٢). ........................................ ٢٩٣
التاريخ كما يجب أن يكون (١٣). ............................ ٢٩٧
الفهرس..................................................... ٣٠١

سلطان

obeikan.com

سلطان

"لا تسجن معرفتك و بادل كتبك"

القراءة هي الحياة، فنحن نقرأ لنتعرف على خبرات وحكايات الآخرين، نقرأ لنتعلم شيء جديد، لنتعرف من قرب على عوالم قد لا نعرف عنها شيء، لذا صديقي القارئ لا تسجن معرفتك وبادل كتبك مع الآخرين.

فلا تجعل هذا الكتاب يقف بين يدك وحدك، فمن خلاله قد تكون أستمتعت، وتذوقت متعة القراءة، وقد تكون تعرفت على شيء جديد، فلا تبخل عن من حولك بهذه المتعة.

موقع دار الكتب

"نحن نحترم الكتاب"

obeikan.com

**<u>إصدارات موقع دار الكتب:</u>**

1. **آية الله الخميني بين الثورة و الطغيان.**
2. **قبل أن أموت.**
3. **فتاة شرقية.**
4. **كاتيا.**
5. **شمس.**
6. **التعلم النشط.**
7. **نبضات مغترب.**
8. **رأيت الشيطان.**
9. **حل قضية الجبر والاختيار وقضايا آخرى.**
10. **لوزة قطن.**
11. **حياة وحنين.**
12. **رحيق العمر.**
13. **عواطف.**
14. **الوهم.**
15. **الاعجاز العلمي في القرآن الكريم.**
16. **تاريخ مصر الفرعونية.**
17. **ديوان البت سعاد.**
18. **الكفايات المهنية للتعليم ما قبل الجامعي.**



obeikan.com

١٩. الموعد

٢٠. اذا لم تزد على الحياة شيئا كن انت زائد عليها

٢١. عائدون من بين الانقاض

٢٢. -حذاء جديد

٢٣. حلقات مفرغة

٢٤. يوميات طبيب في وطن مسلوب

٢٥. أصحاب الكرش

٢٦. جئت ورحلت

٢٧. سخصية مصر

٢٨. ديور... ابن الحرب

٢٩. رجل مدخر

٣٠. ليلة فى الرنفة

٣١. استراتيجيات التسويق عبر الفيس بوك

٣٢. يوميات مع نفسى

٣٣. سلسلة القائد المتوازن.

٣٤. يوميات واحد فيس بوكاوى

٣٥. نصف انسان

٣٦. اريد ان اكون زوجة ثانية

obeikan.com